الطبعة الثانية

الحرب فى شمال أفريقيا

روميل ومونتجومرى

الصدام الدامى

لواء أركان حرب / جمال حمّاد

الحرب في شمال أفريقيا

روميل ومونتجومري

الصدام الدامى

الحرب

في شمال أفريقيا

روميل ومونتجومري

الصدام الدامى

تأليف

اللواء أركان حرب

محمود جمال الدين حماد

تدمك: 2_303_380_977_978

رقم الإيداع: 13239 / 2011

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى يوليو 2011م

الطبعة الثانية يناير 2013م

الموزع

دار العلوم

للنشر والتوزيع

هاتف: 01226122800 _ 01113988066

الموقع الإلكتروني

www.dareloloom.com

البريد الإلكتروني

daralaloom@hotmail.con

الحرب في شمال أفريقيا

روميل ومونتجومرى

الصدام الدامى

بقلم

اللواء أركان حرب

جمــال حماد

الإهداء

إلى الجيش المصري العظيم

عبقريات عسكرية غيرت مجرى التاريخ

تحليل استراتيجي وتكتيكي

للصراع بين الفيلد مارشال روميل

والفيلد مارشال مونتجومري

لواء

أركان حرب

جمال حماد

تقديم

احتل حوض البحر الأبيض المتوسط خلال الحرب العالمية الثانية مركزًا هامًا في الصراع الدائر بين قوات الحلفاء وقوات المحور، ففي إثر انتهاء معركة فرنسا توقفت العمليات البرية في أوروبا وانتقل مركز الثقل والاهتمام إلى الحرب في الشرق الأوسط التي دارت معاركها بين إيطاليا وبريطانيا في بادئ الأمر حتى تدخل ألمانيا تدخلاً فعليًا في هذه المعارك في أوائل عام 1941، ومنذ ذلك التاريخ اشتعلت المعارك فوق أرض الصحراء المصرية الغربية من جهة وفوق أرض الصحاري في برقة والصحراء الليبية من جهة أخرى، وتأرجح ميزان القوى فوق أرض الصحراء في ليبيا ومصر بصورة لم يسبق لها مثيل إذا أخذ كل من الطرفين يلقي في ساحات القتال بأقوى قواته وأسلحته في صراع مرير يهدف السيطرة على منطقة الشرق الأوسط واستطاع الحلفاء في النهاية في خريف عام 1942 إحراز السيطرة العسكرية التامة في ميدان القتال والقضاء على قوات المحور بصورة نهائية في شمال أفريقيا في مايو 1943، وفي الوقت نفسه كان الهجوم الألماني الهائل على الاتحاد السوفيتي قد فقد حدته بعد معركة ستالينجراد وانقلبت الجيوش السوفيتية من مراحل الدفاع إلى مراحل الهجوم على ألمانيا.

وخلال المعارك المحتدمة بين الحلفاء والمحور كانت مصر ـ لما تتميز به من موقع استراتيجي مهم عند ملتقى القارات الثلاثة ـ الهدف الرئيسي لقوات المحور وكان سقوطها يعد كارثة عظمى بالنسبة للحلفاء.

ولقد شهدت صحاري مصر الشرقية وخاصة أرض سيناء كل موجات الغزو المتتابعة التي جاءت من الشرق خلال آلاف السنين الماضية، ولكن صحاريها الغربية لم تشهد سوى غزو الفاطميين عندما جاء من المغرب القائد جوهر الصقلي والذي تبعه السلطان المعز لدين الله الذي أسس الدولة الفاطمية في مصر.

وكانت نهضة إيطاليا العسكرية ورغبتها في السيطرة على البحر الأبيض المتوسط أول بادرة أنذرت بالخطر الذي يهدد مركز بريطانيا، وبدأ هذا التهديد بصورة عملية باستيلاء

إيطاليا على الحبشة عام 1936 ثم انضمامها إلى ألمانيا عام 1937 في حلف أطلق عليه اسم محور (برلين ـ روما) وازداد الموقف سوءًا بتدخل دولتي المحور في الحرب الأهلية الإسبانية تدخلاً إيجابيًا وانتصار الجيوش الفاشية فيها، وبذلك استطاعت دولتا المحور الاستيلاء على مراكز حيوية يمكنها منها السيطرة على البحر الأبيض المتوسط بمهاجمة جبل طارق في الغرب وقناة السويس في الشرق وهي منافذ البحر المتوسط الرئيسية.

وبرغم ذلك لم يكن موقف كل من فرنسا وبريطانيا في حوض البحر المتوسط ضعيفًا إذ إن فرنسا تحتل الركن الشمالي الغربي لأفريقيا (تونس والجزائر والمغرب) كما أن لها قوات عسكرية في سوريا ولبنان (كانتا تحت الانتداب الفرنسي) أما بريطانيا فقد كان لها قوات عسكرية في مصر وفلسطين وشرق الأردن والسودان، بينما كانت مرتبطة بالعراق بمعاهدة دفاعية تخولها حق استخدام بعض المطارات والمرور بغواصاتها البحرية في حالة الحرب وإزاء تطور الموقف خلال عامي 1936، 1937. بدأت الدولتان (بريطانيا وفرنسا) بعقد سلسلة من المعاهدات الدفاعية لتدعيم مركزهما في الشرق الأوسط.

فعقدت بريطانيا مع مصر محالفة دفاعية عام 1936 نصت على نجدة كل منهما للآخر إذا هوجم كما ألزمت مصر أن تقدم لبريطانيا كل التسهيلات بما في ذلك استخدام الموانئ والمطارات والخطوط الحديدية وإنشاء عدد من الطرق البرية (التي تربط منطقة قناة السويس التي تقرر سحب القوات البريطانية إليها من منطقة الدلتا، وتحسين الخط الحديدي الذي يصل الدلتا بمرسى مطروح ـ القاعدة البريطانية الدفاعية في الصحراء الغربية).

وفي سبتمبر 1936 أبرمت معاهدة دفاعية بين سوريا وفرنسا على غرار المعاهدة المصرية البريطانية، وفي شرق الأردن وفلسطين أنشأت بريطانيا شبكة واسعة من الطرق وحولت ميناء حيفا (حيث تنتهي أنابيب البترول القادمة من العراق) إلى قاعدة بحرية، وعززت قاعدتي مالطة وجبل طارق فأصبحت قلعتين منيعتين في وسط وغرب البحر المتوسط.

ويهمني أن أسجل أن عناصر حربية من الجيش المصري العظيم قد اشتركت في هذا الصراع الدامي على الأراضي المصرية إلى جانب الحلفاء، وقاموا بجهود مرموقة في البر والبحر والجو - اعترف بها الحلفاء بعد انتهاء الحرب -، وبذا أصبحت حملات شمال أفريقيا جزءاً من تاريخ مصر في عهدها الحديث.

ولقد كانت هذه الحملات الحربية حقل تجارب عظيم، وبوتقة صهرت فيها المشاكل الاستراتيجية والتكتيكية والإدارية بالنسبة للحرب في الأراضي الصحراوية وأمكن في نهايتها نتيجة للصراع الدامي الذي استمر ثلاث سنوات كاملة الخروج بنتائج هامة ستظل صحيحة دائماً، وستظل مصدراً رئيسياً لأية عقيدة عسكرية يصفها العسكريون للحرب الصحراوية مهما تطورت أساليب القتال وأسلحة الحرب.

ولقد حرصتُ في هذا الكتاب على تسجيل وتحليل المعارك الحربية التي دارت بين قوات الحلفاء وقوات المحور، والتي استخدموا خلالها أقوى جيوشهم وأعظم قادتهم، وفي طليعتهم من جانب المحور ثعلب الصحراء الفيلد مارشال إروين روميل، ومن جانب الحلفاء القادة البريطانيين العظام الفيلد مارشال ارشيبالد ويفل، والفيلد مارشكال كلود أوشنلك، والفيلد مارشال هارولد الكسندر، وأخيراً الفيلد مارشال برنارد مونتجومري أوف علمين، الذي كان انتصاره في معركة العلمين الحاسمة بداية انتصارات جيوش الحلفاء، وهزائم جيوش المحور في كل ميادين القتال، والتي انتهت بتسليم جيوش المحور للحلفاء دون قيد أو شرط.

وختاماً آمل أن يكون ما سجلته في هذا الكتاب وما بذلت فيه غاية جهدي وما وعيته من معلومات ودروس عملية خلال خدمتي الطويلة بالقوات المسلحة مادة علمية يستفيد منها أخوتنا وأبناؤنا ضباط القوات المسلحة المصرية والعربية حفظ الله مصر وشعبها العظيم وجيشها المجيد.

والله ولي التوفيق،،،

جمال حماد

الباب الأول

الحرب في شمال أفريقيا

الهجوم البريطاني على برقة
والهجوم المضاد الألماني

الفصل الأول

سبعة عقود قد انقضت على معركة العلمين تغيّر فيها وجه العالم تغيُّرًا هائلاً كما تغيَّر خلاله العديد من المبادئ والنظريات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، لقد سقطت خلال هذه الفترة من الزمان عروش وأنظمة راسخة، وتهاوت إمبراطوريات عظمى كانت الشمس لا تغرب عن ممتلكاتها، وتبدَّلت حدود كانت قائمة منذ مئات السنين، وتحرَّرت من براثن الاستعمار الأوروبي عشرات من دول وبلدان العالم الثالث التي طالما استعبد هذا الاستعمار شعوبها، ونهب ثرواتها، واغترف خيراتها لعدة قرون، وتراجعت أحلام القوة وأوهام الرغبة في السيطرة على العالم باستخدام القوة العسكرية لتحل محلها وسيلة جديدة أمضى وأنجح في تشديد القبضة، وإحكام السيطرة، وبسط الهيمنة والنفوذ؛ وهي استخدام القوة الاقتصادية.

لقد أثبتت الوقائع في العقود الأخيرة أن المارك الألماني في الميدان الأوروبي - قبل ظهور اليورو - أصبح أقوى نفوذًا، وأشد تأثيرًا من المئات من فرق العاصفة وفرق البانزر الألمانية الشهيرة التي دفع بها الزعيم النازي أدولف هتلر لاجتياح أوروبا، واحتلال بلادها وعواصمها، وأثبتت الأحداث أن الدول العظمى التي أحرزت النصر في الحرب العالمية الثانية أضحت تعاني من وطأة أزماتها الاقتصادية المريرة إلى الحد الذي أجبرها على طلب العون، واستجداء المساعدات من الدولتين المهزومتين عسكريًا، وهما: ألمانيا واليابان، وسبحان مغيِّر الأحوال.

الجولات الرئيسية في حرب الصحراء

في 10 يونيو 1940 وعندما بات من المؤكد انهيار الجبهة الفرنسية أعلنت إيطاليا الحرب إلى جانب ألمانيا على كل من بريطانيا وفرنسا، وفي 25 يونيو 1940 تم استسلام فرنسا، وتوقفت العمليات الحربية في أوروبا تمامًا، وعقب دخول إيطاليا الحرب خطب الزعيم الفاشستي موسوليني في تلك المناسبة، فقال: "لقد قُضِيَ الأمر، وأحرقنا

بمحض إرادتنا الجسور التي خلفنا، وإني أعلن على رؤوس الأشهاد أن إيطاليا لا تنوي جرّ الشعوب التي تجاورها إلى الحرب، فلتسمع سويسرا ويوجوسلافيا وتركيا ومصر واليونان" .

وكانت الحدود بين مصر وليبيا (التي كانت تحتلها إيطاليا) قد رسمتها اتفاقية الحدود التي عُقدَت بالقاهرة في 6 ديسمبر 1925، وتبدأ من نقطةً على ساحل البحر المتوسط بين السَلوم (المصرية) والبردية (الليبية)، ويسير خط الحدود جنوبًا في شكل متعرِّج، ويمر بين واحتي سيوه وجغبوب، ثم يستقيم بعد ذلك على خط طول 25 درجة شرق جرينتش إلى العوينات .

ونتيجةً للتهديد الذي أحدثه اشتراك إيطاليا في الحرب قامت بريطانيا بتعزيز أوضاعها الدفاعية في الشرق الأوسط، وتمَّ تعيين الجنرال أرشيبالد ويفل قائدًا عامًا للقوات البريطانية في الشرق الأوسط، وعُيِّنَ الجنرال ميتلاند ويلسون قائدًا للقوات البريطانية في مصر، وتمَّ تشكيل قوة الصحراء الغربية بقيادة الجنرال أوكونور (النواة الأولى لتشكيل الجيش الثامن فيما بعد) من فرقة مشاة، وفرقة مدرعة، ومجموعتي لواءين من المشاة، وآلاي دبابات بقوة إجمالية تبلغ 30 ألف جندي، وحوالي 300 دبابة .

وعلى جبهة الصحراء الغربية اقتصر نشاط القوات البريطانية والإيطالية خلال الأشهر الثلاثة الأولى بعد إعلان إيطاليا الحرب على أعمال الاستطلاع تمهيدًا للعمليات البرية المتوقعة، وكذا على بعض العمليات البحرية والجوية، فقد قامت البحرية البريطانية بضرب المواقع العسكرية الإيطالية القريبة من الساحل في برقة، وخاصة كابوتزو، وميناء البردية، والقاعدة الجوية في بومبة، وقام السلاح الجوي البريطاني بغارات استطلاعية بعيدة المدى، وغارات جوية على خطوط المواصلات، والقواعد، والمطارات الإيطالية في برقة وطرابلس في الوقت الذي قام فيه السلاح الجوي الإيطالي بضرب السلوم، ومرسى مطروح، والإسكندرية .

ونظرًا للتفوق العددي للقوات الإيطالية في ليبيا لذا قرَّر الجنرال ويفل قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط إخلاء قواته الرئيسية لمنطقة الحدود المصرية، وتركيز دفاعاته في منطقة مرسى مطروح التي أصبحت القاعدة الدفاعية الأساسية عن الصحراء الغربية، والتي تم فيها حشد قوة الصحراء الغربية البريطانية لمواجهة أي هجوم إيطالي على الطريق الساحلي، بينما وضعت على الحدود المصرية قوة ساترة من السيارات المدرعة، والدبابات الخفيفة، ومدفعية الميدان ما بين السلوم شمالاً وحصن مادالينا (الإيطالي) جنوبًا للقيام بأعمال الاستطلاع، ومقاومة الغزو الإيطالي المنتظَر، وكانت القيادة الإيطالية قد اضطَّرت لإخلاء حصني كابوتزو ومادالينا القريبين من الحدود تجنُّبًا لإغارات السيارات المدرَّعة البريطانية عليهما.

هذا وقد وقعت الحرب في الصحراء الغربية المصرية والصحراء الليبية في ست جولات رئيسية كانت أشبه بالمد والجزر، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

الجولة الأولى:

بدأت في 10 سبتمبر 1940 بزحف الجيش العاشر الإيطالي بقيادة المارشال جرازياني واجتيازه الحدود المصرية، وتمَّ استيلاء الإيطاليين على السلوم يوم 17 سبتمبر، وواصلت القوات الإيطالية تقدُّمها في السهل الساحلي، واستولت في طريقها على (سيدي براني) حتى وصلت في اليوم التالي إلى (المقتلة) على مسافة 25 كيلومترًا شرق سيدي براني حيث توقَّف التقدُّم، ولكن القيادة الإيطالية نجحت في تحويل سيدي براني إلى قاعدة إدارية أمامية، وعندما مرَّ الوقت دون تحرك القوات الإيطالية برغم عدم وجود مقاومة تذكر، أمامها وانحصر نشاطها في احتلال مواقع دفاعية قوية أيقنت القيادة البريطانية بعدم نيَّة الإيطاليين في مواصلة التقدُّم صوب القاعدة الدفاعية البريطانية الرئيسية في مرسى مطروح، وبذا سلَّم الإيطاليون ميزة المبادأة إلى البريطانيين.

الجولة الثانية: "بريطانية":

تنقسم هذه الجولة إلى قسمين:

أولاً: معركة سيدي براني: وقعت في ثلاث مراحل استغرقت ما بين ليلة 7/ 8 ديسمبر 1940 و16 ديسمبر، وانتهت بتدمير القسم الأكبر من الجيش العاشر الإيطالي.

المرحلة الأولى: تحرُّك قوة الصحراء الغربية البريطانية بقيادة الجنرال أوكونور من مناطق حشدها في منطقة مرسى مطروح، وفي فجر يوم 9 ديسمبر أتمَّت تجمُّعها بعد سير ليليٍّ شاق غرب المواقع الإيطالية (أي خلفها) محقِّقة مفاجأة إستراتيجية تامة للإيطاليين.

المرحلة الثانية: خلال ثلاثة أيام من 9 إلى 11 ديسمبر سقطت (المقتلة) وجميع المعسكرات الإيطالية حولها في يد البريطانيين، وانهار خط الدفاع الإيطالي، وفي يوم 10 ديسمبر سقطت سيدي براني، وتمَّ تطهير جميع المواقع الإيطالية في منطقة سيدي براني.

المرحلة الثالثة: تمت مطاردة الفلول الإيطالية إلى الحدود المصرية، وفي يوم 16 ديسمبر 1940 كانت جميع الأراضي المصرية خالية من القوات الإيطالية.

ثانيًا: احتلال برقة: تمَّ لقوة الصحراء الغربية البريطانية (أُطلقَ عليها اسم الفيلق 13 منذ منتصف يناير 1941) احتلال برقة في ثلاث مراحل رئيسية كما يلي:

المرحلة الأولى: تمَّ احتلال البردية يوم 5 يناير 1941 بعد استسلام حامية المدينة، وكان إجمالي الأسرى 45 ألف جندي، وحوالي 130 دبابة.

المرحلة الثانية: على الرغم من أن طبرق كانت معدَّة لتكون القاعدة الرئيسية للعمليات الحربية الإيطالية ضد مصر، وكان حولها خط دفاعي حصين يتكوَّن من نقاط دفاعية قوية فإن الهجوم البريطاني ضدَّها الذي بدأ يوم 20 يناير 1940 لم

يستغرق سوى يومين فقط، فقد تمَّ استيلاء القوات البريطانية عليها يوم 21 يناير دون مقاومة تُذكَر.

المرحلة الثالثة: المطاردة إلى إجدابية والعقيلة في يوم 7 فبراير 1940 استولت القوات البريطانية على مدينة بني غازي، واستسلم القائد الإيطالي الجنرال برجنزولي بلا قيد أو شرط، وبذا تمَّ القضاء على الجيش العاشر الإيطالي الذي وقع منه خلال هذه العمليات حوالي 130 ألف جندي في الأسر، واستولى البريطانيون على عدد كبير من الدبابات والعربات والمدافع، واندفعت السيارات المدرعة البريطانية إلى إجدابية والعقيلة، وتمَّ للبريطانيين احتلال برقة.

وأعلن ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطاني على الشعب أنَّه "خلال ثمانية أسابيع وقعت تلك الحملة التي سوف تُدرَّس فيما بعد كنموذج للفن العسكري، فالجيش الإيطالي في ليبيا البالغ عدده مائة وخمسون ألفًا قد أُسرَ، وأُبيدَ ووقعت في أيدينا برقة"، كما وصف تشرشل القائد البريطاني الجنرال ويفل بأنه من رجال الحرب ذوي الحصافة والجسارة والإقدام.

الجولة الثالثة: "ألمانية":

عقب هزيمة الجنرال جرازياني، والقضاء على الجيش العاشر الإيطالي صمَّم الزعيم النازي هتلر على ضرورة نجدة حلفائه الإيطاليين في ليبيا حتى لا يسقط شمال أفريقيا في يد بريطانيا، وصدر قراره بنقل بعض تشكيلات ألمانية مدرَّعة إلى ليبيا على وجه السرعة مسلَّحة بدبابات ثقيلة وخفيفة، ومدافع ثقيلة مضادة للدبابات ومضادة للطائرات، وكانت أوامره أن يتمَّ نقل الأفراد بالطائرات، بينما تُنقَل الأسلحة والمعدات بطريق البحر، ونتيجة لعمليات النقل الجوية والبحرية الواسعة النطاق بدأ فيلق البانزر الألماني يتشكَّل في ليبيا خلال شهر فبراير 1941 محاطًا بستار من السرية والكتمان، وفي 15 فبراير تمَّ تعيين الجنرال إروين روميل قائدًا للقوات الألمانية في ليبيا، وكان الهدف المبدئي

الذي حُدِّدَ له من قيادته العليا هو مساعدة الإيطاليين في ليبيا، ومنع تقدُّم القوات البريطانية إلى طرابلس.

وكان روميل قد أحرز نجاحًا كبيرًا، وشهرة واسعة في معركة فرنسا عندما كان يتولى قيادة فرقة البانزر السابعة التي أطلقَ عليها "فرقة الشبح"، لفرط سرعتها واندفاعها، ولذا اختارته القيادة الألمانية العليا لقيادة العمليات الحربية في شمال أفريقيا باعتباره أحد القادة الألمان القلائل الذين برعوا في قتال المدرعات، وقد أثبت روميل بعد العمليات التي خاضها في شمال أفريقيا أنه قد غدا أيضًا أبرع القادة في حرب الصحراء.

ولكن الجنرال ويفل قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط هو وضباط قيادته وقعوا في خطأ جسيم عندما أخطأ تقديرهم لموقف قوات المحور في ليبيا، وحسابهم لعامل الوقت والمسافة، فقد قرَّروا أن روميل لن يكون قادرًا على شنّ أي هجوم بقواته على القوات البريطانية في برقة قبل شهر مايو 1941، وربما كان لهم بعض العذر إذا علمنا أن هجوم روميل في 31 مارس 1941 لم يفاجئ القيادة البريطانية وحدها، بل فاجأ أيضًا قيادته العليا في برلين.

لقد صدرت التعليمات إلى روميل في 21 مارس لإعداد خطَّة لاستعادة برقة من القوات البريطانية على أن تُعرَض الخطة على القيادة العليا للمناقشة ليس متأخرًا عن 20 إبريل، وعلى أن يُوضَع في الاعتبار عدم تجاوز (إجدابية) إلا بعد وصول الفرقة 15 بانزر الألمانية إلى ليبيا، ولقد تحوَّلت عمليات الاستطلاع بعيدة المدى التي قام بها روميل في 31 مارس 1941 إلى عملية هجوم كاسحٍ لاسترداد برقة عندما نجح روميل في الاستيلاء على العقيلة بسهولة تامة، وفي 2 إبريل استولت قوات المحور على إجدابية، وفي 3 إبريل أمر الجنرال نيم قائد الفيلق 13 البريطاني بإخلاء بني غازي عاصمة برقة بعد عمليات تدمير واسعة النطاق.

وفي 7 إبريل اتمَّت القوات البريطانية انسحابها من درنة، ووقع الجنرال نيم قائد

الفيلق 13 أسيرًا في يد الألمان، بينما كان في المنطقة الأمامية، وظلّت رئاسة الفيلق 13 دون قائد عقب الانسحاب من درنة، مما كان سببًا في حالة الارتباك التي حاقت بالقوات البريطانية، وعلى الرغم من استمرار القوات البريطانية في انسحابها شرقًا حتى وصلت إلى السلوم في 11 إبريل 1941 فقد اتخذت القيادة البريطانية قرارها المهم بالدفاع عن طبرق، وعدم إخلائها، وسرعان ما ضربت القوات الألمانية الحصار حولها، وهو الحصار الذي استمر ثمانية شهور كاملة، وكانت الأسباب التي دعت الجنرال ويفل إلى اتخاذ قرار الدفاع عن طبرق هي:

1. حرمان روميل من قاعدة أمامية للتموين، مما يطيل خط مواصلاته.
2. حرمان قوات المحور من كميات التموين الضخمة الموجودة في طبرق.
3. منع قوات المحور من الزحف شرقًا إلى مصر؛ نظرًا للتهديد الذي تمثله قوات طبرق على جنبها الأيسر ومؤخرتها.

وعلى الرغم من توقف روميل بقواته عند الحدود المصرية؛ نظرًا لطول خط مواصلاته، ولوجود حاميه طبرق مما يهدد جنبه الأيسر ومؤخرته فإن حملته الحربية الناجحة التي استعاد بها برقة تُعَدُّ مثلاً رائعًا لخفة الحركة، فقد تقدّمت قواته ما يزيد على 850كم في أقل من أسبوعين.

وكان روميل قد عقد عزمه على ضرورة استيلائه على طبرق قبل استئناف زحفه شرقًا إلى الأراضي المصرية، ولذا لم تكد تنضم الفرقة 15 بانزر (المدرعة) إلى فيلقة الأفريقي حتى شنَّ الهجوم على دفاعات طبرق في منتصف إبريل 1941 خلال زوبعة رملية هائلة، ولكن هجومه فشل واضطّرت قواته إلى الانسحاب وكرر روميل هجومه على طبرق في ليلة 30 إبريل/ 1 مايو، مستغلاً ضوء القمر، ولكن الفرقة الاسترالية التي كانت تدافع عن طبرق استماتت في القتال، وألحقت خسائر فادحة بقواته، وخاصة في الدبابات، مما أجبر روميل على سحب قواته، واتخاذ قراره بالانتظار حتى يتم له استكمال استعداداته للهجوم.

وكان الجنرال ويفل لا يزال مُصراً - رغم انسحاب قواته من برقة - على ضرورة استعادة الموقف مرة أخرى، واسترداد برقة، أو على الأقل الوصول بقواته إلى طبرق، ورفع الحصار عنها.

وكان ويفل يأمل - برغم ضعف قوّته المدرَّعة من حيث العدد والتسليح والكفاءة - في إمكان إحراز نصر حاسم في المنطقة الأمامية قرب الحدود المصرية قبل أن يتمكَّن روميل من حشد قواته المدرَّعة المشتركة في حصار طبرق، وتحريكها شرقًا إلى منطقة الحدود لمواجهة الدبابات البريطانية.

وقد بدأ الهجوم البريطاني الذي عُرِفَ باسم "معركة باتل آكس" في فجر يوم 15 يونيو 1940، ولم يستمر سوى ثلاثة أيام، وبرغم نجاح البريطانيين في احتلال كابوتزو ومساعد جنوب البردية فإن الهجمات التي شُنَّت في السهل الساحلي ضد السلوم وممر حلفاية باءت بفشلٍ ذريع، فقد تمكن روميل من نقل جانب من قواته المدرعة المشتركة في حصار طبرق على وجه السرعة إلى المنطقة الأمامية قربَ الحدود، ووجَّهها شرقًا صوب ممر حلفاية لقطع خط الرجعة على القوات البريطانية التي تزحف في اتجاه الغرب؛ ونظرًا لتحرُّج موقف القوات البريطانية بعد فقدها معظم دباباتها لذا أمر الجنرال ويفل بوقف الهجوم، وانسحاب قواته إلى ما وراء الحدود المصرية.

ولولا المصاعب الإدارية التي صادفت روميل بالنسبة لطول خط مواصلاته لَتمكَّن من الاستمرار في زحفه شرقًا، وتدمير القوات البريطانية المنسحبَة.

طبرق بين أوكنلك وروميل

الفصل الثاني

في يوليو 1941 تمَّ تعيين الجنرال كلود أوكنلك قائدًا عامًا للقوات البريطانية في الشرق الأوسط خلفًا للجنرال أرشيبالد ويفل، وفي أكتوبر من العام نفسه أُعيدَ تنظيم القوات البريطانية في الصحراء الغربية، وأطلق عليها اسم "الجيش الثامن"، وعُيِّنَ الجنرال كننجهام قائدًا لهذا الجيش.

وكان الجيش الثامن بعد إعادة تنظيمه يتكوَّن من الفيلق 13 بقيادة الجنرال أوستن (يضم الفرقة 2 نيوزيلندية، والفرقة 4 هندية، واللواء الأول دبابات الجيش)، وكذا من الفيلق 30 بقيادة الجنرال نوري (يضم الفرقة 1 جنوب أفريقيا، ولواء الحرس الملكي 22، والفرقة 7 المدرعة، وكذا الفرقة 70 التي تشمل جميع قوات طبرق)، فضلاً عن الاحتياطي العام (الفرقة 2 جنوب أفريقيا، واللواء 21 هندي)، وكانت قوات المحور التي تحت قيادة الجنرال إروين روميل تتكون من فيلق البانزر الأفريقي الذي يضم (الفرقتين 15 و21 بانزر، والفرقة 90 الخفيفة)، والفيلق الإيطالي المكون من (الفرقة أريتي المدرعة، والفرقتين تريستا وترينتو من المشاة المحمولة)، علاوة على 6 فرق مشاة إيطالية.

وكانت قوات المحور بعد وصولها في هجومها المضاد إلى منطقة الحدود قد قامت بتحصين مواقعها الدفاعية في مناطق الحلفاية والسلوم (داخل الحدود المصرية)، وسيدي عُمر، والبردية (داخل حدود برقة)، وزوِّدت هذه المواقع بمجموعة من النقاط القوية تضم كلٌّ منها عدة دشم من المدافع المضادة للدبابات من عيار 88مم، ومدافع الماكينة، وكان الهدف من ذلك أن تصبح منطقة الحدود المشتركة منطقة دفاعية حصينة يمكنها أن تصدَّ أي زحف بريطاني من مصر في اتجاه طبرق لنجدة حاميتها المحاصرة، وبينما توزعت قوات المحور حول طبرق لإحكام الحصار حولها، وستر طرق الاقتراب إليها من الشرق والجنوب تمركزت فرقتا البانزر المدرعة 15 و21 قرب الساحل ما بين طبرق والبردية كاحتياطي عام لقوات المحور، ولتدمير أيَّة قوات بريطانية في حالة تقدُّمها في السهل الساحلي غربًا.

وكان كل من القائدين المتحاربين روميل وأوكنلك يدرك تمامًا أهمية طبرق بالنسبة للعملية المقبلة، ولذا كان روميل يهدف إلى سرعة الاستيلاء عليها خاصة بعد الفشل الذي مُنِيَتْ به قواته مرتين على أبوابها، وكان غزو مصر في اعتقاده لا يمكن أن ينجح قبل سقوط طبرق في قبضته بكل ما تضمُّه من مخازن ومستودعات ضخمة للتموين والوقود، مما سوف يكون عاملاً مساعداً لسرعة تقدمه شرقًا صوب الأراضي المصرية، وزوال التهديد الذي تحقِّقه طبرق لقواته ببقائها كشوكة على جنب ومؤخِّرة قواته، ومن الناحية الأخرى كان أوكنلك يرى ضرورة التقدُّم بقواته غربًا؛ للاتصال بحامية طبرق، ورفع الحصار عنها تمهيداً للعملية الكبرى التي تعلَّقت بها آمال البريطانيين، وعلى رأسهم تشرشل رئيس وزراء بريطانيا، وهي إحراز انتصار حاسم في ليبيا يرفع من سمعة بريطانيا الحربية التي اهتزت، ويستعيد بها الجيش الثامن (برقة)، خاصة وأنها أول معركة يخوضها هذا الجيش بتشكيله الجديد تحت قيادة الجنرال أوكنلك.

وكان القائد البريطاني يدرك تمامًا أهمية الدور الذي تلعبه حامية طبرق - برغم وقوعها تحت الحصار - بالنسبة للوضع الاستراتيجي للجيش الثامن؛ لذا قال أوكنلك في مذكراته: "إن نجاتنا من التطويق في منطقة الحدود لمدة أربعة شهور ونصف ترجع بلا شك إلى المدافعين الشجعان في طبرق؛ لقد استطاعوا حجز قوة تماثل ضعف قوتهم في الحجم، وما دامت طبرق صامدة فلن يكون هناك أي تقدم في اتجاه مصر"، وهكذا كان كل من القائدين الكبيرين روميل وأوكنلك في وقت واحد يخطِّط لشنِّ الهجوم على قوات خصمه في النصف الثاني من شهر نوفمبر 1941، ولم يكن حصول روميل على الإذن بمهاجمة طبرق سهلاً، فقد كان هتلر ومستشاروه في القيادة العليا الألمانية يعارضون في قيام روميل بأية عمليات حربية في الميدان الأفريقي قبل شهر يناير 1942؛ إذ كانوا يعتبرون هذا الميدان ثانويًا، وكانوا وقتئذ مشغولين في العمليات الحربية واسعة النطاق، والدائرة بين مئات الفرق في ميادين الاتحاد السوفيتي، وعندما أخطَرَت المخابرات الألمانية القيادة العليا بأن الجنرال أوكنلك يخطِّط لشنِّ هجومٍ كبيرٍ ضد قوات المحور في

برقة أخطرت القيادة العليا الجنرال روميل بأن من الأفضل له أن يترك التفكير في مهاجمة طبرق حاليًا، وأن يستعد لمواجهة الهجوم البريطاني المنتظر، ولم يتقبَّل روميل هذا التوجيه من قيادته الذي كان يعني نقل ميزة المبادأة إلى أعدائه البريطانيين قبل أن تبدأ المعركة، فضلاً عن صعوبة صدِّ الهجوم البريطاني على قواته في حالة بقاء طبرق في يد البريطانيين، ولذا طار روميل إلى روما حيث مقر القيادة الجنوبية للمحور، وبرفقته الجنرال فون رافنستين قائد الفرقة 21 بانزر الألمانية، وفي مقر القيادة الجنوبية اتُّصل روميل هاتفيًا بالجنرال جودل في القيادة العليا في برلين، وناقشه روميل في قرار القيادة بتأجيل هجومه على طبرق حتى يناير المقبل، مما يُعرِّض قواته لأفدح الأخطار، ولم يعط (جودل) التصريح لروميل بالهجوم على طبرق إلا بعد أن أعطاه روميل ضمانًا صريحًا بتحقيق النجاح في هذه العملية، وتحدد موعد الهجوم ليكون يوم 23 نوفمبر 1941، ونظرًا لحضور قرينة روميل وقرينة فون رافنستين إلى روما للقاء زوجيهما، ومشاهدة معالم العاصمة الإيطالية لذا قرر روميل البقاء في روما مع زوجته لحين احتفاله بعيد ميلاده في 15 نوفمبر، وكان بقاء روميل في روما وابتعاده عن مقر قيادته سببًا في نجاته من الموت أو الأسر، فقد دبَّرت القيادة البريطانية عملية سريَّة خطيرة لنزول جماعة من الكوماندوز البريطانيين على الشاطئ؛ لاقتحام مقر قيادة روميل بهدف قتله أو أسره للتخلص من هذا الثعلب الماكر الذي دوَّخ البريطانيين بقواته المدرعة، وبتكتيكاته المبتكرة في حرب الصحراء.

ففي مساء يوم 14 نوفمبر 1941 اقتربت غوَّاصة بريطانية من الشاطئ في برقة، وأنزلت مجموعة من الفدائيين بقيادة الكولونيل جيو فري كيز، وسار كيز ومجموعته حيث قابلوا الميجور جون هزلدين ضابط المخابرات البريطاني الذي سبق لغواصة بريطانية إنزاله منذ عدة أسابيع على الشاطئ، والذي تخفَّى في زي رجلٍ بدويٍّ، وعاش خلال هذه الفترة مختلطًا بالبدو حتى أتمَّ دراسة المنطقة، وأخبر هزلدين المجموعة بأن مقرَّ قيادة روميل يقع في (بيضاء ليتوريا) داخل مبنيين كبيرين بجوار الطريق المزروع

بشجر السرو، وقادهم إلى مقرِّ هذه القيادة سيرًا على الأقدام لبضعة كيلومترات، وحدَّد للمجموعة المبنى الذي يعيش فيه القائد الألماني الشهير ثعلب الصحراء، والذي حضروا خصيصًا لاصطياده.

وعند منتصف الليل هاجم الكولونيل كيز على رأس مجموعته المبنى الذي اعتقدوا أن بداخله روميل، وصاحوا على الحارس بالألمانية كي يفتح الباب، ولما تردَّد أردوه قتيلاً، وأسرعوا إلى الداخل، وفي أول غرفة اقتحموها قذفوا بقنبلة يدوية بين مجموعة من الضباط الألمان كانوا بداخلها، وعند ذلك انطفأت جميع أنوار المبنى، وساد السكون التام، وعند دخول الغرفة الثانية لتفتيشها انطلقت دفعة نيران سقط كيز في إثرها مضرجًا بدمائه، وقذف واحد من المجموعة البريطانية بقنبلتين يدويتين في وسط الغرفة، وأغلق الباب بعد أن سحب أفراد المجموعة كيز من الغرفة، ولكنهم اكتشفوا أنه قد مات، وفي أثناء انسحاب المجموعة من المبنى بعد فشل مهمَّتها كُسرَت ساق أحد الضباط، فاضطروا لتركه حيث وقع في الأسر، ونتيجة لهذه الإغارة الفدائية الجريئة قُتلَ أربعة من الضباط الألمان تمَّ دفنهم مع الكولونيل البريطاني الذي منح اسمه وسام صليب فكتوريا، وذلك في تلٍّ على بُعد ميل واحد من بلدة بيضاء ليتوريا، وبرغم الجرأة التي اتسَّمت بها الإغارة والتخطيط الدقيق لها فلم تسفر عن أية نتيجة إيجابية إذ لم يكن روميل في أفريقيا كلها في ذلك الوقت، بل كان يحتفل بعيد ميلاده في روما. أما المبنى الذي أغاروا عليه لم تكن به قيادة روميل كلية، بل كان مبنى رئاسة الإمدادات والتموين لفيلق البانزر الألماني، أما مقر قيادته الحقيقي فقد كان في (عين الغزالة)، بينما كان مقر قيادته الأمامي بالقرب من جمبوت، وكان سرُّ فشل الإغارة يرجع إلى خطأ المعلومات التي استقاها ضابط المخابرات البريطاني هزلدين من البدو.

معركة الكروسيدر

الفصل الثالث

بدأ الهجوم البريطاني في 18 نوفمبر 1941؛ أي قبل أربعة أيام من الموعد الذي حدَّده روميل لشنٍّ هجومه على طبرق، مما جعل ميزة المبادأة في حوزة البريطانيين. هذا وقد جرت العمليات الحربية التي عُرِفَت باسم "معركة الكروسيدر" في ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: العمليات لرفع الحصار عن طبرق:

تقدَّمت الفرقة 7 المدرعة (من الفيلق 30 البريطاني) خلال يوم 18 نوفمبر إلى منطقة قبر صالح، وفي يوم 19 نوفمبر استولى أحد ألوية الفرقة على سيدي رزق ومطارها، بينما دار قتال عنيف بين اللواءين المدرعين الآخرين للفرقة وقوات مدرعة من المحور في منطقتي بير الجوبي وشرق قبر صالح، مما ألحق خسائر فادحة بالطرفين، وسارع روميل بحشد فرقتيه المدرعتين (15 و21) بالقرب من بير الجوبي لمواجهة الهجوم الرئيسي للبريطانيين، والقيام بهجوم مضاد تشترك معهما فيه فرقة أريتي الإيطالية المدرَّعة؛ لتدمير القوات البريطانية جنوب شرق طبرق.

وإزاء المعلومات التي تلقاها الفيلق 30 عن نجاح عمليات الفرقة 7 المدرعة، وقدرتها على إجراء الاتصال بحامية طبرق لذا أصدر قائد الفيلق أمره إلى حامية طبرق (الفرقة 70) للقيام بالهجوم صباح يوم 21 نوفمبر في اتجاه الجنوب الشرقي، كما أصدر أمره إلى قائد الفرقة 7 المدرعة بالهجوم في الموعد نفسه في اتجاه الشمال الغربي للاتصال بحامية طبرق على أن يتم اللقاء في منطقة (الدودة)، وفي ليلة 20/ 21 نوفمبر قامت الفرقة 2 نيوزيلندية (من الفيلق 13 البريطاني) بحركة التفاف من جنوب سيدي عُمر حول دفاعات المحور في منطقة الحدود، وتمكنت في يوم 21 نوفمبر من احتلال كابوتزو وسيدي عزيز، وفي ليلة 21/ 22 نوفمبر تمكنت الفرقة من احتلال مساعد، وتركت أحد ألويتها في منطقة مساعد ـ كابوتزو ـ سيدي عزيز، وفي فجر يوم 22 نوفمبر تحرَّكت

الفرقة غربًا مستهدفة عزل وحدات المحور في منطقة الحدود، واستولت خلال تقدّمها على (جمبوت)، ولكنها اصطدمت بمقاومة عنيفة من قوات المحور مما أجبرها على التوقف.

وبالنسبة لعملية رفع الحصار عن طبرق فقد بدأ هجوم دبابات حامية طبرق في الساعة السادسة صباح يوم 21 نوفمبر بعد أن تمَّ لمهندسي الحامية فتح عدة ثغرات في حقول الألغام وفي الأسلاك الشائكة، واستمر القتال يومي 22 و23 في وجه مقاومة شديدة من مشاة ألمانية مدَّعمة بعناصر من المدفعية المضادة للدبابات من عيار 88مم جعل معدَّل التقدُّم بطيئًا، وانتظرت قوات حامية طبرق وصول وحدات من الفرقة 7 المدرعة لعمل الاتصال بينهما، ورفع الحصار عن طبرق ـ وفقًا للخطة ـ، ولكن وحدات الفرقة المدرعة فشلت إزاء شدة المقاومة الألمانية في شقِّ الطريق إلى المدينة المحاصرة، مما جعل عملية رفع الحصار عن طبرق يصادفها الفشل.

المرحلة الثانية: إغارة روميل على الحدود المصرية:

بينما كانت تشيكلات الجيش الثامن تشقُّ طريقها في السهل الساحلي في اتجاه الغرب بصعوبة بالغة في وجه مقاومة عنيفة من قوات المحور، وفي الوقت الذي أخذ فيه الجنرال كننجهام قائد الجيش الثامن يحاول إعادة تنظيم قواته بعد الضربات العنيفة التي حاقت بها تمهيدًا لاستئناف الهجوم في اتجاه الغرب، والتخطيط مرة أخرى لعملية رفع الحصار عن طبرق بعد الفشل الذي صادفته إذا بثعلب الصحراء روميل يترك أرض المعركة الرئيسية، ويفاجئ البريطانيين يوم 24 نوفمبر بزحفه بعدَّة مجموعات من قواته المدرَّعة والمشاة الراكبة في اتجاه الأراضي المصرية، واشتبكت قوات المحور في أثناء تقدُّمها شرقًا بقوات بريطانية كانت متمركزة في قبر صالح، مما أجبر رئاسات التشكيلات البريطانية على الانسحاب بسرعة نحو الحدود المصرية، وعندما وصلت قوات المحور إلى منطقة الحدود هاجمت المناطق الإدارية الخلفية للجيش الثامن، وقوافل تموينه في منطقتي مادالينا وبئر شيفرزن مدمِّرة في طريقها كلَّ ما يصادفها من مخازن أو قوافل أو عربات، مما بَثَّ

الذعر والفزع في المراكز الإدارية، وأدى إلى فرار آلاف من اللواري والعربات إلى داخل الحدود المصرية، وهي في حالة عارمة من الفوضى والارتباك حتى وصل العديد منها في فراره شرقًا إلى منطقة مرسى مطروح.

وفي يوم 25 نوفمبر كان موقف الجيش الثامن قد أصبح حرجًا على الرغم من توقُّف إغارة روميل تحت تأثير شدَّة الهجمات الجوية البريطانية على خطوط مواصلاته، مما أرغمه على وقف تقدُّمه، والانسحاب إلى قاعدته غرب البردية، ولكن فشل جميع وحدات الجيش الثامن في تحقيق أهدافها برغم مضي أسبوع على بدء الهجوم البريطاني جعل اليأس يتسرَّب إلى الجنرال كننجهام، لذا أصدر أمره بانسحاب قيادة الجيش الثامن إلى داخل الحدود المصرية، وبدأ يجهِّز الانسحاب لتشكيلاته لتنسحب على مراحل إلى داخل الحدود؛ حرصًا على سلامتها من التدمير على أن يقوم داخل الحدود المصرية بإعادة تنظيم قواته لمعاودة هجومه مرة أخرى في ظروف أكثر ملائمة، وكانت العوامل التي أدت إلى اتخاذ الجنرال كننجهام قرار التوقف عن الهجوم والانسحاب شرقًا ترجع أساسًا لفشل عملية رفع الحصار عن طبرق، وعجز الفيلقين 13، 30 عن مواصلة التقدُّم غربًا، وتحقيق الأهداف المخصصة لهما، وكذا فداحة الخسائر التي حاقت بالفرقة 7 المدرعة (القوة المدرعة الرئيسية)، وعجزها عن تدمير قوات المحور المدرعة، فضلاً عن انعزال التشكيلات الأمامية البريطانية عن قواعدها الإدارية الخلفية بعد ما حاق بالمناطق الإدارية من فوضى، وارتباك نتيجة للمفاجأة المذهلة التي حلَّت بها عندما وجدت الدبابات الألمانية فجأة تعيث فسادًا في كل أرجائها، وعندما علم الجنرال أوكنلك بقرار قائد الجيش الثامن طار على الفور من مركز قيادته بالقاهرة إلى قيادة الجيش الثامن بالصحراء، وبعد مناقشة خطة كننجهام كان قراره الذي أعلنه كما يلي:

"ليس أمامنا سوى مواصلة هجومنا بكل الوسائل التي في حوزتنا لتحقيق هدفنا الرئيسي، وإن المخاطرة التي تكتنف ذلك ينبغي قبولها، ويجب استكمال هجومنا على العدو بلا رحمة مستخدمين كل مواردنا ولو إلى الدبابة الأخيرة"، وتبع أوكنلك هذا

العدو بلا رحمة مستخدمين كل مواردنا ولو إلى الدبابة الأخيرة" ، وتبع أوكنلك هذا القرار بتَنْحيَة الجنرال كننجهام عن القيادة ، وأصدر يوم 25 نوفمبر أمره بتعيين الجنرال ريتشي قائدًا للجيش الثامن ، وكان يعمل نائبًا لرئيس أركان القيادة البريطانية في الشرق الأوسط .

المرحلة الثالثة: استئناف الهجوم البريطاني:

في يوم 26 نوفمبر 1941 وبأمر من الجنرال أوكنلك تجدَّدت المحاولة البريطانية لرفع الحصار عن طبرق ، فاستأنفت حامية طبرق (الفرقة 70) هجومها في اتجاه الدودة ، وتمكنت من احتلالها قبل حلول الظلام ، وفي اليوم التالي 27 نوفمبر حقَّقت الفرقة 2 نيوزيلندية بتدعيم من الدبابات اتصالها بحامية طبرق بعد تقدُّمها من سيدي رزق ، وسارعت قيادة الفيلق 13 التي كانت متقدِّمة خلف النيوزيلنديين بالدخول إلى طبرق .

ولم يقف روميل ساكنًا إزاء هذه المحاولة البريطانية لتدعيم الاتصال بطبرق ، فلم يكد يعود بقواته المدرعة إلى أرض المعركة الرئيسية عقب انتهاء إغارته الجريئة على الحدود المصرية حتى تمكَّن يوم 27 نوفمبر من حشد فرقتيه المدرعتين (15 و21 بانزر) ، والفرقة 90 الخفيفة ، وفرقة أريتي الإيطالية المدرعة شرق وغرب ممر الاتصال (سيدي رزق ـ الدودة) ، ودار القتال طوال يومي 28 و29 نوفمبر بشدة وعنف ، حيث حاولت قوات روميل قطع ممر الاتصال بأي ثمن ، بينما أخذت الفرقة النيوزيلندية تدافع عنه باستماتة .

وفي يوم 30 نوفمبر شنت قوات المحور المدرَّعة هجومًا عنيفًا على ممر الاتصال ، وتمكَّنت من الاستيلاء على سيد رزق ، وتكبدَّت الفرق النيوزيلندية خسائر فادحة ، وبذا نجح روميل في تحطيم ممر الاتصال بين الجيش الثامن وطبرق ، وعادت طبرق لتواجه انعزالها مرة أخرى .

وبرغم الإغارة الجريئة التي قام بها روميل على الحدود المصرية ، والتي قال عنها

العسكريون قد اعتبروها من أروع العمليات الحربية " ، وبرغم نجاح روميل في الاستيلاء على سيدي رزق، وإعادة فرض الحصار حول طبرق فإنه لم يستطع إحراز النصر الذي كان يستهدفه؛ لعظم خسائره في الدبابات، فلم يعد متبقيًا لديه سوى 60 دبابة، بينما كان لدى الجيش الثامن ما يزيد على ضعف هذا العدد في الوقت الذي طالت فيه خطوط مواصلاته، وأخذت تتعرَّض بصفة مستمرة للهجمات المفاجئة من وحدات بريطانية خفيفة الحركة وبعيدة المدى (سيارات مدرعة) خُصِّصَت لهذا الغرض، وأُطلقَ عليها اسم (قولات جوك)، وقد تمكَّن آلاي سيارات مدرعة من جنوب أفريقيا من تدمير مستودع البترول الرئيسي للمحور بالقرب من بير الجوبي يوم 5 ديسمبر، مما أدى إلى تفاقم مشاكل المحور الإدارية، وفضلاً عن ذلك لم يكن لدى روميل احتياطي يمكن الاعتماد عليه لاستغلال أي نجاح يحقِّقه في الوقت الذي لم يكن فيه لدى روميل أي أمل في وصول أي إمدادات إليه من بلاده؛ نظرًا لأن العمليات الحربية على الجبهة السوفيتية كانت محتدمة، وتستهلك معظم الموارد الألمانية.

وعقب انتهاء إغارة روميل على الحدود المصرية، ونجاحه في عزل طبرق مرة أخرى عن الجيش الثامن حاول روميل بكل الوسائل الاتصال بقواته المعزولة قرب الحدود المصرية، والتي كانت تتمركز في ثلاثة من المراكز قوية التحصين (البردية والسلوم وممر حلفاية)، وكان يأمل أن تؤدي عملياته الاستطلاعية التي قام بها في اتجاه الحدود بطابورين مدرَّعين قويين تقدَّم أحدهما على الطريق الساحلي، والآخر على طريق كابوتزو إلى نجاحه في سحب هذه الحاميات الألمانية والإيطالية من مواقعها؛ تجنبًا لانعزالها من جهة، ولتنضم إلى قواته التي أُنهكَت في القتال، وفقدت معظم دباباتها من جهة أخرى، ولكن محاولته باءت بالفشل؛ بسبب عنف مقاومة الفرقة 4 الهندية، واللواء النيوزيلندي، واستماتتهما في القتال في الوقت الذي تعرَّضت فيه مدرَّعاته لهجمات عنيفة من سلاح الطيران البريطاني، وإزاء كل هذه العوامل المثبِّطة للهمم قرر الجنرال روميل العدول عن مواصلة الهجوم، وأخذ في إعادة تنظيم قواته تمهيدًا

الجنرال روميل العدول عن مواصلة الهجوم، وأخذ في إعادة تنظيم قواته تمهيداً للانسحاب غربًا، ومستهدفًا الوقوف على خط تعطيلي يمتد من غرب طبرق شمالاً، ويسير في اتجاه الجنوب الشرقي إلى موقع بير الجوبي الحصين على مواجهة تزيد على 80كم.

وفي الوقت نفسه وجد الجنرال ريتشي أن أفضل الحلول أمامه بعد التطوُّرات التي جدَّت على الموقف، وعلى الرغم من الخسائر الكبيرة التي لحقت بقواته أن يتمسَّك بالخطة الأصلية التي كانت تستهدف رفع الحصار عن طبرق أولاً قبل استئناف الهجوم غربًا لاحتلال برقة، ولذا أصدر أمره بأن تتقدم الفرقة 4 الهندية والفرقة 7 المدرعة لمهاجمة سيدي رزق، واحتلالها بالتعاون مع حامية طبرق التي كُلِّفَت بشنِّ هجومها من منطقة الدودة في اتجاه سيدي رزق.

ودارت معركة عنيفة حول سيدي رزق يومي 5 و6 ديسمبر 1941 بين القوات البريطانية التي تدعمها الدبابات وبين القوات المدرَّعة للمحور التي حشدها روميل لستر انسحاب قواته، وإزاء اشتداد ضغط الفرقة 4 الهندية سقطت سيدي رزق يوم 8 ديسمبر في أيدي البريطانيين، وأخذت قوات المحور في الانسحاب في اتجاه الغرب، وفي يوم 10 ديسمبر احتفلت حامية طبرق برفع الحصار نهائيًا عن المدينة بعد أن استمر ثمانية شهور، وفي يوم 11 ديسمبر واصلت القوات البريطانية زحفها غربًا على الطريق الساحلي، وأسند الجنرال ريتشي مسئولية المطاردة إلى الفيلق 13، وكانت قوات المحور المنسحبة قد احتلت خطًّا تعطيليًّا عند الغزالة يمتد جنوبًا في الصحراء لمسافة تبلغ حوالي 48 كم، ووضعت في طرفه الجنوبي وحدات مدرَّعة قوية لمنع أية محاولة بريطانية للالتفاف حول الخط التعطيلي، ولكن هذا الخط التعطيلي الذي تعرَّض لهجوم بريطاني عنيف يومي 14 و15 ديسمبر من وحدات من الفيلق 13 لم يتمكَّن من الصمود طويلاً؛ بسبب النقص الكبير في الدبابات والهجمات الجوية البريطانية التي تركزت عليه، وفي صباح يوم 17 ديسمبر 1941 كانت وحدات المحور قد أتمَّت إخلاء مواقعها على خط الغزالة،

واصلت مطاردة قوات المحور على الطريق الساحلي، وعلى الرغم من التفوق البريطاني في الدبابات، ومعاونة سلاح الطيران البريطاني الفعالة فإن انسحاب روميل لم يتحوَّل أبدًا إلى هزيمة وفوضى، بل كان انسحابًا قتاليًّا منظَّمًا، وعلى مراحل متتابعة وراء ستارة قوية من المدافع المضادة للدبابات من عيار 88مم، وتعاملت القوة المدرعة الألمانية برغم ما تعانيه من نقص في الدبابات وفي الوقود بمهارة كبرى مع قوات المطاردة البريطانية، وأحبطت كل محاولاتها لتطويق القوة الأساسية، أو الالتفاف حولها.

الانسحاب إلى خط العقيلة

بدأت قوات المحور بعد إخلائها خط الغزالة في الانسحاب غربًا، وقد خصَّص أمر الانسحاب الذي أصدره الجنرال روميل الطريق الساحلي لتحرُّك فرق المشاة الإيطالية التي تستخدم لواري النقل، والتي يصعُب عليها التحرُّك عبر الصحراء، كما خصص الطريق الصحراوي الداخلي (الغزالة ـ المخيلي ـ مسوس) لتحرُّك فيلق أفريقيا الألماني والفيلق 20 الإيطالي اللذين يضمان الفرق المدرعة وفرق المشاة الراكبة، وواصل الفيلق 13 البريطاني عملية مطاردة قوات المحور دافعًا الفرقة 4 الهندية لمطاردة فرق المشاة الإيطالية المنسحبة على الطريق الساحلي، والفرقة 7 المدرعة لمطاردة الفيلق المدرع الأفريقي والفيلق الإيطالي خفيف الحركة المنسحبين على الطريق الداخلي. وفي يوم 24 ديسمبر سقطت بني غازي في أيدي الفرقة 4 الهندية، ولكن الفرقة 7 المدرعة؛ نظرًا لانتشار قواتها فشلت في تطويق المواقع الدفاعية التي احتلَّتها قوات المحور في جنوب إجدابية، خاصة بعد الهجمات العنيفة التي شنَّتها قوات البانزر الألمانية.

ولم يكن توقُّف قوات المحور، واحتلالها للخط الدفاعي جنوب إجدابية إلا مرحلة مؤقتة لالتقاط الأنفاس بعد هذا الانسحاب الطويل الشاق في وجه مطاردة لا هوادة فيها، وكان روميل يهدف من توقُّف قواته على هذا الخط لفترة زمنية محدودة أن تتاح له الفرصة لإجراء عملية إعادة التنظيم، وكذا لستر عملية إعداد المواقع الدفاعية في العقيلة التي تقع على بعد حوالي 120 كم جنوب غرب إجدابية، وكان روميل قد عقد العزم

الفرصة لإجراء عملية إعادة التنظيم، وكذا لستر عملية إعداد المواقع الدفاعية في العقيلة التي تقع على بعد حوالي 120 كم جنوب غرب إجدابية، وكان روميل قد عقد العزم على أن تكون وقفته الأخيرة على خط العقيلة؛ نظرًا لأن إجدابية لم تكن تضم أي موانع طبيعية يمكن الارتكاز عليها؛ مما يَسهُل معه تطويقها، أو اختراق مواقعها الدفاعية.

وكان خط العقيلة يعد خطًّا دفاعيًّا مثاليًّا بالنسبة لقوات روميل التي أُنهكَت في القتال، ثم في الانسحاب الطويل تحت ضغط العدو مما كبدها خسائر كبيرة سواء في الأفراد، أو في المعدات، وخاصة في الدبابات، فقد كان الخط يرتكز على مانعين طبيعيين قويين هما: البحر المتوسط شمالاً ووادي الفارغ جنوبًا الذي يقع على حافة الصحراء الشاسعة التي تضم العديد من الكثبان وغرود الرمال الناعمة التي يصعب اجتيازها، وفي 7 يناير 1942 انسحبت قوات المحور إلى خط العقيلة، فوصلته يوم 11 يناير، ولم تتمكّن القوات البريطانية المدرَّعة من اللحاق بقوات المحور؛ نظرًا لتورطها في حقول ألغام عميقة.

ولم تكد قوات المحور تحتل الخط الدفاعي الحصين حتى تم تدعيمه بحقول ألغام واسعة وعميقة امتدت ما بين البحر المتوسط ووادي الفارغ، مما جعل الهجوم عليه أمرًا شديد الصعوبة، ولم يكن لدى الجيش الثامن البريطاني أية مقدرة لاقتحام هذا الخط سواء عن طريق اختراقه، أو الالتفاف حوله عن طريق وادي الفارغ، ثم تطويقه.

وكان روميل قد أجبرته تطورات المعركة على ترك ثلاثة من المواقع الحصينة بالقرب من الحدود المصرية الليبية في (البردية والسلوم وممر حلفاية) بعد أن فشلت محاولاته في سحبها، وضمها إلى قواته.

وكان روميل يأمل أن تؤدي هذه المواقع الدفاعية المحتلة بقوات من المحور والمدعَّمة بدشم خرسانية تضم مجموعات قوية من أطقم مدافع الماكينة، والمدافع المضادة للدبابات من عيار 88مم الدور نفسه الذي أدَّته طبرق عندما يحين أوان هجومه في المستقبل، فضلاً

ولكن الأمل في صمود هذه المواقع الثلاثة لم يلبث أن ضاع بعد قليل، فلقد أدرك الجنرال البريطاني ريتشي مدى خطورة بقاء هذه المواقع في يد قوات المحور على خط مواصلاته، لذا أوكل إلى قائد الفيلق 30 مهمة تطهير الطريق الساحلي، وإزالة المقاومات الموجودة عليه من عناصر المحور، وكلَّف البحرية وسلاح الطيران البريطاني بتدعيم فرقة جنوب أفريقيا التي أسند إليها الجنرال نوري قائد الفيلق 30 القيام بهذه المهمة الحيوية.

وفي فجر يوم 31 ديسمبر 1941 بدأ هجوم فرقة جنوب أفريقيا على دفاعات البردية (على بعد حوالي 27كم غرب الحدود المصرية) من اتجاه الجنوب الشرقي تحت غلالة ضخمة من نيران المدفعية، وبرغم الهجمات المضادة التي قامت بها قوات المحور استمر الهجوم البريطاني حتى اليوم التالي، وفي صباح يوم 2 يناير 1942 أعلن قائد قوات المحور استسلامه، ووقع معه في الأسر حوالي ثمانية آلاف من ضباطه وجنوده كان معظمهم من الإيطاليين.

ونظرًا لمناعة دفاعات السلوم، وممر حلفاية، وحقول الألغام التي تحيط بهما من كل جانب؛ لذا قرَّر قائد فرقة جنوب أفريقيا أن يشنَّ هجومه عليها لا من الشرق ـ كما كان منتظرًا ـ، ولكن من الغرب، حيث تكون الدفاعات أقل تحصينًا، وفي يوم 12 يناير سقطت السلوم في أيدي البريطانيين الذين تمكَّنوا أيضًا من الاستيلاء على مورد المياه الوحيد لحامية ممر حلفاية، وبذا تم تطويق الممر من جميع الجهات.

وبرغم الهجمات البريطانية البرية والجوية العنيفة، وبرغم قلة الطعام، وفقد الحامية لمورد مياهها الوحيد فقد ظلت قوة المحور في حلفاية تقاتل باستماتة حتى اضطرت إلى الاستسلام في 17 يناير 1942؛ نظرًا لنفاد مياهها، وهكذا وقع في الأسر القس الألماني الميجور باخ قائد قوات المحور في حلفاية وحوالي ستة آلاف من ضباطه وجنوده، وكان نصفهم تقريبًا من الألمان، وأعلن تشرشل رئيس وزراء بريطانيا ـ بعد انتهاء العمليات في

الميحور باخ قائد قوات المحور في حلفاية وحوالي ستة آلاف من ضباطه وجنوده، وكان نصفهم تقريبًا من الألمان، وأعلن تشرشل رئيس وزراء بريطانيا ـ بعد انتهاء العمليات في برقة التي استغرقت حوالي شهرين ـ على الشعب البريطاني نبأ الانتصارات التي أحرزها الجيش الثامن، فذكر أن خسائر المحور من القتلى والجرحى بلغت 11000 ألماني و13000 إيطالي، فضلاً عن أسر 36000 من الألمان والإيطاليين، وتدمير 386 من دبابات المحور.

الحملة البريطانية

في اليونان

الفصل الرابع

1. كان القرار البريطاني بمساعدة اليونان ضد الغزو الألماني قراراً خاطئاً من الناحية الإستراتيجية، ولكن إصرار الحكومة البريطانية على إمداد اليونان بهذه المعاونة جاء نتيجة الرغبة في المحافظة على هيبة بريطانيا في الشرق الأوسط، وخاصة في تركيا، ويرجع خطأ القرار البريطاني إلى الأسباب التالية:

أ- ضعف القوات البريطانية في الشرق الأوسط.

ب- تعرُّض خط المواصلات البحري من مصر إلى اليونان للهجوم الجوي الألماني بصورة إيجابية في العمليات.

ج- عدم تأكُّد القيادة البريطانية من اشتراك تركيا ويوغسلافيا المنتظَرة ضد ألمانيا.

2. على الرغم من خطأ هذا القرار فقد بدأت المعاونة البريطانية تحت قيادة الجنرال ميتلند ويلسون تتدفق على اليونان منذ منتصف مارس 1941، بينما بدأ الهجوم الألماني في 2 إبريل، وسرعان ما انهار خط دفاع يوغسلافيا في الجنوب، وبذا تعرَّض الجناح الأيسر البريطاني للتطويق في اليونان، وانهارت القوات اليونانية في مواجهة القوات المدرَّعة الألمانية، مما أدى إلى ضرورة انسحاب القوات البريطانية من اليونان.

3. بعد احتلال القوات الألمانية المنقولة جواً أراضي اليونان أصرَّت القوات البريطانية على إخلاء اليونان، وقد تمَّت هذه العملية من الشواطئ المكشوفة شرق اليونان يوم 2 مايو، واضطَّرت القوات البريطانية إلى التخلِّي عن كل معداتها الثقيلة، وحملاتها بعد أن خسرت 12 ألف جندي من القوة التي بلغت 58 ألف جندي عند بدء القتال، وقد تمَّ إخلاء جزء من هذه القوة إلى جزيرة كريت للدفاع عنها، بينما أرسِلَت باقي القوة إلى مصر.

عمليات جزيرة كريت:

قامت القوات البريطانية باحتلال جزيرة كريت للدفاع عنها، وبلغ عدد هذه القوات

حوالي 28 ألف جندي كان معظمهم من الفرقتين الأسترالية والنيوزيلندية اللتين أخليتا من اليونان، إلا أن الدفاع عن الجزيرة كان يفتقر إلى الحماية الجوية بعد سحب أسراب السلاح الجوي قبيل المعركة من جزيرة كريت.

4. كان قرار الدفاع عن كريت صائبًا لو أمكن توفير المعاونة الجوية الكافية للأسباب التالية:

أ- يمكن من كريت عزل مجموعة جزر الدودبكانير التابعة لإيطاليا؛ تمهيدًا للاستيلاء عليها، وحرمان السلاح الجوي الإيطالي من قواعده في شرق البحر الأبيض المتوسط.

ب- تعتبر كريت نقطة ارتكاز هامة لتقديم المساعدة الجوية والبحرية لتركيا لو هوجمت.

ج- توفُّر قاعدة للأسطول البريطاني للسيطرة على بحر إيجه وشرق البحر المتوسط.

5. أسرعت ألمانيا بمهاجمة كريت في 20 مايو بحرًا وجوًّا، وبرغم فشل الهجوم البحري لتدخُّل الأسطول البريطاني، وبرغم أن الإسقاط الجوي للجنود بالمظلات لم يصادف مقاومة عنيفة، وعلى إثر تدمير قسم كبر من سفن الأسطول البريطاني أصبح الموقف ميئوسًا منه، ولذا تقرَّر إخلاء الجزيرة بعد معركة دامت 12 يومًا خسر فيها البريطانيون حوالي 13000 جندي، وبرغم فشل الألمان في الاحتفاظ بالجزيرة إلا أن الخسائر في القوات المحمولة جوًّا وقوات المظلات كانت ضخمة لدرجة جعلت ألمانيا لا تكرر مثل هذه العملية مرة أخرى.

غزو ألمانيا لجزيرة كريت:

قامت ألمانيا بغزو جزيرة كريت في 20 مايو 1941 بهجومين بحري وجوي، وعلى الرغم من فشل الهجوم البحري نتيجة تدخُّل الأسطول البريطاني فإن الهجوم الجوي، وإنزال أعداد كبيرة من جنود المظلات على الجزيرة لم يُقابَلا بمقاومة كبيرة من حامية

الجزيرة اليونانيين، وعلى إثر نجاح الألمان في احتلال المطارات، وإنزال قوات كبيرة من جنود المظلات، وتدمير قسم كبير من سفن الأسطول البريطاني أصبح الموقف ميئوسًا منه، ولذا تقرَّر إخلاء الجزيرة بعد معركة استمرت اثني عشر يومًا خسر فيها البريطانيون حوالي 13000 جندي، وعلى الرغم من فشل البريطانيين في الاحتفاظ بالجزيرة إلا أن الخسائر الألمانية في القوات المحمولة جوًّا ورجال المظلات جعلت ألمانيا تصرف النظر عن تكرار هذه المغامرة مرة أخرى.

ثورة العراق:

في الوقت الذي كانت الاستعدادات للدفاع عن كريت، وتعزيز الدفاع عن الصحراء الغربية تستنفذ كل موارد القيادة البريطانية في الشرق الأوسط، وتثير اهتمامها نشبت ثورة عسكرية في العراق في 30 إبريل 1941، وامتد نشاط الثورة العراقية إلى المطارات البريطانية، وخاصة مطار الحبَّانية (على بعد 60كم غرب بغداد)، واضطَّرت القيادة البريطانية في الشرق الأوسط إلى القيام في 18 مايو بهجوم مزدوج من اتجاه البصرة وفلسطين، وتمكَّنت في أول يونيو من استعادة السيطرة على العراق تمامًا بعد احتلال بغداد، والموصل، وآبار الزيت في كركوك.

العمليات في سوريا:

منذ أوائل شهر مايو 1941 بدأت القيادة البريطانية في الشرق الأوسط تتلقَّى معلومات عن تسلُّل بعض القوات الألمانية، واستخدام مطاراتها بمساعدة السلطة المحلية الموالية لحكومة فيشي الفرنسية، وقد خشيت القيادة البريطانية من هذا التسلُّل الذي قد يمكِّن الألمان من احتلال سوريا، ويؤدي إلى الأخطاء التالية:

أ- عزل تركيا عن القوات البريطانية في الشرق الأوسط، مما يجبر تركيا على عدم استطاعتها رفض المطالب الألمانية بالمرور في أراضيها.

ب- تهديد مصر من الشرق إذا حاول روميل الاتصال بقواته في الصحراء الغربية.

جـ- تهديد العراق وآبار البترول فيها، ولذلك أرسلت السلطات البريطانية في لندن تعليمات للجنرال ويفل للاستعداد لإرساله قوات بريطانية لاحتلال سوريا ولبنان، وقد أبدى ويفل اعتراضه على ذلك؛ نظرًا لضعف قواته في مصر، وفي 21 مايو اتضّح أن الفرنسيين التابعيين لحكومة فيشي يستعدُّون للدفاع عن سوريا ولبنان، كما ازدادت تقارير المخابرات عن حركة التسلُّل الألماني.

د- أصبح لا مفر من تدبير حملة لغزو سوريا ولبنان، وعُهِدَ بذلك الواجب إلى الجنرال ويلسن، وخُصِّصَت لهذه العملية الفرقة 7 الاستَرالية (عدا لواء) واللواء 5 الهندي، وفي 8 يونيو 1941 بدأ التقدُّم من مصر شمالاً ضد مقاومة عنيفة من الفرنسيين استمرت حتى 21 يونيو عندما احتلت القوات البريطانية دمشق، وفي 22 يونيو وصل طابور ميكانيكي بريطاني من العراق إلى سوريا، وفي 11 يوليو طلب المندوب السامي الفرنسي وقف القتال.

وهكذا انتهت أصعب الفترات التي مرَّت على القيادة البريطانية في الشرق الأوسط، وأصبح الجنرال ويفل في مقدوره تركيز موارده وجهده في القتال بالصحراء الغربية في مصر.

معركة باتل آكس

يونيو 1941

الفصل الخامس

1. نُظِّمَت القوات البريطانية في الصحراء الغربية خلال فترة التوقُّف تحت قيادة الجنرال بيرسفورد، وكانت هذه القوات تتضمن الفرقة 7 المدرعة، واللواء 11 الهندي، واللواء 22 الجاردز، وكانت الفرقة 7 المدرعة مشكلة من:
- آلاي سيارات مدرَّعة.
- اللواء 7 المدرَّع.
- اللواء 4 مدرَّع (دبابات مشاة).

مجموعة معاونة (2 آلاي مدفعية ميدان، وآلاي مدفعية للدبابات، وكتيبة مشاة راكبة، وعناصر مضادة للطائرات)، وكان الجنرال ويفل منذ بداية شهر مايو يقدِّر أهمية الإسراع في القيادة بالهجوم في منطقة الحدود المصرية، وذلك قبل أن تصل الإمدادات الألمانية من طرابلس إلى المنطقة الأمامية للقتال، ولقد أغراه ضعف الألمان في منطقة الحدود على القيام بهجوم غير مدبَّر في 15 مايو؛ للاستيلاء على كلٍّ من السلوم وكابونزو لتكونا قاعدة هجومه الكبير في شهر يونيو، إلا أن قاعدة الصحراء الغربية مُنيَت بالفشل، ونتيجة لذلك قام الألمان بهجوم مضاد استولوا به على ممر حلفاية، وأخذوا في تعزيزه بسرعة.

2. قوات المحور: تم تقسيم قوات المحور إلى قسمين رئيسيين:

القسم الأول: ويتضمَّن 27 ألف جندي (ألماني وإيطالي) لمراقبة ميناء طبرق، وتم تعزيز هذه القوة بحوالي 120 دبابة متوسطة، و70 دبابة خفيفة.

القسم الثاني: ويتضمَّن 13 ألف جندي (ألماني وإيطالي)، وتستند هذه القوة إلى مواقع محصنَّة في السلوم، وحلفاية، ومساعد، وكابوتزو، وتم حشد 100 دبابة متوسطة حول البردية، وعلى ذلك كان في مقدرة روميل حشد 300 دبابة بالمنطقة

الأمامية لمواجهة الهجوم البريطاني، بينما لم يكن للبريطانيين أكثر من 200 دبابة نصفها من الدبابات الثقيلة البطيئة، والتي لم تكن تصلح للعمليات الصحراوية السريعة.

الخطة البريطانية للهجوم:

3. كانت خطة الهجوم البريطاني عبارة عن توجيه هجوم ذي ثلاثة شُعب تقوم به ثلاثة مجموعات كما يلي:

أ- **المجموعة الأولى**: اللواء 11 الهندي وتحت قيادته آلاي مدفعية ميدان، وسرية مهندسي ميدان واجبة التقدّم في السهل الساحلي لاحتلال السلوم، وتثبيت حامية ممر حلفاية.

ب- **المجموعة الثانية**: اللواء 22 الجاردز، واللواء 4 المدرع، وآلايين مدفعية ميدان، وبطارية مدفعية متوسطة وآلاي مضاد للدبابات واجبه التقدم للاستيلاء على ممر حلفاية، ومساعد، وكابوتز، وبالالتفاف حلول هضبة السلوم من الجنوب.

ج- **المجموعة الثالثة**: الفرقة 7 المدرعة (عدا اللواء 4 المدرع) وواجبة التقدم جنوب المجموعة الوسطى إلى سيدي عُمر؛ لحماية الجنب الأيسر لها، ومهاجمة القوات المدرعة الألمانية في أي وقت تلتقي معها.

وكان الجنرال ويفل يهدف عقب هذه المرحلة من الهجوم إلى التقدُّم نحو منطقة طبرق العضم؛ لفك حصار حامية طبرق التي كان عليها عندئذ أن تقاتل لاختراق الحصار، والانضمام إلى القوات المتقدمة من الشرق، ولم يتوافر لدى قوة الصحراء الغربية قبل المعركة القوة الجوية الكافية للقيام بأعمال الاستطلاع الجوي، أو التمهيد للهجوم لضرب مواقع المحور، ولم تتوافر أية قوة مناسبة حتى قبل المعركة مباشرة.

4. الهجوم بعمليات يومي 15، 16 يونيو. بدأ الهجوم طبقًا للخطة السابقة في فجر

يوم 15 يونيو، وتطَّور كما يلي:

- لم تتمكَّن المجموعة الشمالية في السهل الساحلي من تحقيق أي نجاح ضد السلوم، وممر حلفاية.
- المجموعة المتوسطة تمكَّنت من احتلال مساعد وكابوتزو بعد أن دُمِّرت إحدى كتائب اللواء باصطدامها بستارة من المدافع 88مم المضادة للدبابات.
- في الجنوب وصلت الفرقة 7 المدرَّعة إلى سيدي عُمر.
- خلال يومي 15، 16 يونيو استطاع روميل حشد قسم من قوته المدرعة الموجودة حول طبرق في المنطقة الأمامية، وفي مساء يوم 16 يونيو تقدَّمت هذه القوة إلى سيدي عُمر للالتفاف حول جناح الفرقة 7 المدرَّعة، ونشبت معركة عنيفة حول سيدي عُمر اضطَّرت في إثرها الفرقة 7 المدرعة للانسحاب بعد أن دُمِّرَت كل دبابات اللواء 7 المدرَّع عدا 20 دبابة.
- بدأت القوة الألمانية تتجه شمالاً نحو ممر حلفاية لقطع خط انسحاب جميع القوة البريطانية إلى الغرب، وكانت هذه القوة تتكَّون من 75 دبابة.
- عمليات يوم 17 يونيو: في لية 16، 17يونيو صدرت الأوامر إلى اللواء 4 المدرَّع أن يتحرك من كابوتزو جنوبًا لمهاجمة الدبابات الألمانية شرق سيدي عُمر، بينما أُمر اللواء 7 المدرَّع بمهاجمة العدو من الشرق، ولكن اللواء 4 المدرَّع لم يبدأ تحرُّكه حتى صباح يوم 17 يونيو.
- بمجرد تحرُّك اللواء المدرَّع جنوبًا تقدمت مجموعة مدرَّعة ألمانية من البردية لمهاجمة كابوتزو ومساعد، وعندئذ أُمر اللواء 4 المدرَّع بالعودة شمالاً مرة أخرى لمعاونة لواء الجاردز.
- ساء موقف القوات البريطانية خلال يوم 17 يونيو؛ بسبب الضغط المتوالي للقوات الألمانية المدرَّعة من الشمال والغرب، ولم يكن لدى القيادة البريطانية أكثر من 40 دبابة متوسطة ومشاه، بينما كان لدى القيادة الألمانية حوالي 200

دبابة، ولذلك أمر الجنرال ويفل بوقف الهجوم، والانسحاب إلى ما وراء الحدود.

5. **تعليق**: ارتكبت القيادة البريطانية عدة أخطاء خلال هذا الهجوم يتلخص فيما يلي:

أ- قيام الجنرال ويفل بعملية الهجوم بالرغم من ضعف قوته المدرَّعة في العدد والتسليح والكفاءة.

ب- لم تكن جنود الفرقة 7 المدرَّعة قد أتمَّت التدريب على الدبابات.

ج- القيام بالهجوم دون معاونة جوية كافية سواء قبل أو خلال الهجوم.

د- عدم تقدير القيادة البريطانية لكفاءة روميل وقواته، ولولا مصاعب روميل الإدارية لتمكَّن من الاستمرار في ضغطه شرقًا، وتدمير كل القوة البريطانية.

الأهمية الإستراتيجية

لجزيرة مالطة

الفصل السادس

انتهت معركة الكروسيدر في منتصف يناير 1942 بانتصار الجيش الثامن، ونجاح الجنرال أوكنلك في استعادة برقة في الوقت الذي قبع فيه روميل خلف خط العقيلة الحصين يلعق جراحه، ويعيد تنظيم قواته، وإزاء الخسائر الفادحة التي تكبَّدها الجيشان المتحاربان خلال المعارك العنيفة التي احتدمت بينهما فوق رمال الصحراء اللاهبة؛ لذا أصبح وصول الإمدادات إليهما، وخاصة الدبابات هو العامل الحاسم في الجولة القادمة التي كان يتوقعها الجميع بين الجنرالين الكبيرين أوكنلك البريطاني وروميل الألماني.

وكان كل من القائدين مصمِّمًا على القيام بهجوم شامل يدمِّر خلاله قوات خصمه، ويُلحق بها هزيمة ساحقة تقضي على دورها كقوات مقاتلة لينهي بذلك مسلسل الكر والفر، والمد والجزر، ويضع ختامًا لذلك الصراع المرير والقتال الدامي بين قوات الجيش الثامن وقوات الفيلق الأفريقي، وكان أوكنلك قد وضع خطته على أساس أن يواصل الجيش الثامن في أقرب فرصة تقدُّمه غربًا ـ بعد حصوله على الإمدادات ـ حتى يتم له الاستيلاء على العاصمة الليبية طرابلس، وأن يطرد الألمان والإيطاليين نهائيًا من شمال أفريقيا في الوقت الذي كان فيه ثعلب الصحراء روميل ينتظر وصول الإمدادات إليه، ويعد العدة لهجوم مدرَّع كاسح يتمكَّن فيلقه الأفريقي عن طريقه من اقتلاع قوات الجيش الثامن من برقة، ثم الاندفاع وراءها بعد ذلك في مطاردة عنيفة داخل الحدود المصرية لا تتوقف إلا بعد أن تخفق أعلامه الظافرة على القاهرة والإسكندرية.

وكانت جزيرة مالطة برغم صغر حجمها، وابتعادها عن مسرح العمليات تلعب دورًا خطيرًا في الصراع الدائر على أشده بين القوات البريطانية وقوات المحور في الصحراء، بسبب موقعها الفريد في وسط البحر المتوسط بين إيطاليا شمالاً وليبيا جنوبًا، مما جعل البريطانيين يتخذونها قاعدة لعملياتهم البحرية والجوية التي استهدفت

إغراق ما في وسعهم من قوافل التموين، والإمدادات المتجهة من الموانئ الإيطالية إلى الموانئ الليبية، وقد تسبَّبت هذه العمليات في خسائر جسيمة في تلك القوافل البحرية بلغت نسبتها حوالي 35٪ في صيف عام 1941، ولم تلبث النسبة أن ارتفعت بالتدريج مع اشتداد حدة المعارك حتى وصلت إلى 75٪ في نهاية العام نفسه.

وعندما أدركت القيادة العليا الألمانية في أوائل عام 1942 مدى أهمية مالطة الإستراتيجية بالنسبة للبحر المتوسط، وتأثيرها الخطير على قوافل التموين والإمدادات المرسلة إلى الميدان الأفريقي تركَّزت عليها الهجمات الجوية العنيفة، كما نشطت عمليات الغواصات الألمانية ضد السفن الحربية البريطانية، مما أتاح الفرصة لطاقم كوماندوز إيطالي تحمله إحدى الغواصات من التسلُّل في قارب صغير إلى ميناء الإسكندرية، ومن الوصول إلى الأسطول البريطاني، حيث قاموا بوضع المتفجرات التي أدت إلى إغراق البارجتين الوحيدتين لدى أسطول البحر المتوسط البريطاني في ذلك الوقت، وهما: (كوين إليزابث وفالينت)، وبفضل هذا النشاط البحري والجوي تمَّت سيطرة المحور على وسط البحر المتوسط، وإغلاقه في وجه سفن الأسطول والقوافل البريطانية البحرية بعد أن تكبَّدت البحرية البريطانية أفدح الخسائر؛ إذ لم يعد لبريطانيا في البحر المتوسط سوى ثلاث طرادات، وعدد قليل من المدمرات، وفقد قائد أسطول البحر المتوسط الأدميرال كاننجهام سفينة قيادته بعد أن هوت إلى الأعماق في ميناء الإسكندرية.

ونتيجة لسيطرة المحور على وسط البحر المتوسط تمكَّن روميل من الحصول على إمدادات ضخمة من الوقود والمؤن والعتاد كان من بينها حوالي مائة مدفع مضاد للدبابات من عيار 88مم، كما استطاع استعاضة معظم ما خسره من المعدات، فضلاً عن استعاضة كلٍّ من فرقتيه المدرَّعتين (15 و21)؛ لخسائرهما من الدبابات أثناء القتال، علاوة على تزويدهما بوحدة مدرَّعة زيادة على مرتبتهما.

وعلى الرغم من انقطاع ورود الإمدادات إلى الجيش الثامن من بريطانيا عن طريق القوافل البحرية عبر البحر المتوسط؛ بسبب نشاط طائرات المحور وغواصاته فقد تحوَّل مسار الإمدادات البريطانية والأمريكية إلى طريق المحيط الأطلنطي، ومنه إلى رأس الرجاء الصالح، ثم شمالاً إلى البحر الأحمر ليتمَّ إنزالها على المواني المصرية (السويس وبورسعيد والإسكندرية)، وبرغم طول هذا الطريق، وتعرُّض قوافل الحلفاء لهجمات الغواصات الألمانية فقد وصلت إلى الجيش الثامن كميات كبيرة من المؤن والأسلحة والمعدات كان أهمها الدبابات الأمريكية من طراز (شيرمان وجنرال جرانت)، والمدافع المضادة للدبابات من عيار 6 أرطال، فضلاً عن تعزيز سلاح الطيران البريطاني بالشرق الأوسط بعدة أسراب من القاذفات والمقاتلات الحديثة كان أهمها المقاتلات من طراز (سبيت فاير).

هذا وقد كان في مقدرة القيادة العليا الألمانية في أوائل عام 1942 الاستيلاء على جزيرة مالطة بسهولة تامة بواسطة القوات المنقولة جواً بنفس الأسلوب الذي جرى به غزو جزيرة كريت في 20 مايو 1941، وبرغم نجاح هجمات المحور في شلِّ مالطة كقاعدة بريطانية بحرية فإن القيادة العليا الألمانية لم تحاول الاستيلاء عليها، لكن الموقف تغيَّر في نهاية إبريل 1942 تحت ضغط الأدميرال رايدر قائد البحرية الألمانية، وبعد المناقشات العديدة التي أجريت مع الزعيم الإيطالي موسوليني؛ لذا أصدر الزعيم الألماني هتلر الأمر بمهاجمة مالطة بواسطة القوات الألمانية والإيطالية المنقولة جوًّا، وحدَّد الموعد ليكون في أول يونيو 1942 (العملية هرقل) بعد أن تبدَّلت النظرة إلى الميدان الأفريقي الذي كان يُنْظَر إليه في بادئ الأمر على أنه مسرح عمليات ثانوي، فقد أدركت قيادة المحور ـ ولكن متأخراً ـ مدى أهميته الإستراتيجية، وتأثيره الكبير على مجرى الحرب بوجه عام.

ولكن الهجوم على مالطة تمَّ تأجيله في الساعة الأخيرة، فقد فضَّل هتلر تأجيل العملية "هرقل" إلى ما بعد الاستيلاء على مصر، مما تسبَّب في خسارة كبيرة للمحور في

العملية "هرقل" إلى ما بعد الاستيلاء على مصر، مما تسبَّب في خسارة كبيرة للمحور في المستقبل؛ إذ أمكن للبريطانيين في النصف الثاني من عام 1942 استعادة سيطرتهم البحرية والجوية على وسط البحر المتوسط، وأصبح من المتعذّر على القوافل الألمانية والإيطالية اجتياز المسافة من موانئ جنوب إيطاليا إلى موانئ شاطئ الشمال الأفريقي دون تعرُّض معظمها للتدمير والإغراق، خاصة بعد وصول أسراب من المقاتلات البريطانية من طراز (سبيت فاير) إلى جزيرة مالطة.

سر تفوُّق الدبابات الألمانية

كان انسحاب روميل إلى العقيلة عملاً يدل على براعة فائقة؛ إذ إن موقعها الذي تحيط به الموانع الطبيعية من كل جانب أجبر الجيش الثامن على التوقُّف عن مطاردة قواته، وكان على ثقة من مقدرته ـ عقب وصول الإمدادات إليه ـ على استرداد برقة فور تدميره القوة المدرَّعة البريطانية، وكان السر في هذه الثقة يرجع إلى تفوُّق الدبابات الألمانية على الدبابات البريطانية، سواء من ناحية بُعد مرمى المدفع، أو من ناحية سمك الدرع، ولم تكن الدبابة البريطانية المسلحة بمدفع من عيار 2 رطل المضاد للدبابات تصلح لقتال الدبابة الألمانية ماركة 3 أو ماركة 4 المسلحة بمدفع من عيار 50مم أو 75مم حتى أن اللواء 7 المدرع البريطاني فقد في معركة سيدي رزق في يوم 21 نوفمبر 1941 (خلال معركة الكروسيدر) كل دباباته ـ ما عدا 20 دبابة ـ، ولولا قيام القيادة البريطانية باستعاضة خسائر قواتها من الدبابات بمعدل 40 دبابة يوميًا لخسرت المعركة، وفضلاً عن هذا التفوُّق النوعي في الدبابات الألمانية تفوَّقت فرق البانزر على الفرق المدرَّعة البريطانية في الاستخدام التكنيكي، فقد كانت وحداتها تقوم بعمليَّاتها في تعاون وثيق مع المشاة الألمانية، ومدفعية الميدان، والمدافع المضادة للدبابات من عيار 88مم المزوَّدة بالذخيرة الخارقة للدروع، ولم تكن تقبل الدخول في معركة إلا فوق أرض من اختيارها، وكانت لديها القدرة على استدراج الوحدات المدرَّعة البريطانية نحو الستائر الألمانية المضادة للدبابات المخفاة بمهارة، مما كان يؤدي إلى تكبُّد الوحدات البريطانية

النظام في نظيره البريطاني، فقد كانت الورش المدرَّعة الألمانية تقوم بإصلاح الدبابات المعطَّلة في المنطقة الأمامية التي يدور فيها رحى القتال دون حاجة إلى سحبها إلى الورش الخلفية، مما كان يتيح الفرصة للوحدات الألمانية لدخول المعركة بعدد من الدبابات يفوق كثيرًا ما يتوقَّعه البريطانيون.

لقد استخدم روميل الفيلق الأفريقي متَّبعًا أحد مبادئ الحرب الأساسية، وهو مبدأ الحشد، فقد كان دائمًا يستخدم قواته المدرَّعة في أعظم حشد يمكن أن تسمح به طبيعة الأرض وظروف المعركة، ولذا استطاع أن يحرز التفوُّق العددي في الدبابات على الفرق البريطانية التي تواجهه، والتي كانت تستخدم وحداتها المدرَّعة في مجموعات مبعثرة مما هيَّأ لروميل إحراز النصر في معظم معاركه.

لقد كان روميل ثعلب الصحراء قائدًا فذًّا قاد قواته قيادة ممتازة اتَّصفت بالمهارة والجرأة والإقدام، وقد قال عنه خصمه البريطاني الأول في حرب الصحراء الفيلد مارشال أرشيبالد ويفل: "إن روميل ظاهرة شاذة وفلتة نادرة في التاريخ الحربي".

وبسبب جرأة روميل وشجاعته الخارقتين في ميدان القتال كاد يتعَّرض للأسر عدة مرات، ففي أثناء احتدام معركة الكروسيدر، وخلال فترة الاضطراب، وتداخل قوات البانزر الألمانية مع قوات الجيش الثامن البريطاني أمضى روميل والجماعة المرافقة له من مركز قيادته ليلة 25 نوفمبر 1941 وسط قوات الفرقة الرابعة الهندية ظنًّا منهم أنهم بين قواتهم الألمانية، وعندما اكتشفوا الحقيقة أمره روميل بالتسلُّل في هدوء، والخروج بسرعة من معسكر الهنود قبل أول ضوء؛ خشية انكشاف أمرهم.

وبعد ظهر اليوم التالي قام روميل أثناء تفقُّده مواقع قواته بزيارة مستشفى ميداني كان مليئًا بالجرحى البريطانيين والألمان، واكتشف روميل في أثناء مروره بين الأسِرَّة أن الضابط الطبيب الذي يرافقه في جولته بريطانيًّا، وأن المستشفى الميداني كانت لا تزال في أيدي البريطانيين، وأن كل حُرَّاسة منهم، ولحسن حظه لم يكتشف الضابط الطبيب

أيدي البريطانيين، وأن كل حُرَّاسة منهم، ولحسن حظه لم يكتشف الضابط الطبيب البريطاني شخصيَّته، وكان يظن أنه جنرال بولندي، بينما حملق الجرحى الألمان بدهشة إليه، وبدءوا يجلسون على الأسرَّة عندما كان يمر بينهم، وهمس روميل لمرافقيه: "اعتقد أن علينا الخروج بسرعة من هنا"، وقفز إلى عربته بعد أن تلقَّى تحية أخيرة من الضابط الطبيب البريطاني الذي لم يعرف ذلك الصيد الثمين الذي كان في قبضة يده، وتركه يغادر المستشفى بسلام.

وفي النصف الثاني من يناير بدأ روميل ـ بعد أن تداعمت قواته بوصول الإمدادات إليه ـ في الاستعداد لشنِّ هجوم مضاد واسع النطاق لاستعادة برقة، وطرد الجيش الثامن إلى ما وراء الحدود المصرية، وفي 21 يناير 1942 تقدَّمت قوات المحور من العقيلة، ولم تجد صعوبة في احتلال إجدابية، وأجبرت القوات المدرعة البريطانية بعد معركة قصيرة على الانسحاب شرقًا، وحاولت القوات البريطانية المنسحبة التمسُّك بخط بني غازي، ولكنها فشلت في الثبات على هذا الخط بعد أن نجحت قوات المحور المدرَّعة في تطويق المدينة واحتلالها في 28 يناير، واضطرت القوات البريطانية إزاء هذا الموقف إلى مواصلة الانسحاب بأقصى سرعة في اتجاه الشرق، وقرَّر الجنرال ريتشي قائد الجيش الثامن احتلال خط الغزالة ـ بير حكيم ـ، والثبات عليه بأي ثمن، وتمكَّنت القوات البريطانية من احتلاله في 4 فبراير 1942، وعلى جانبي هذا الخط توقفت العمليات الحربية لمدة أربعة شهور واصل فيها الجيشان المتحاربان الاستعداد لخوض غمار المعركة الحاسمة التي ستحدِّد مصير برقة.

الثغرة التي أنقذت

الفيلق الأفريقي

الفصل السابع

وفقًا للخطة التي وضعها الجنرال ريتشي احتل الجيش الثامن الخط الدفاعي الممتد من الغزالة شمالاً (بجوار البحر المتوسط) إلى بير حكيم جنوبًا على مواجهة تبلغ 27كم كما يأتي:

- الفيلق 13 في اليمين الذي احتل بقواته الخط الدفاعي بفرقتين في الأمام (الفرقة 1 جنوب أفريقيا، والفرقة 50 البريطانية)، بينما وضع الفرقة 2 جنوب أفريقيا في طبرق كاحتياطي عام للفيلق، وللدفاع عن مدينة طبرق في حالة حدوث أي اختراق للخط الدفاعي.
- الفيلق 30 في اليسار الذي احتل بقواته الخط الدفاعي، وتمركز لواء الفرنسيين الأحرار في منطقة بير حكيم (أقصى يسار المواقع الدفاعية)، واحتل لواء مشاة هندي منطقة بير الجوبي (شرق بير حكيم بحوالي 65كم)، بينما تمّ وضع القوة المدرعة الرئيسية (الفرقتين 1 و7 المدرعتين) في الخلف في منطقة العضم بجسر الفرسان على مسافة تتراوح بين 40 و55كم من خط الدفاعات الأمامية بهدف الاستعداد لشنّ الهجوم المضاد على قوات المحور المدرّعة في حالة اختراقها للخط الدفاعي، أو نجاحها في الالتفاف حوله من جنوب بير حكيم.

وكان الجنرال أوكنلك قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط قد تعرَّض في النصف الثاني شهر فبراير عام 1942 لضغط شديد من الحكومة البريطانية لحثّه على سرعة قيام الجيش الثامن بالهجوم على قوات المحور، لرفع الروح المعنوية للشعب البريطاني الذي هزته الهزائم المتتالية التي كالتها القوات اليابانية لقواته في الشرق الأقصى ـ خاصة بعد سقوط سنغافورة في 15 فبراير 1942 ـ، ولكن أوكنلك قاوم هذه الضغوط، وتمكن من إقناع السير ستافورد كريبس الذي وصل إلى القاهرة وقتئذ مندوبًا عن الحكومة البريطانية، وبرفقته نائب رئيس أركان حرب الإمبراطورية الجنرال ناي بأنه

ـ فضلاً عن مصاعبه الإدارية ـ فإن ما تعانيه قواته من نقص في الدبابات والطائرات لا تجعله قادراً على شنِّ الهجوم بصفة عاجلة على قوات المحور، وأنه لابد من الانتظار لحين وصول الإمدادات التي يترقبها، ثم تدريب قواته بعد ذلك على استخدام الأسلحة الجديدة التي ينتظر وصولها، وعلى التكتيكات الحديثة لحرب الصحراء نتيجة للدروس المستفادة من المعارك الطاحنة التي خاضتها خلال معركة الكروسيدر، وعلى ضوء هذه الاعتبارات تم الاتفاق على أن هجوم الجيش الثامن ينبغي ألا يتأخر عن منتصف يونيو عام 1942.

وفي الجانب المقابل كان روميل قد وضع خطّته لاسترداد برقة، وإلحاق هزيمة ساحقة بالجيش الثامن على الأسس التالية:

- تقوم فرق المشاة الإيطالية بشنٍّ هجوم بالمواجهة على خط الغزالة بير حكيم بهدف تثبيت التشكيلات البريطانية التي تحتله.
- يقوم الفيلق 20 الإيطالي الخفيف الحركة بمهاجمة أقصى المواقع الدفاعية البريطانية في الجنوب عند بير حكيم بهدف الاستيلاء عليها.
- يقوم فيلق البانزر الألماني بعمل حركة التفاف جنوب بير حكيم، والتقدُّم بعد ذلك في اتجاه العضم بجسر الفرسان؛ للاشتباك مع القوة المدرَّعة البريطانية الرئيسية بهدف تدميرها.
- بعد تحقيق الفيلق 20 وفيلق البانزر لهدفيهما يتّجه الفيلقان على وجه السرعة إلى طبرق للاستيلاء عليها، وبذا يتم قطع خط الرجعة على تشكيلات المشاة البريطانية التي تحتل الخط الدفاعي الأمامي.
- يتم بعد ذلك تدمير قوات المشاة البريطانية في مواقعها بالخط الدفاعي الأمامي.

ووفقًا للأحداث التي جرت سبق روميل بهجومه الجيش الثامن البريطاني قبل أن يتمكَّن هذا الجيش من التحرُّك من خط الغزالة في اتجاه الغرب؛ لشنِّ هجماته على قوات

المحور، وبذا أحرز روميل ميزة المبادأة منذ بداية المعركة، وكان عدد الدبابات لدى الطرفين المتحاربين يكاد يكون متساويًا، وإن ظلَّت الدبابة الألمانية متفوِّقة من ناحية الخواص على الدبابة البريطانية، وكذا على الدبابة الأمريكية الجديدة (سواء من طراز شيرمان أو جنرال جرانت).

وفي ليلة 26/ 27 مايو عام 1942 بدأ تقدُّم قوات روميل في ضوء القمر في اتجاه الخط الدفاعي البريطاني (الغزالة بير حكيم)، وكان روميل قد أمر بأن تحمل قواته ما يكفيها من مواد الإعاشة والذخائر والوقود لمدة ثلاثة أيام على اعتبار أن خطَّته لتدمير قوات الجيش الثامن لن يستغرق تنفيذها ما يزيد على هذه المدة، وسوف يتم له بعدها الاستيلاء على مستودعات ومخازن البريطانيين في المنطقة الأمامية، وبالتالي استمرار إعاشة قواته، وكان التخطيط موضوعًا على أساس أن الهجوم على طبرق سيبدأ في نهاية اليوم الثالث.

وكان الخط الدفاعي البريطاني الذي امتد من الغزالة إلى بير حكيم عبارة عن سلسلة من المواقع الدفاعية المنعزلة تحتلها قوات من المشاة والأسلحة المعاونة، وتمتد أمامها حقول عميقة وواسعة النطاق من الألغام والأسلاك الشائكة، وتمَّ تجهيز كل موقع منها للدفاع من جميع الجهات، كما تمَّ تزويده بكل احتياجاته من مواد الإعاشة والوقود والذخائر التي تكفيه لمقاومة الحصار لمدة أسبوع.

هذا وقد دارت المعارك بين قوات المحور والقوات البريطانية بشدة وعنف خلال الأيام الثلاثة كما يلي:

- **يوم 27 مايو**: قامت فرق المشاة الإيطالية بالهجوم على القطاع الشمالي من الخط الدفاعي البريطاني لتثبيته، بينما تقدَّمت فرقتا البانزر 15 و21 بعد التفافهما من جنوب الخط الدفاعي صوب العضم وجسر الفرسان، حيث تتمركز القوة المدرعة البريطانية الرئيسية ونشب قتال عنيف تكبد فيه الطرفان خسائر جسيمة، وأُجبِرَت

قوات البانزر على التوقُّف جنوب خط العضم جسر الفرسان، وفي الوقت نفسه فشلت فرقة أريتي الإيطالية المدرَّعة في الاستيلاء على بير حكيم، وبذا انتهى اليوم الأول بالنسبة لروميل بالفشل.

- **يوم 28 مايو**: حاولت الفرقة الألمانية الخفيفة 90 الاستيلاء على العضم، ونظراً لفشلها فقد تمَّ تعزيزها بفرقة أريتي الإيطالية المدرَّعة بعد سحبها من أمام بير حكيم، ولكن المحاولة فشلت، وظل الموقف بوجه عام على طول الجبهة على حاله.
- **يوم 29 مايو**: أصبح موقف قوات روميل من الناحية الإدارية غاية في الخطورة بعد فشلها في الاستيلاء على بير حكيم، وفي تدمير القوة المدرعة البريطانية، مما أفقد روميل المبادأة، وجعل قواته المدرَّعة التي التفَّت حول الدفاعات البريطانية من جنوب بير حكيم، وفشلت في الاستيلاء على العضم وجسر الفرسان تواجه مأزقًا خطيراً؛ إذ باتت تواجه الشرق وظهورها لحقول الألغام البريطانية في الوقت الذي تناقصت فيه بسرعة كميات الطعام والمياه والذخائر والوقود، مما أدى إلى تقدُّم بعض القادة الألمان المرءوسين لروميل لمناشدته التخلي عن المعركة والانسحاب غربًا، ولكنه لم يلتفت لنصائحهم، وفي الوقت نفسه كان الأسرى البريطانيون والهنود على وشك الموت عطشًا، ويتقاتلون من أجل الحصول على بضع قطرات من المياه المخصَّصة للجرحى مما دفع أحد الضباط البريطانيين الأسرى - وكان برتبة رائد ولديه إلمام باللغة الألمانية - إلى أن يطلب مقابلة روميل، وعندما التقى به قال له: "إنه ما دام الأسرى لا يُصَرف لهم طعام ولا شراب فليس للألمان الحق في الاحتفاظ بهم، وإنه ينبغي إعادتهم إلى الخطوط البريطانية". فرد عليه روميل قائلاً: "ليس من حقك الشكوى فإنه تُصَرف لك وكذا لكل أسير المقادير نفسها التي تُصَرف لجنود الفيلق الألماني، بل لي أنا شخصيًا، ولكني أوافقك على أن الحال لا يمكن استمراره على هذا المنوال".

ولمواجهة ذلك الموقف العصيب قام روميل بعمل مبتكر يدل على ذكائه ومقدرته، فقد أمر بفتح طريق عبر حقول الألغام البريطانية؛ ليمكِّن لحملاته الإدارية القادمة من المناطق الخلفية استخدامه لإمداد قواته الأمامية بما تحتاج إليه من مواد الإعاشة والذخائر بدلاً من الطريق المطوَّل عبر الصحراء الذي يلتف جنوبًا حول بير حكيم، والذي توقَّف استخدامه نتيجة للهجمات الجوية البريطانية العنيفة، وقد نجحت إحدى الفرق الإيطالية في فتح ثغرتين في شمال وجنوب موقع اللواء البريطاني 150 مشاة (من الفرقة 50)، وأمر روميل بوضع مجموعات قوية من المدافع المضادة للدبابات، والمضادة للطائرات؛ للدفاع عن رأس الكوبري الذي أُنشِئَ عند مخرج كل من الثغرتين في اتجاه الشرق لمنع أي هجوم أرضي أو جوي ضدهما، مع العمل على توسيع الثغرتين بالتدريج، ونتيجة لوصول القوافل الإدارية إلى قوات روميل عبر هذا الطريق المختصر تمَّ حل المشكلة الإدارية الخطيرة التي كادت ترغم قوات الفيلق الأفريقي على التسليم، وقد حاولت القوات البريطانية خلال يومي 30 و31 مايو شن هجماتها العنيفة على مخرجي الثغرتين، ولكنها باءت بالفشل، وفي يوم 3 يونيو تمكَّنت قوات الفيلق الأفريقي من الاستيلاء على موقع اللواء البريطاني 150 مشاة، وبذا تمَّ توصيل الثغرتين المفتوحتين في حقل الألغام لتصبحا ثغرة واحدة واسعة عرضها حوالي عشرة أميال داخل الخط الدفاعي البريطاني، وسارع روميل بحشد جانب من قوَّاته المدرَّعة داخل هذه الثغرة استعداداً للهجوم.

سقوط بير حكيم وانهيار خط الغزالة

كانت الفرصة سانحة أمام الجنرال ريتشي قائد الجيش الثامن لتدمير الفيلق الأفريقي، أو على الأقل لإلحاق هزيمة ساحقة بقواته تجبرها على الانسحاب إلى مواقعها السابقة في منطقة العقيلة لتحتمي وراء موانعها الطبيعية، وكان تحقيق ذلك في الإمكان لو كان ريتشي قد قام بشنِّ الهجوم في التوقيت المناسب ضد قوات غريمه روميل، وهي واقفة عاجزة وظهورها في مواجهة حقول الألغام البريطانية، وفي حالة معنوية سيئة بسبب ما

تعانيه من نقص في مواد الإعاشة والذخائر والوقود، ولكن الفرصة أفلتت منه، مما جعل روميل يسترد ميزة المبادأة التي كان قد فقدها في قتال الأسبوع الأخير، بل يحرص على الاحتفاظ بها خلال المعارك التي نشبت بعد ذلك، وبسبب هذا الموقف تعرَّض الجنرال ريتشي لموجة من الانتقادات الحادة؛ سواء من المحلِّلين العسكريين البريطانيين أو الأجانب.

وبذل ريتشي محاولة قوية لإغلاق الثغرة الواسعة التي شقَّها روميل في خطه الدفاعي الحصين، مما كان يهدِّد قوات الجيش الثامن بأفدح الأخطار، ولذا شنَّ هجومًا مضادًا عنيفًا على ثغرة الاختراق بقوات من المشاة بمعاونة الدبابات في ليلة 4/ 5 يونيو، ولكن الهجوم المضاد البريطاني لم يلبث أن باء بفشل ذريع، وتمكَّنت القوات المدرَّعة الألمانية من إلحاق خسائر جسيمة بالبريطانيين، ومن إبادة اللواء الهندي الذي كان مشتركًا في الهجوم إبادة تامة، مما أتاح الفرصة لروميل لتعزيز موقفه داخل الثغرة، والقيام بعد ذلك بمواجهة القوات البريطانية التي تحيط بها، ونتيجة لذلك اشتبكت القوات المدرَّعة البريطانية مع قوات البانزر الألمانية التي اندفعت شرقًا من الثغرة إلى المنطقة الواقعة بين العضم وجسر الفرسان، ودارت بينهما معارك عنيفة خسر فيها الطرفان خسائر جسيمة في الدبابات، وبرغم كل المحاولات البريطانية لم يتمكَّن ريتشي من إزالة الثغرة التي فُتحَت في خطه الدفاعي.

وخلال الأيام العشرة الأولى من شهر يوليو 1942 تعرَّضت المنطقة الدفاعية البريطانية في بير حكيم لهجمات مركَّزة من قوات المشاة الإيطالية التي تعاونها المدفعية والدبابات، فضلاً عن الهجمات الجوية المستمرة من الطائرات الألمانية المنقضَّة من طراز (شتوكا)، وبرغم قوة الهجوم وشراسته استماتت قوة الفرنسيين الأحرار التي كانت تدافع عن الموقع في الدفاع، عنه مما أكسبها سمعة بطولية مشرِّفة، وعندما فشلت القوات المهاجمة في اقتحام موقع بير حكيم برغم هجماتها المتكررة قامت بضرب حصار محكم حوله من جميع الجهات، مما اضطَّرت معه القيادة البريطانية إلى تموين القوة المحاصَرة عن طريق

الجو، ولكن موقف الحامية الفرنسية لم يلبث أن تحرَّج إزاء اشتداد وطأة الحصار حولها في الوقت الذي اشتدَّ فيه إنهاك أفرادها؛ بسبب القتال العنيف الذي خاضوا غماره طوال أسبوعين كاملين، وخشية من سقوط الموقع، وتعرُّض أفراد الحامية الفرنسية للأسر، أصدر الجنرال ريتشي أمره إلى قائد الحامية الجنرال كوينج بإخلاء بير حكيم ليلة 10/ 11 يونيو، وقد نجح القائد الفرنسي في الانسحاب تحت ستر الظلام، والعودة بقسم كبير من قواته.

وكان سقوط بير حكيم في أيدي قوات المحور نقطة تحوُّل في المعركة، وإيذانًا بقرب انهيار الخط الدفاعي البريطاني، ولم يلبث روميل أن اندفع بقواته المدرَّعة شمالاً لاحتلال منطقة عكرمة على الطريق الساحلي ومناطق (جسر الفرسان ـ العضم ـ سيدي رزق) على طريق كابوتزو مستهدفًا بذلك السيطرة على خطوط المواصلات البريطانية الرئيسية، ودارت بعد ذلك أعنف المعارك في قتال الدبابات بين القوات المدرعة البريطانية وقوات البانزر الألمانية من أجل السيطرة على الأرض الحيوية التي تقع داخل مثلث عكرمة ـ العضم ـ جسر الفرسان، ورغم المحاولات المستميتة التي بذلتها كل قوة لتدمير القوة التي تقاتلها فإن النتائج لم تسفر عن ترجيح كفَّة إحداهما على الأخرى.

وفي خضم هذا الاضطراب والقتال الضاري الذي كان يجري في غمار الصحراء تحت وطأة زوابع رملية عاتية وفوق رمال ملتهبة، ووسط جو صحراوي خانق التقط البريطانيون يوم 13 يونيو إشارة لاسلكية من الفرقة الألمانية 90 الموجودة في منطقة العضم تطلب فيها من قيادتها النجدة، وظنَّت القيادة البريطانية أن الفرصة قد سنحت أمامها لتدمير هذه الفرقة، فاندفعت القوة المدرَّعة البريطانية الرئيسية بلا حيطة ولا حذر صوب موقع الفرقة في منطقة (العضم)، ولم تلبث القوة البريطانية أن وجدت نفسها محاطة بدبابات فيلق البانزر الألماني من كل جانب، بينما تواجهها ستارة مهلكة من المدافع المضادة للدبابات من عيار 88مم، وعندما ترنحت القوة البريطانية من هول المفاجأة ومن شدة فتك النيران التي تَسبَّب في تدمير معظم دباباتها أدركت القيادة

المفاجأة ومن شدة فتلك النيران التي تَسبَّب في تدمير معظم دباباتها أدركت القيادة البريطانية متأخراً أنها كانت ضحية خدعة ألمانية ماكرة انطلت عليها، وبمجرد تدمير القوة المدرعة البريطانية أصبح لا مفر أمام الجنرال ريتشي من التخلِّي عن خط الغزالة قبل أن يهاجم روميل بدباباته تشكيلات ـ المشاة التي تحتله من الخلف، فأصدر أمره بسرعة انسحاب القوات الباقية من الجيش الثامن من برقة إلى الحدود المصرية اعتباراً من اليوم التالي 14 يونيو، وبرغم معارضة ريتشي أصرَّ الجنرال أوكنلك على ضرورة الاحتفاظ بطبرق، والدفاع عنها.

وفي اليوم نفسه أعلن تشرشل رئيس الوزراء البريطاني في مجلس العموم أن عدد الدبابات البريطانية في معركة الغزالة يوم 13 يونيو كان 300 دبابة، فهبط بعد المعركة إلى 70 دبابة، وقالت جريدة التيمس اللندنية: "قواتنا كانت تواجه قوات متفوقة في القيادة، وإنها نازلت جيشاً مظفراً هزمها هزيمة مروَّعة"، وقال تشرشل عن روميل أمام مجلس العموم: "أمامنا خصم جريء ماهر... هل لي أن أقول أنه قائد عظيم".

وكان يوم السبت 13 يونيو 1942 يوماً مشئوماً بالنسبة للبريطانيين، فقد تم خلاله تدمير القوة المدرَّعة البريطانية، وانهيار الخط الدفاعي الحصين الغزالة ـ بير حكيم ـ، وانسحاب القوات البريطانية في اليوم التالي يوم (14يونيو) صوب الحدود المصرية بعد أن انخفضت معنوياتها إلى الحضيض، لذلك لا عجب في أن يطلق جنود الجيش الثامن على هذا اليوم اسم (يوم السبت الأسود)، وخلال الاتصالات المحمومة التي دارت بين الجنرال أوكنلك والجنرال ريتشي قائد الجيش الثامن لمواجهة ذلك الموقف العصيب قرَّر أوكنلك ضرورة الاحتفاظ بميناء طبرق، والدفاع عنه ـ برغم معارضة ريتشي لهذا القرار ـ، ولكنه اضطر إلى أن يصدر أمره إلى الفرقة 2 جنوب أفريقيا الموجودة في طبرق بالبقاء فيها، واتخاذ الترتيبات اللازمة للدفاع عنها من جميع الجهات.

ربما كان قرار الجنرال أوكنلك بشأن الاحتفاظ بطبرق، والدفاع عنها في هذه الظروف السيئة قرارًا صائبًا من الوجهة الحربية، وفي الغالب أن أوكنلك قد اتخذ هذا القرار تحت تأثير الضغط السياسي من الحكومة البريطانية؛ تجنبًا لإثارة الرأي العام في بريطانيا الذي سبق شحنة بأنباء الانتصار البريطاني في معركة الكروسيدر، ونجاح الجيش الثامن في انتزاع برقة من أيدي قوات المحور، ولذا ففي حالة إخلاء برقة، وسقوط طبرق في أيدي المحور فإن ذلك كان يعني توجيه ضربة معنوية قاسية للشعب البريطاني.

وفضلاً عن ذلك فإن بقاء طبرق في يد البريطانيين كان سيحقِّق مزايا كبيرة بالنسبة للوضع العسكري للجيش الثامن الذي صدر له الأمر بالانسحاب على وجه السرعة إلى الحدود المصرية بعد الهزيمة الساحقة التي لحقت بقواته المدرَّعة في معركة الغزالة يوم 13 يونيو 1942، وكانت أهم هذه المزايا ما يلي:

- عرقلة خطة روميل في مطاردة الجيش الثامن داخل الحدود المصرية؛ إذ ستظل طبرق بمثابة شوكة في جنبه، ومصدر تهديد خطير لمؤخرته وجنبه الأيسر في حالة مواصلته الزحف شرقًا في اتجاه الصحراء الغربية المصرية.
- عدم إتاحة الفرصة لروميل لاستخدام كل قواته في عملية المطاردة؛ إذ سيضطّر لاقتطاع جانب كبير من قواته الزاحفة شرقًا، وتخصيصها لضرب الحصار حول طبرق من جميع الجهات.
- في حالة سقوط طبرق في أيدي قوات المحور، واستيلاء هذه القوات على ما تضمُّه مخازنها ومستودعاتها الضخمة من مواد إعاشة وذخائر ووقود فإن ذلك سوف يحلُّ جانبًا كبيرًا من مشاكل روميل الإدارية، ويؤدي إلى تقصير خطوط مواصلاته، فضلاً عن إعطاء قواته قوة دافعة لمواصلة التقدُّم شرقًا صوب الأراضي المصرية.

ولكن قرار الاحتفاظ بطبرق، والدفاع عنها لم يكن من السهل تنفيذه، فقد كانت تواجهه عقبات خطيرة، وهذا ما دعا الجنرال ريتشي إلى معارضة هذا القرار، وكان أهم

تواجهه عقبات خطيرة، وهذا ما دعا الجنرال ريتشي إلى معارضة هذا القرار، وكان أهم هذه العقبات ما يلي:

- عدم كفاية الحماية التي يمكن تخصيصها للدفاع عن طبرق؛ إذ إن الخسائر الفادحة التي لحقت بتشكيلات الجيش الثامن - سواء في الفرق المشاة أو المدرعة - لم تكن تسمح بتخصيص قوة كافية من الأسلحة المشتركة للدفاع عن منطقة طبرق التي كانت تضمُّ الميناء الواقع على البحر المتوسط، وعشرات من المخازن، والمستودعات الضخمة، بالإضافة إلى التحصينات الدفاعية حول المدينة، وكان تخصيص القوة الكافية يعني اقتطاعها من القوات البريطانية المنسحبة، والتي لم تكن هي نفسها تكفي لتحقيق الهدف الحيوي الذي باتت مكلَّفة به، وهو الدفاع عن الحدود المصرية.
- بعد رفع الحصار عن طبرق في 10 ديسمبر 1941 لم تُبذَل العناية الواجبة لصيانة دفاعات طبرق من خنادق وألغام وأسلاك، وهي التي صمدت من قبل لهجمات قوات المحور. كما تم رفع العديد من الألغام والأسلاك الشائكة لفتح الطرق للدخول والخروج من المدينة خاصة إثر حالة الاطمئنان التي سادت بعد احتلال البريطانيين لبرقة، وانسحاب روميل بقواته إلى خط العقيلة، وفضلاً عن ذلك لم تُعِدّ القيادة أية خطة مسبقة للدفاع عن طبرق في حال تعرضها للحصار مرة أخرى.
- لم يكن في مقدرة الأسطول البريطاني بالبحر المتوسط وقتئذ إمداد طبرق بالإمدادات التي تحتاج إليها، كما كان الحال في فترة الحصار السابقة التي استمرت ثمانية شهور (من منتصف إبريل حتى 10 ديسمبر 1941)؛ نظرًا للخسائر الجسيمة التي حاقت بقطعة البحرية في النصف الأول من عام 1942 في الوقت الذي لم تكن فيه مواد الإعاشة وكميات الوقود والذخائر الموجودة في المخازن والمستودعات داخل طبرق تكفي لأزْيَد من ثلاثة شهور، ولم يكن من المنتظر أن يتمكّن الجيش الثامن بعد

وقت قريب، ويكون قادراً على معاودة الهجوم على برقة، والتقدُّم صوب طبرق لرفع الحصار عنها.

- لم تكن الطائرات المقاتلة البريطانية لديها المدى الذي يمكِّنها من عمل حماية جوية لطبرق وحاميتها ومنشآتها فريسةً للطائرات الألمانية، وخاصة طائرات الانقضاض من طراز "شتوكا" التي كان من المنتظر أن تلحق بها خسائر فادحة.

وكان الجنرال ريتشي قد أصدر أمره يوم 14 يونيو 1942 إلى الفرقة 2 جنوب أفريقيا بقيادة الجنرال كلوبر بالبقاء في طبرق، والدفاع عنها لآخر طلقة وآخر رجل، وتم تعيين كلوبر قائدًا لحماية طبرق، ووضع تحت قيادته ـ لتدعيم الحامية ـ لواء من الحرس الملكي البريطاني، واللواء 11 مشاة هندي، ولواء من دبابات المشاة.

وعندما قرَّر الجنرال ريتشي التخلِّي عن خط الغزالة أصدر أمره باحتلال الخط طبرق ـ العضم، وكان يستهدف من ذلك إغلاق طريق السهل الساحلي في وجه قوات المحور لعرقلة تقدمها، وإتاحة الفرصة لحامية طبرق لاحتلال دفاعات المدينة، وتحصينها في الوقت الذي كان يسعى فيه ريتشي إلى بناء قوة ضاربة خفيفة الحركة بالقرب من الحدود المصرية للتصدي للقوات الزاحفة وصدِّها.

ولكن هذه الآمال لم تلبث أن ضاعت هباء، فقد اكتسحت قوات المحور التي تقدَّمت على الطريق الساحلي وطريق كابوتزو جميع المقاومات البريطانية في طريقها، وتساقطت المواقع الحيوية للجيش الثامن كأوراق الخريف، فسقطت عكرمة في 16 يونيو، والعضم وسيدي رزق يوم 17 يونيو.

وعندما اقتربت قوات البانزر الألمانية من الحدود المصرية يوم 19 يونيو 1942 اشتبكت معها قوة المؤخرة البريطانية التي كانت تحمي الانسحاب، ودارت معركة عنيفة أسفرت عن انسحاب القوة البريطانية إلى داخل الحدود المصرية في حالة سيئة من الانحلال والارتباك، وباستيلاء قوات البانزر على السلوم وسيدي عُمر انفتحت أبواب الصحراء الغربية المصرية أمام روميل وقواته، وأصبح واضحًا أن الجيش الثامن بعد

الصحراء الغربية المصرية أمام روميل وقواته، وأصبح واضحًا أن الجيش الثامن بعد تحوُّله إلى فلول مبعثرة في أرجاء الصحراء المصرية قد أصبح عاجزًا عن وقف هذا الزحف الألماني الجارف.

المطاردة إلى العلمين

الفصل الثامن

بينما كانت قوات المحور ماضية في عملية مطاردة الجيش الثامن بلا هوادة في أثناء انسحاب وحداته صوب الحدود المصرية كان في مقدرة روميل المضي في هذه العملية إلى أن يتم له تدمير الجيش الثامن تمامًا، ولكنه فضَّل أن تتوقَّف عملية المطاردة مؤقَّتًا؛ ليتسنَّى له تحقيق أحد الأهداف المهمة التي كان يتطلَّع إليها من جهة، وهو مهاجمة طبرق، والاستيلاء عليها حتى لا تصبح مصدر تهديد لجنب قواته ومؤخرتها في أثناء تحرُّكها في اتجاه الحدود المصرية، وحتى لا يتسَّع الوقت لحاميتها لتنظيم دفاعاتها، وتقوية تحصيناتها.

وحتى تُتاح له الفرصة من جهة أخرى للاستيلاء على ما تضمُّه طبرق من مستودعات ومخازن ضخمة مليئة بمواد الإعاشة والمعدات والوقود والذخائر، مما سوف يحل العديد من مشاكله الإدارية، ويؤدي إلى تقصير خطوط مواصلاته التي طالت عندما يتمكَّن من استخدام مينائها الذي يقع على البحر المتوسط، فضلاً عما سيحدثه سقوطها من تأثير مُفْجِع بالنسبة لبريطانيا وحلفائها في الوقت الذي سيؤدي فيه إلى رفع الروح المعنوية لقواته، وإعطائها قوة دافعة لمواصلة التقدم في اتجاه الأراضي المصرية.

وعندما عقد روميل العزم على وجوب الاستيلاء على طبرق أولاً قبل القيام بعملية المطاردة قام بحشد قوات الهجوم حول الدودة وسيدي رزق، وكان مصممًا على ضرورة الانتهاء من عملية اقتحام طبرق بسرعة، والاستيلاء عليها بلا أي تأخير حتى لا يتيسَّر الوقت أمام قيادة الجيش الثامن لإعادة تنظيم قواتها، واستعادة توازنها وتماسكها.

وكانت الخطة التي وضعها روميل تقضي بقيام فرق المشاة الإيطالية بضرب الحصار حول استحكامات طبرق الخارجية؛ لتثبيت حاميتها البريطانية، ومنع تسلُّل أية وحدات منها إلى الخارج، بينما يتم شن الهجوم الرئيسي لاقتحام دفاعاتها بواسطة فرقتين ألمانيتين: (الفرقة 15 بانزر والفرقة 90 المشاة الخفيفة)، وفرقة أريتي الإيطالية، ومواصلة الضغط عليها حتى لا تفيق من صدمة الهزيمة.

وقُبَيل فجر يوم 20 يونيو 1942 ـ وبعد نجاح وحدات المهندسين في فتح الثغرات في حقول الألغام والأسلاك الشائكة المحيطة بدفاعات طبرق ـ بدأت قوات المحور المدرَّعة ـ التي كانت تتبعها الفرقة 90 المشاة الخفيفة ـ في اقتحام المواقع الدفاعية البريطانية تحت ستارة قوية من نيران المدفعية، وبمعاونة مباشرة من طائرات الانقضاض الألمانية "شتوكا"، ومما ساعد على سرعة نجاح العملية تركيز الهجوم المدرَّع من اتجاه الجنوب الغربي على مواجهة ضيقة كانت تحتلها وحدات اللواء 11 الهندي التي لم تتمكَّن من الصمود طويلاً أمام هذا السيل الجارف، فتساقطت مواقعها بسهولة في أيدي قوات الهجوم.

ولم تلبث وحدات المحور المدرَّعة أن اندفعت عبر ثغرة الاختراق إلى داخل المدينة، وتمكَّنت بعد معارك عنيفة من تدمير الدبابات البريطانية التي اشتبكت معها، ومن اجتياح الوحدات التي صادفتها في طريقها خلال زحفها صوب الميناء الذي لم تلبث أن استولت عليه قبل حلول الظلام، وعلى كل السفن والقوارب التي كانت راسية فيه.

ولم يمر أكثر من 36 ساعة على بدء معركة طبرق حتى أصدر الجنرال كلوبر (قائد الحامية، وقائد الفرقة 2 جنوب أفريقيا) أمره إلى قواته بالاستسلام، وعلى الرغم من اشتعال الحرائق، وعمليات النسف والتدمير التي قامت بها مجموعات من الحامية البريطانية داخل المخازن والمستودعات الكبيرة لحرمان الألمان مما كانت تضمُّه من كميات الوقود والمعدات والمؤن الضخمة التي كانت تُقَدَّر بعدة ملايين من الجنيهات، والتي كانت معدة لكي تكفي استهلاك الحامية البريطانية لعدة شهور فإن القوات الألمانية نجحت في الاستيلاء على معظم هذه المخازن والمستودعات سليمة بعد أن تمكَّنت من إحكام قبضتها على المدينة، ووقف كل عمليات النسف والتدمير.

وأحدث سقوط طبرق بهذه السرعة والسهولة دويًا هائلاً في كل مكان، خاصة بعد استسلام حاميتها للألمان، ووقوع جميع أفرادها في الأسر، وكان عددهم يبلغ نحو 25

ألف ضابط وجندي بكامل أسلحتهم ومعداتهم، وقد وُجِّهَ نقد شديد للوحدات التي كانت تدافع عن طبرق، وخاصة الفرقة 2 جنوب أفريقيا، ولقائدها الجنرال كلوبر على هذا التخاذل في المقاومة بالمقارنة بحاميتها السابقة التي قاومت الحصار لمدة ثمانية شهور عام 1941 دون أن تسلم.

وفي صباح يوم 21 يونيو أخطر روميل قيادته العليا أن طبرق قد سقطت في يده، وفي اليوم التالي وصلته إشارة لاسلكية من مقر القيادة ببرلين بأن هتلر قد منحه رتبة فيلد مارشال (أعلى رتبة عسكرية)، وكان روميل وقتئذ في حوالي الخمسين من عمره، ولذا كان يُعدُّ أصغر فيلد مارشال في الجيش الألماني، وبعد حضوره حفلاً صغيراً أقامه ضباط قيادته وسط دوي المعارك احتفالاً بترقيته أرسل روميل إلى زوجته في ألمانيا خطابًا قال لها فيه: "لقد منحني هتلر رتبة فيلد مارشال. . . كنت أفضل لو كان قد منحني فرقة مدرَّعة أخرى".

وبعد سقوط طبرق كان الوقت متأخرًا لوقف الجيش الثامن على خط دفاعي عند الحدود المصرية، ولذا قرر الجنرال ريتشي ـ بموافقة رئيسه الجنرال أوكنلك ـ انسحاب قواته إلى خط مرسى مطروح، ولم يتردَّد روميل في اغتنام الفرصة التي سنحت له للقضاء على الجيش الثامن، وتحقيق نصر حاسم لبلاده بالوصول إلى القاهرة والإسكندرية وقناة السويس، خاصة بعد أن وصلته الأنباء بأن المسئولين البريطانيين في القاهرة وعلى رأسهم السفير البريطاني مايلز لامبسون يعدُّون العدة للانسحاب من مصر.

وفي مساء يوم 24 يونيو وصلت قوات المحور إلى سيدي براني، وواصلت تقدُّمها في اتجاه مرسى مطروح.

وفي يوم 25 يونيو وبعد أن بلغت الكارثة العسكرية البريطانية ذروتها أصدر الجنرال أوكنلك أمره بتنحية الجنرال ريتشي عن القيادة، وتولَّى أوكنلك بنفسه قيادة الجيش

الثامن، وبرغم الدفاعات الحصينة التي كانت تحيط القاعدة البريطانية في مرسى مطروح فقد كان من المستحيل قدرتها على الصمود في وجه الهجوم الألماني؛ نظرًا لفقد الجيش الثامن قواته المدرَّعة، وانكشاف الجناح الأيسر لحامية مطروح المتاخم للصحراء، مما يسهُل معه ـ على قوات المحور المدرعة ـ القيام بالالتفاف حولها وتطويقها، ولذا لم تكد قوات المحور تجري تحركاتها يوم 27 يونيو للإطاحة بمرسى مطروح من الغرب والجنوب، وتطويقها من الشرق حتى أصدر أوكنلك أمره بسرعة انسحاب القوات البريطانية منها؛ خشية تكرار مأساة طبرق.

وواصلت قوات المحور عملية المطاردة للبريطانيين بلا هوادة متقدمة من مرسى مطروح بعد سقوطها في أيديها على محورين: أولهما التقدُّم على محور الطريق الساحلي وثانيها التقدُّم بحذاء خط السكة الحديدية الممتد من الإسكندرية إلى مطروح، ولعب الطيران البريطاني دورًا أساسيًّا في حماية انسحاب القوات البرية، وعدم تحويل الانسحاب إلى كارثة مروعة وفوضى لا نظير لها.

وفي يوم 29 يونيو وصلت قوات الجيش الثامن المنسحبة إلى خط العلمين الذي كان الجنرال أوكنلك ـ بسبب بُعد نظره ـ قد أصدر الأمر لقواته بتحصينه، وإقامة سلسلة من الدفاعات على امتداده منذ انهيار خط الغزالة، وتدمير القوة المدرَّعة البريطانية في 13 يونيو، وقد بلغت خسائر البريطانيين في معارك شهر يونيو 1942 حوالي 80 ألف ضابط وجندي.

ومما زاد من حجم الهزيمة أن قوات الجيش الثامن لم تصل إلى خط العلمين في شكل تشكيلات أو وحدات قائمة بذاتها، بل كانت فلولاً مبعثرة، وخليطًا من شتى الأسلحة والوحدات لا يجمعهم سوى شدة الإنهاك واليأس والمعاناة من مرارة الهزيمة المنكَرة التي حاقت بهم، وفي يوم 30 يونيو وصلت قوات المحور أمام الخط الدفاعي البريطاني في العلمين على بعد 100كم من الإسكندرية.

الجنرال مونتجومري
يتولى قيادة الجيش الثامن

الفصل التاسع

كان خط العلمين يُعَدُّ موقعًا دفاعيًا طبيعيًا، فهو يرتكز على مانعين طبيعيين قويين: البحر المتوسط شمالاً، ومنخفض القطارة جنوبًا، ولذا كان موقعًا مثاليًا للجيش البريطاني المهزوم الذي فقد معظم قواته المدرَّعة في العمليات الحربية التي دارت رحاها في برقة، ولم يكن احتلال الخط الدفاعي يتطلَّب قوات ضخمة؛ إذ لم تكن المسافة بين البحر والمنخفض تتجاوز 65كم، ويعد الجزء الجنوبي منه المتاخم للمنخفض، والذي يتميز بوجود سلسلة مرتفعة صخرية ممتدة من الشرق إلى الغرب حاجزًا من الصعب اختراقه.

أما الجزء الشمالي من خط العلمين فقد كان سهلاً منبسطًا يكاد يخلو من الهيئات المرتفعة والحاكمة التي تصلح لإقامة الدفاعات، وهو يمتد من البحر شمالاً إلى تبَّة الرويسات جنوبًا، وهي تقع في منتصف الخط تقريبًا وإلى أقصى الشمال، وبالقرب من الشاطئ وبموازاته يمتد خط سكة حديد الإسكندرية ـ مطروح، وكذا الطريق البري المرصوف الإسكندرية ـ السلوم، ويوجد في هذا الجزء من خط العلمين بعض التباب والتلال المنخفضة التي تصلح للمراقبة الأرضية، والتي أهمها تبَّة علم حلفا التي تمتد لبضعة كيلومترات من الجنوب إلى الشمال الشرقي، والتي تعد أعلى الهيئات الأرضية في هذه المنطقة وتقع على بعد حوالي 15 كيلومترًا شرق تبَّه الرويسات.

وبرغم الدفاعات والتحصينات التي أُقيمَت على عجل في خط العلمين للوقوف في وجه الألمان (كان بعضها قد سبق تجهيزه منذ تسعة شهور عندما اجتازت القوات الإيطالية الحدود المصرية في 17 سبتمبر 1941 خشية تقدمها صوب الإسكندرية) فإن المسئولين في بريطانيا كانوا ضعيفي الثقة في إمكان صدِّ الزحف الألماني في الوقت الذي كان فيه مركز القيادة العامة للقوات البريطانية في الشرق الأوسط، والكائن بالقاهرة ـ تحت تأثير الخوف واليأس. فقد بدأ أفراده في إحراق تلال ضخمة من الأوراق والوثائق

استعداداً للانسحاب من مصر إلى فلسطين، وحذا حذوهم أفراد السفارة البريطانية التي كانت تقع في أجمل بقعة بالقاهرة، وعلى النيل مباشرة في حي جاردن سيتي بتعليمات من السفير البريطاني مايلز لامبسون الذي أشرف أيضًا على عملية إجلاء الرعايا البريطانيين من مصر، وخاصة النساء والأطفال.

وأسرع الأسطول البريطاني بالتحرُّك من الإسكندرية؛ خشية تركيز الضرب الجوي ضده، واتخذت الترتيبات للدفاع عن الدلتا، ونسف الطرق والكباري في حالة نجاح الألمان في اختراق خط العلمين، كما جهزت الخطط، وأعدت الترتيبات لقتال الانسحاب في اتجاه الجنوب على طول نهر النيل إلى السودان، أو في اتجاه الشرق إلى فلسطين.

وعلى الرغم من سوء الموقف البريطاني بوجه عام فإن الوضع العسكري للجيش الثامن لم يلبث أن أخذ في التحسن، فقد أدى انسحاب القوات البريطانية إلى خط العلمين إلى تقصير خطوط مواصلاتها مع القواعد الرئيسية في القاهرة والدلتا، مما ساعد على تحسين موقفها الإداري، وإلى استعاضتها للعديد من الأسلحة والمعدات والمؤن التي فقدتها في قتال الانسحاب، كما بدأت الروح المعنوية لأفرادها في الارتفاع في إثر نجاحهم في تحصين خطهم الدفاعي بالعلمين، وفي منع قوات المحور من اختراقه.

وفي الجانب المقابل لم يكن موقف قوات المحور يدعو إلى الكثير من التفاؤل بالنسبة للمستقبل على الرغم مما أحدثته انتصارات قوات المحور المدوية بقيادة الفيلد مارشال روميل من تأثير بالغ في رفع الروح المعنوية لأفرادها، ومن زيادة ثقتهم في أنفسهم وفي أسلحتهم، وأهم من ذلك كله في قيادتهم البارعة التي اعترف بتفوُّقها الأعداء أنفسهم، وكان سر متاعبهم يرجع إلى طول خطوط مواصلاتهم بعد ابتعادها عن قواعدهم الإدارية الأساسية في ليبيا بعُدًا شاسعًا، علاوة على تعرضها المستمر لهجمات سلاح الطيران البريطاني، وفي الوقت الذي تمكَّنت فيه قوات الجيش الثامن من استعاضة

العديد مما فقدته في قتال الانسحاب بعد الإمدادات الكبيرة التي بدأت تتدفّق عليها من بريطانيا والولايات المتحدة كان الوضع سيئًا بالنسبة لقوات المحور؛ لعدم تمكُّنها من استعاضة جانب كبير مما خسرته في المعارك الأخيرة، وخاصة الدبابات نظرًا؛ لنجاح البريطانيين في استعادة سيطرتهم البحرية والجوية على الجزء الأوسط من البحر المتوسط مما كان يهدِّد القوافل البحرية، وخاصة ناقلات البترول الألمانية بالإغراق والدمار، ولم تكد قوات المحور تتوقف أمام خط العلمين في 30 يونيو 1942 حتى قرر روميل ضرورة المبادرة بشنٍّ هجوم سريع على الخط الدفاعي البريطاني في العلمين لمحاولة اختراقه قبل أن يتوافر الوقت لقوات الجيش الثامن لتحصين مواقعها الدفاعية حتى لا تتدعَّم أوضاعها بوصول إمدادات جديدة إليها، وخلال الأيام الثلاثة الأولى من شهر يوليو دارت معارك عنيفة بين قوات المحور المهاجمة والقوات البريطانية المدافعة، وعلى الرغم من نجاح قوات المحور في عمل ثغرة في الدفاعات البريطانية، ومن احتلال بعض الهيئات الأرضية فإن الهجوم المضاد الذي شنته الفرق البريطانية أجبر روميل على سحب قواته، وإعادتها إلى مواقعها السابقة، وقد لعب السلاح الجوي البريطاني دورًا أساسيًّا في صد الهجمات الألمانية المدرعة، وفي ضرب مراكز الحشد والأرتال الإدارية ضربًا مركزًا وبصورة مستمرة.

وبانتهاء هجوم قوات المحور، واستعادة الخط الدفاعي البريطاني في العلمين توازنه قام الجنرال أوكنلك بإعادة تنظيم قواته، وتوزيعها على طول الجبهة كما يلي:

- **القطاع الشمالي**: وتمتد مواجهته من البحر المتوسط شمالاً إلى تبَّة الرويسات جنوبًا، وقد قام الفيلق 30 باحتلاله بثلاث فرق في الأمام (فرقة استرالية، وفرقة من جنوب أفريقيا، وفرقة هندية)، بينما وضعت الفرقة 50 البريطانية في الخلف كاحتياطي للقطاع.

- **القطاع الجنوبي**: وتمتد مواجهته من جنوب تبَّة الرويسات إلى حد منخفض القطارة

جنوبًا، وقد تم احتلاله بقوات الفيلق 13، وقد قامت الفرقة النيوزيلندية التابعة له باحتلال منطقة متوسطة عند تبَّة علم نايل، وكان يليها في الجنوب اللواء 7 الراكب لمراقبة الخط الدفاعي للقطاع الجنوبي، بينما وُضِعَت الفرقة المدرَّعة البريطانية في الاحتياطي بالخلف، وعُهِدَ إليها بتأمين الجنب الأيسر للخط الدفاعي من ناحية منخفض القطارة.

وعقب فشل قوات المحور في اختراق خط العلمين حاول الجنرال أوكنلك الذي كان يتولى قيادة الجيش الثامن استعادة المبادأة، وذلك منذ العاشر من شهر يوليو عن طريق القيام بسلسلة من الهجمات المضادة المحلية؛ لتحسين مواقع قواته وتقوية دفاعاته باحتلاله الهيئات الحاكمة في خط العلمين استعدادًا للعمليات الهجومية المنتظرة، ولكن هذه الهجمات العنيفة التي شنَّها حتى نهاية شهر يوليو لم تسفر عن أية نتائج إيجابية، وحتى على فرض نجاحها فلم يكن لدى أوكنلك القوة المدرَّعة الكافية التي يمكنه دفعها لاستغلال هذا النجاح؛ ونظرًا لأن كلا من القوتين المتحاربتين كانت تحتل مواقع دفاعية منيعة تسترها حقول عميقة من الألغام لا يمكن اختراقها إلا بواسطة قوات ضخمة من المشاة مدعَّمة بعناصر كافية من المدفعية لذا لم يعد في إمكان الطرفين استخدام القوات المدرَّعة للقيام بحركات الالتفاف والتطويق التي تعد من أبرز مميزاتها، والتي كانت في المعارك السابقة من خصائص حرب الصحراء.

خطة مونتجومري الجديدة

خلال شهر أغسطس عام 1942 تلقَّت القوات الألمانية إمدادات جديدة لتعزيز موقعها، وإعدادها لمواصلة الهجوم، والتقدم إلى الإسكندرية فوصلت الفرقة 164 مشاة من الحامية الألمانية بجزيرة كريت، وعدة كتائب مظلات لاستخدامها كتائب مشاة عادية، كما وصلت عناصر مدرعة ووحدات من المدفعية لاستعاضة الخسائر التي نتجت عن المعارك السابقة، ولكن موقف الفيلق الأفريقي كان لا يزال متحرِّجًا من الناحية الإدارية، وخاصة في البترول؛ بسبب ضرب السلاح الجوي البريطاني بشدة وعنف

متواصلين لموانئ مرسى مطروح، وطبرق، وبني غازي، وطرابلس، وكذا سفن النقل التي تعمل بين موانئ جنوب إيطاليا والشاطئ الأفريقي.

وقبيل منتصف أغسطس عام 1942 زار ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا قوات الجيش الثامن في الصحراء الغربية، وقام بمناقشة الجنرال أوكنلك في خطة الدفاع عن العلمين، ومدى إمكانات الجيش الثامن لشنِّ هجوم عام على قوات المحور بهدف تدميرها والقضاء عليها، وقد أدرك تشرشل من مجرى النقاش عدم استعداد القائد البريطاني للقيام بعملية هجومية ضد قوات المحور في زمن قريب، وعلى العكس فإن الخطط كانت مجهَّزة لمواجهة احتمال الانسحاب من خط العلمين، والقتال في الدلتا.

ونتيجة لذلك قرر تشرشل عزل أوكنلك من منصبه، وعيَّن بدلاً منه في منصب القائد العام لقوات الشرق الأوسط الجنرال هارولد ألكسندر، كما عيَّن الجنرال برنارد مونتجومري قائداً للجيش الثامن، ومنذ هذه الفترة بدأت الإمدادات والأسلحة والمعدات تتدفَّق على الجيش الثامن من بريطانيا والولايات المتحدة، فتم وصول فرقتين من المشاة، فضلاً عن 400 دبابة أمريكية من طراز شيرمان، وعدة مئات من المدافع المضادة للدبابات (عيار 6 أرطال)، ومدافع الميدان (عيار 25 رطلاً)، والمدافع ذاتية الحركة، كما توالى وصول عدة أسراب من الطائرات المقاتلة والقاذفة.

وقد تعرَّض روميل - بسبب وقوفه بقواته جامداً أمام خط العلمين وعدم مبادرته بالانسحاب إلى خط الحدود المصرية عندما أيقن بعجزه عن اختراق الموقع الدفاعي البريطاني والاتجاه إلى الإسكندرية - للكثير من النقد، سواء من جانب المحللين العسكريين الألمان أو البريطانيين، وقد ورد بهذا الشأن في مذكرات المحلل البريطاني الشهير ليدل هارت ما يلي: "إن خطأ روميل الكبير هو عدم عنايته بالجانب الإداري قدر عنايته بالجانب الاستراتيجي"، ولم يكن روميل في واقع الأمر هو المسئول عن الموقف الإداري المتحرِّج الذي واجهه أثناء وقوفه جامداً بقواته في مواجهة الخط الدفاعي

البريطاني في العلمين، فقد خاطب بإلحاح رئيسه المباشر الجنرال الألماني كيسلرنج الذي كان يتولّى القيادة العامة للجبهة الجنوبية منذ إبريل عام 1942 في مقر قيادته بروما مع مساعده الإيطالي الجنرال كافاليرو، وطالبه عدة مرات بأن يزوده بالقوات والأسلحة والمعدات، وبالإمدادات الإدارية التي كان في أشد الحاجة إليها، وخاصة البترول.

ولم يكن في إمكان روميل التدخل لسحب بعض الفرق الألمانية المتمركِّزة في فرنسا بدون أي غرض حيوي بعد أن أصبح واضحًا أن غزو الحلفاء لأوروبا لا يمكن أن يقع في عام 1942، وكان إمداده بها وقتئذ كفيلاً بتغيُّر الموقف، وربما لتغيير مجرى التاريخ.

وكان تولّي الجنرال مونتجومري قيادة الجيش الثامن إيذانًا ببدء مرحلة جديدة في حرب الصحراء، وكان التوجيه الذي تسلّمه هو والجنرال ألكسندر من ونستون تشرشل عندما أسند إليهما مهام القيادة بسيطًا ومختصرًا، فقد قال: "واجبكم الأول هو تدمير الجيش الألماني الإيطالي الذي يقوده الفيلد مارشال روميل في مصر وليبيا في أقرب فرصة مع كل أسلحته ومعداته وتموِيناته".

وكان أول أمر أصدره مونتجومري إلى جنوده بمجرد تسلُّمه القيادة في الميدان هو: "سنقاتل العدو حيث تقف قواتنا الآن فلا انسحاب ولا تسليم"، وبعد أن قام مونتجومري بدراسة ميدانية لأوضاع الجيش الثامن كانت سياسته القادمة التي قرَّرها، والتي أخطر بها قادة تشكيلاته ورؤساء أفرع قيادته تتلخص فيما يلي:

- لا انسحاب للجيش الثامن من موقع العلمين، وعلى ذلك يتم إلغاء جميع التعليمات والأوامر السابق إصدارها الخاصة بعملية الانسحاب، ويوقف العمل فورًا في أي دفاعات في الدلتا، ويدعم الجيش الثامن بالقوات والمعدات والموارد المستخدمة في هذه الدفاعات.
- واجب الجيش الثامن الأساسي هو تدمير قوات المحور في مواقعها بالعلمين، وعدم إتاحة الفرصة لها للانسحاب.

- يتم فوراً بدء التخطيط لعملية هجوم شامل على قوات المحور في وقت قريب، ويتم تجميع قوة مدرَّعة كافية لتكون القوة الضاربة الرئيسية أثناء الهجوم، ولهذا الغرض يشكَّل الفيلق 10 من فرقتين مدرَّعتين وفرقة مشاة على أن تُسحَب تشكيلات هذا الفيلق للقيام بتدريبها في المنطقة الخلفية.
- تُلْغَى الخطط الخاصة باحتلال المواقع الدفاعية بمجموعات ألوية في الخط الدفاعي بالعلمين، وتستبدل بخطط جديدة تقضي بأن يكون احتلال المواقع الدفاعية بفرق كاملة.
- ينتقل مركز قيادة الجيش الثامن إلى جوار قيادة القوات الجوية بالصحراء ليتم للقيادتين تنسيق العمل معاً.

موقف الجانبين بعد الوصول
إلى خط العلمين

الفصل العاشر

أولاً: موقف القوات البريطانية (المهزومة):

عندما وصل الجيش الثامن البريطاني إلى خط العلمين بعد هزيمته في معركة مرسى مطروح كان قد فقد 80 ألف جندي وكمية كبيرة من المعدات، وكان الجنود في حالة شديدة من الإعياء، فكانت أول مهمة تواجه القائد العام البريطاني الجنرال أوكنلك هي إعادة تنظيم هذه القوات، ثم احتلال خط دفاعي قوي في منطقة العلمين؛ لوقف تقدم قوات المحور.

كان موقع العلمين موقعًا دفاعيًّا طبيعيًّا، فهو يرتكز على مانعين طبيعيين كبيرين هما: البحر الأبيض المتوسط شمالاً ومنخفض القطارة جنوبًا، ولذا كان يُعد الموقع المثالي لقوة فقدت عنصرها المدرَّع في عملياتها العسكرية السابقة، وبدأت القوات البريطانية المنسحبة من مرسى مطروح في إنشاء الدفاعات، ووضع موانع الأسلاك الشائكة، وحفر الخنادق المضادة للدبابات، وبث الألغام المضادة للأفراد والدبابات أمام موقع العلمين، وقد أدى انسحاب القوات البريطانية إلى هذا الخط إلى تقصير خطوط مواصلاتهم، فاستطاعوا بذلك استعاضة الكثير مما فقدوه من قواعدهم الإدارية الرئيسية في الدلتا، بينما طالت خطوط مواصلات قوات المحور.

وكانت كل الدفاعات البريطانية الموجودة أصلاً في منطقة العلمين عبارة عن ثلاثة مناطق دفاعية منفصلة عن بعضها البعض، ويصل الفاصل بينهم إلى 15 ميل محتلة باللواء 3 جنوب أفريقيا حول بلدة العلمين، واللواء 6 النيوزيلندي في منطقة باب القطارة أو قارة العبد، واللواء 90 الهندي في أقصى الجنوب عند نقب أبو دويس، وهكذا لم يكن خط العلمين خطًّا بالمعنى المفهوم، وإنما كان عبارة عن مناطق دفاعية متناثرة لا يوجد بينها أي تعاون، وعندما تسلَّم الجنرال "توري" قائد الفيلق 30 قيادة هذا الخط في 23 يونيه 1942 أمر بإنشاء منطقة دفاعية في منطقة باب القطارة جنوبًا، وفي

يوم 28 يونيه احتلَّه اللواء 18 الهندي الذي كان قد وصل من العراق حديثًا، وبدأت جميع القوات في تحسين دفاعاتها، ووضع الأسلاك الشائكة والألغام قبل أن تصل قوات المحور.

كانت الخطة العامة التي قرَّر الجنرال أوكنلك اتِّباعها مبنيَّة على اعتبار أن قوات روميل لابد أن تكون في غاية الإرهاق والإنهاك؛ لذا كانت خطته تتلخص في إيقاف روميل عند العلمين باتباع أسلوب الدفاع المتحرك.

ولتنفيذ خطة الدفاع المتحرِّك هذه قام أوكنلك بإعادة تنظيم قواته على شكل مجموعات قتال خفيفة الحركة بنفس الطريقة التي خطَّطها في معركة مرسى مطروح، والتي لم تنجح إذ ذاك؛ لأنها كانت جديدة ومفاجأة للقوات، كما إنها نُفِّذَت في وقت فوضى وارتباك وانسحاب وتغيير قيادة الجيش، وأصدر أوكنلك أوامره أيضًا بأن جنود المشاة الزائدين عن هذه المجموعات خفيفة الحركة يُرسَلون فورًا إلى الخلف إلى منطقة الإسكندرية والدلتا لإعداد وتجهيز الدفاعات الموجودة بها.

وتنفيذًا لهذه الأوامر شكَّلت الفرقة الأولى جنوب أفريقيا مجموعتين خفيفتي الحركة كلاًّ منها تعادل مجموعة لواء تقريبًا، والمجموعة الأولى منها هي مجموعة اللواء 2 جنوب أفريقيا، وقد احتلت مواقعها غرب علم القنصل بحوالي ميل واحد، والثانية هي مجموعة اللواء الأول جنوب أفريقيا، واحتلت مواقعها جنوب غرب المجموعة الأولى بأربعة أميال شمال تَبَّة الرويسات مباشرة.

وفي الوقت نفسه شكلت بقايا الفرقة 50 البريطانية ثلاث مجموعات خفيفة الحركة بكلٍّ منها بطارية مدفعية ميدان، واتخذت جميعها أوضاعها الدفاعية خلف "علم القنصل"، كما شكلت الفرق 10 الهندية مجموعة اتخذت أوضاعها الدفاعية على تَبَّة الرويسات، وفي أقصى الجنوب كانت الفرقة 5 الهندية قائمة أيضًا بتشكيل مجموعات خفيفة الحركة.

أما الفرقة الثانية النيوزلندية فعلى إثر قيام اللواء 6 منها باحتلال المنطقة الدفاعية في "باب القطارة" يوم 28 يونيه استمرت باقي وحدات الفرقة (اللواءان 4 و5) التي كانت منسحبة من مرسى مطروح في الوصول تباعًا على منطقة "باب القطارة" خلال اليوم نفسه، وقام جنودها بمعاونة اللواء 6 في إعداد وإتمام دفاعاته، ثم بعد ذلك اتّخذ اللواءان (4 و5) أوضاعهما الدفاعية خلفه في منطقة دير المناصيب.

وكانت جميع القوات الموجودة في القطاع الشمالي (الفرقة الأولى جنوب أفريقيا، والفرقة 50 البريطانية، والقوات المدرعة) تحت قيادة الفيلق 30، بينما كانت جميع القوات في القطاع الجنوبي (الفرقة 2 النيوزيلندية، والفرقة 15 الهندية) تحت قيادة الفيلق 13، وكان مركز قيادة الجيش الثامن يحتل خلف تبّة "علم حلفا" للسيطرة على العمليات، وتنسيق العمل بين الفيلقين.

وقد وصلت إلى قوات الجيش الثامن البريطاني إمدادات كبيرة من القوات الجديدة، وكذا الأسلحة والمعدات والذخائر من أرجاء الإمبراطورية في منطقة العلمين، ويَسَّر هذا قرب منطقة العلمين من الإسكندرية، كما خفف العبء الإداري إلى أقصى درجة ممكنة.

كان هذا موقف البريطانيين عمومًا في منطقة العلمين. عصر يوم 30 يونيه حين وصلت طلائع البانزر الألمانية أمام دفاعاتهم.

ثانيًا: موقف قوات المحور:

في عصر يوم 30 يونيه وصلت قوات المحور أمام الدفاعات البريطانية في مواجهة خط العلمين، وعندما وصل روميل إلى هذا الخط كان قد فقد جزءًا كبيرًا من قواته وعرباته ودباباته، وفي هذا الوقت كان 85٪ من عرباته عبارة عن عربات بريطانية سبق الاستيلاء عليها في معاركه السابقة، كما كانت دبابات فرقتي البانزر (15 و21) لا تزيد عن 55 دبابة، وأفراد مشاة الفرقتين لا يزيدون عن 500 جندي، بينما قوة الفرقة 90 مشاة

الخفيفة لا تزيد على 1100 جندي، وكان عدد المدافع الألمانية من جميع الأنواع 330 مدفعًا؛ منها 39 مدفعًا من عيار 25 رطلاً مستولي عليه، و29 مدفعًا من عيار 88مم. أما القوات الإيطالية فكانت تتكون من 30 دبابة، و200 مدفع من مختلف الأنواع، و5500 جندي من المشاة.

وكانت خطة روميل العامة يوم 30 يونيه لمهاجمة منطقة العلمين تشابه خطته في معركة مرسى مطروح، وتتلخص في أن تقوم الفرقة 90 الخفيفة بالتقدُّم على يسار فيلق أفريقيا، ثم تلتف حول دفاعات منطقة العلمين من الجنوب، ثم تستمر في التقدُّم شرقًا، وتلتف بعد ذلك لقطع خطوط مواصلات البريطانيين، وكذا خطط انسحابهم نحو الشرق.

وفي نفس الوقت كان على فيلق أفريقيا (فرقتي البانزر 15 و21) التقدم بين قطاعي الفيلق (30 و13) البريطانيين، ثم الالتفاف نحو الجنوب لتطويق جميع قوات الفيلق 13 البريطاني؛ لإرغامهم على الانسحاب السريع، وكلَّف فرقة ليتوريو المدرَّعة بمواجهة وتثبيت القوات البريطانية المدرَّعة التي كان يعتقد أنها محتلَّة في "قارة العبد"، كما كلف الفيلق 20 الإيطالي بمواجهة اللواء 10 الهندي الذي كان يعتقد كذلك أنه محتل منطقة "دير الأبيض"، بينما يتقدم باقي الفيلق إلى تبَّة "الرويسات" خلف القوات المهاجمة كما كلَّف الفيلق 21 الإيطالي بمهاجمة دفاعات خط العلمين من الغرب.

وكان من المقرر بدأ الهجوم سعت 300 في اليوم الأول من يوليه 1942، إلا أنه نظرًا للمصاعب الإدارية، وعمليات إعادة تنظيم القوات أصبح من الضروري أن يتأخر الهجوم إلى صباح نفس اليوم.

ثالثًا: الهجوم الأول لقوات المحور على خط العلمين:

1. **الموقف العام**: في 30 يونيه 1942 استقرت التشكيلات البريطانية في خط العلمين، وكانت من الشمال إلى الجنوب كالآتي: (الفرقة الأولى جنوب أفريقيا حول بلدة العلمين على شكل نصف دائرة احتلَّها اللواء 3 جنوب أفريقيا في الشمال، فاللواء

18 هندي وصل حديثًا في منطقة دير الشين في المنتصف، فاللواء 9 هندي في الجنوب عند نقب أبو دويس، بينما وضعت الفرقة الأولى المدرعة في الاحتياطي إلى الشرق).

2. **هجوم قوات المحور**: في صباح الأول من يوليه 1942 بدأ هجوم قوات المحور، وفي ليلة 1/ 2 يوليه تمَّ اكتساح اللواء 18 هندي من مواقعه، وبدأ روميل في صباح 2 يوليه في توسيع ثغرة الاختراق، فدفع الفيلق الأفريقي، وفرقة أريتي المدرَّعة، ومعظم فرق المشاة الإيطالية إلى المعركة، ونشب إثر ذلك قتال عنيف، مما اضطر روميل بحلول مساء 2 يوليه إلى سحب قواته من الثغرة التي أحدثها في خط العلمين، وفي يوم 3 يوليه استأنف روميل الهجوم مرة أخرى، ولكن تم صدَّ جميع هجماته، وبانتهاء هذا الهجوم على خط العلمين أخذ روميل يفقد المبادأة، بينما بدأ الجنرال أوكنلك سلسلة من الهجمات المضادة لتحسين موقف قواته.

3. **الهجمات المضادة البريطانية**: أعاد الجنرال أوكنلك تنظيم قواته، فاحتل الفيلق 30 القطاع الشمالي من شاطئ البحر إلى تَبَّة الرويسات، واحتل بفرقة من الفيلق 13 منطقة علم نايل، بينما احتفظ بباقي الفيلق في الاحتياطي لحراسة الجانب الأيسر للموقع البريطانية. بدأ أوكنلك هجومه يوم 9 يوليه، وتمكَّنت قواته من احتلال تل العيصي وتل المخاض، إلا أن قوات المحور قامت بهجوم عنيف ليلة 13/ 14 يوليه، وتمكَّنت من استرداد هذين التلَّين. استأنفت القوات البريطانية الهجوم في المدة بين 15، 17 يوليه، واستولت على تل العيصي وتل المخاض وتَبَّة المطرية، إلا أن قوات المحور استطاعت استردادها جميعًا مرة أخرى بعد قتال عنيف.

استمرت أعمال القتال بعد ذلك بين الجانبين، إلا أن جميع الهجمات البريطانية فشلت، وبذلك توقَّفت العمليات الهجومية المحلية من الجانبين خلال شهر أغسطس 1942.

معركة العلمين

موقف الجانبين بعد الوصول إلى خط العلمين

شهر أغسطس 1942

1. **موقف قوات المحور:**

خلال شهر أغسطس 1942 وصلت إلى قوات المحور إمدادات جديدة من الأسلحة والمعدات والدبابات، كان أهمها الفرق 164 مشاة، والآلاي 125 مشاة من حامية جزيرة كريت، إضافة إلى عدة كتائب مظلات ألمانية (استخدمت كمشاة عادية)، وقد تعرَّضت خطوط مواصلات قوات المحور بصفة دائمة للهجمات من القوات الجوية، والقطع البحرية البريطانية التي ركَّزت على الموانئ وعلى سفن النقل الصغيرة؛ ونظراً لطول خطوط المواصلات، لذا قلت كفاءة الحملات الإدارية البرية، وأصبح موقف قوات المحور من الإمدادات الإدارية ـ خاصة البترول ـ حرجًا للغاية.

2. **موقف القوات البريطانية:**

خلال شهر أغسطس 1942 وصلت إلى القوات البريطانية في العلمين إمدادات جديدة من القوات (الفرقتان 44، 51 المشاة)، علاوة على عدة مئات من مدافع الميدان ذاتية الحركة (SP)، وعدد ضخم من طائرات القتال والقاذفات؛ لذا قرر الجنرال أوكنلك في أول أغسطس وقف العمليات الهجومية، وتعزيز مواقعه الدفاعية الحالية حتى يحين الوقت المناسب لتوجيه ضربة رئيسية لقوات المحور.

3. **تغيير القيادة البريطانية:**

كان المسئولون عن إدارة الحرب في بريطانيا يشعرون أن الأوضاع العسكرية في الشرق الأوسط تتطلَّب إجراءًا حاسمًا نتيجة لانخفاض الروح المعنوية للقوات وللهزائم المتتابعة للجيش الثامن، مما أدى إلى أن يقوم ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا بالتوجه إلى

القاهرة لدراسة الموقف المتدهور مع كبار القادة البريطانيين، والبحث عن مخرج للأزمة، خاصة بعد عبارة تشرشل الشهيرة عن الجيش الثامن: (إنه جيش شجاع، ولكنه يبعث على الحيرة).

وقد وصل تشرشل إلى القاهرة يوم 30 أغسطس 1942، حيث اجتمع مع الفيلد مارشال سمطس رئيس وزراء جنوب أفريقيا، والجنرال ويفل (القائد الأسبق للقوات البريطانية في الشرق الأوسط)، والجنرال الن بروك (رئيس هيئة أركان الإمبراطورية البريطانية)، وأخذ تشرشل في الضغط على الجنرال أوكنلك للقيام بالهجوم العاجل على قوات المحور في العلمين قبل التاريخ الذي حدَّده الأخير وهو 15 سبتمبر 1942، ولكن دون جدوى.

وقد اتضح لتشرشل أثناء زيارته لجبهة الجيش الثامن في الصحراء أن الجنرال أوكنلك ليس مستعداً للقيام بأي أعمال هجومية قبل مضي وقت طويل، كما أن الأعمال الدفاعية التي كانت تجري وقتئذ كانت توحي بأن أوكنلك لم يكن واثقًا من إمكان صدّ هجوم قوات المحور المنتظر، ولذلك قام بعزل الجنرال أوكنلك، وولّى بدلاً منه الجنرال هارولد الكسندر لقيادة القوات البريطانية في الشرق الأوسط، كما أصدر أمرًا بتعيين الجنرال جوست قائد الفيلق 13 لقيادة الجيش الثامن، إلا أنه قُتلَ في اليوم نفسه عندما أسقطَت طائرته (طائرة مقاتلة ألمانية)، وهو متّجه إلى القاهرة لاستلام قيادته الجديدة من تشرشل، وفي إثر مصرع الجنرال جوست أصدر تشرشل أمره بتعيين الجنرال برنارد مونتجومري قائدًا للجيش الثامن، وبدأ عمله يوم 12 أغسطس 1942.

4. موقف قوات الجانبين من الوصول إلى العلمين:

وقد اتضح لـ" ونستون تشرشل " أثناء زيارته لجبهة الجيش الثامن في الصحراء أن الجنرال أوكنلك لم يكن على استعداد للقيام بأي أعمال قتال هجومية قبل مرور زمن طويل، كما أن الاستعدادات الدفاعية التي كانت تجري وقتئذ كانت توحي بأن القائد

العام البريطاني في الشرق الأوسط لم يكن واثقًا من إمكان إيقاف الهجوم الألماني المنتظر.

ولذلك عزل ونستون تشرشل الجنرال أوكنلك، وولّى بدلاً منه الجنرال هارولد ألكسندر لقيادة القوات البريطانية في الشرق الأوسط، كما أصدر أمرًا بتعيين الجنرال جوت قائد الفيلق 13 قائدًا للجيش الثامن، إلاّ أنه قُتِلَ في اليوم نفسه عندما أسقطت طائرته (طائرة مقاتلة ألمانية)، وهو متجه إلى القاهرة لاستلام قيادته الجديدة من تشرشل، ولكن على إثر مصرع الجنرال جوست أصدر تشرشل أمرًا بتعيين الجنرال برنارد مونتجومري قائدًا للجيش الثامن البريطاني، وبدأ عمله في يوم 12 أغسطس 1942.

وكان رأي تشرشل ترشيح الجنرال ولسون للقيادة، ولكن الفيلد مارشال سمطس وألن بروك نجحا في إقناع تشرشل بأن يوافق على تعيين مونتجمري لقيادة الجيش الثامن.

5. وصول الجنرال مونتجومري:

وبوصول الجنرال مونتجومري إلى منطقة العلمين اتّخذ أول قراراته بحرق جميع خطط الانسحاب، واستخدام الدبابات والمدفعية في أكبر حشد، وتجميع قوات الدلتا للقتال في العلمين، وعدم مطاردة روميل، وفي الوقت نفسه بدأ في دراسة نقط الضعف، فاتضحت له الحقائق التالية:

1. عدم اتباع الجنرال أوكنلك لسياسة هجومية، واتباع سياسة دفاعية سلبية ترمي إلى التخلّي عن مواقع العلمين.
2. القتال بمجموعات لواءات مستقلة بدلاً من القتال لفرق كاملة (عدم اتباع مبدأ من مبادئ الحرب، وهو حشد القوات).
3. عدم تنسيق خطط العمليات بين القوات الجوية والقوات البرية.

4. ضعف الروح المعنوية في الجيش الثامن .

6. **دراسة مونتجومري في موقف القوات:**

وبدأ مونتجومري في دراسة موقف القوات والخطط والأساليب المتّبعة في القتال ، وخرج من دراسته باتخاذ قرار باتباع سياسة دفاعية جديدة تتلخص في الآتي :

أ- أن واجب الجيش الثامن البريطاني هو تحطيم قوات المحور في شمال أفريقيا .
ب- أن الجيش الثامن البريطاني لن ينسحب من مواقع العلمين .
ت- سيكون الجيش الثامن البريطاني على استعداد لمواجهة الهجوم الألماني لو حدث بعد أسبوعين ؛ أي يوم 27 أغسطس .
ث- البدء فوراً في وضع الخطط للهجوم البريطاني الكبير المنتظر ، ولهذا تمّ تشكيل الفيلق 10 المدرع مكّوناً من فرقتين مدرعتين ، والفرقة 2 المشاة النيوزيلندية ؛ ليكون القوة الضاربة الرئيسية على أن ينسحب إلى الخلف للتدريب .
ج- تعود القوات إلى القتال بفرق كاملة ، وليس ألوية .
ح- تنتقل رئاسة الجيش الثامن إلى حوار رئاسة القوات الجوية بالصحراء ليتم التنسيق بينهما .

قامت قوة طبرق البرية من اتجاه سيوه مستخدمة العربات الألمانية المستولى عليها ، واستخدام اللبس الألماني للأفراد ، وكانت معظم الجماعات الأولى تتكلم الألمانية بطلاقة ، وكانت كل هذه التدابير بقصد خداع دوريات وحراس النقط الدفاعية للمحور للسماح بالمرور دون معارضة .

وقد أمكنهم التسلُّل إلى طبرق ، وهاجموا بعض المدافع الساحلية ، كما حاولوا إطلاق سراح الأسرى البريطانيين ، وكان المفروض أن تصل إليهم القوة البحرية ، وتتعاون معهم بإنزال الجماعات ، ولكنها لم تصل في موعدها ، ولم تصل إلى أماكنها المحددة ، علاوة على فقد ثلاث مدمِّرات ، وثلاث سفن إنزال صغيرة في هذا العمل ، وأخيراً اضطّرت القوة للانسحاب بخسائر جسيمة .

7. **قوة بني غازي البرية:**

أما قوة بنغازي البرية (سُمِّيَت قوة سترلنج باسم قائدها)، فبدأ تقدُّمها من واحة الكفرة، فقطعت رحلة هائلة طولها 700كيلومتر عبر الصحراء الجرداء حتى وصلت إلى مطار بني غازي، فلما وجدت دفاعاته قوية عادت من حيث أتت.

وهكذا انتهت العمليَّتان بفشل تام، ولم يكن لهما أي نتائج سوى فقد الجزء الأكبر من الجنود المدربين، علاوة على القطع البحرية.

8. **عمليات يوم 30 سبتمبر 1942:**

يوم 30 سبتمبر 1942 بدأ مونتجومري هجوم تمهيدي استعداداً لمعركة العلمين بقصد السيطرة على منخفض المناصيب، أو على الأقل للإشراف عليه لإمكان مراقبته.

9. **فجر يوم 30 سبتمبر 1942:**

وفي فجر يوم 30 سبتمبر قام لواء من الفرقة 44 المشاة البريطانية بالهجوم في اتجاه الجنوب الغربي على مواقع المحور الدفاعية في منطقة دير المناصيب، وكان يعاونه في هذا الهجوم 9 آلايات مدفعية ميدان، وآلاي مدفعية متوسطة، وقد تمكَّنت الكتيبة اليمنى من الوصول إلى هدفها عند الحافة الشمالية للمنخفض حيث عززت مواقعها المكتسبة. أما الكتيبة اليسرى فقد تعثَّرت في تقدُّمها بسبب الألغام، وقد تمكَّنت من الوصول إلى هدفها عند الحافة الجنوبية للمنخفض، إلا إنها لم تتمكَّن من تعزيز مواقعها؛ بسبب هجمات المحور المضادة المستمرة طوال اليوم.

10. **في ليلة 30سبتمبر/1 أكتوبر:**

وفي ليلة 30 سبتمبر/ 1 أكتوبر أعاد اللواء تنظيمه، واستأنف القتال، إلا إنه فشل في السيطرة على الحافة الجنوبية للمنخفض.

معركة "علم حلفا"

وفشل روميل في اختراق خط العلمين

الفصل الحادي عشر

في أواخر أغسطس عام 1942 قام روميل بآخر محاولة من جانبه لاختراق الدفاعات البريطانية في خط العلمين تمهيدًا لانطلاق قواته عبر عنق الزجاجة ما بين البحر المتوسط ومنخفض القطارة، (وهو الحاجز الذي أجبرها على التوقُّف طوال شهرين كاملين) ثم الاندفاع بقواته المدرَّعة شرقًا بعد بلوغها الأرض المفتوحة لاحتلال الإسكندرية، وكانت خطة روميل موضوعة على أساس القيام بهجوم تثبيتي على المواقع البريطانية في القطاع الشمالي (ما بين البحر المتوسط وتبَّة علم نايل)، بينما يقوم فيلق البانزر الألماني والفيلق 20 الإيطالي الخفيف الحركة بعملية اختراق للمواقع البريطانية في القطاع الجنوبي (ما بين علم نايل وقارة الحميمات)، والتقدُّم شرقًا إلى الموقع الدفاعي على تبَّة علم حلفا لاحتلاله ـ كان يعد أهم موقع دفاعي، وتعد التبة أعلى هيئة أرضية في الخط الدفاعي البريطاني بأكمله ـ، وكان على الفيلقين بعد ذلك الاندفاع في الثغرة ما بين علم نايل وعلم حلفا، والقيام بحركة التفاف إلى الشمال بغرض الوصول إلى الخط الحديدي والطريق الأسفلتي القريبين من البحر ليتم بذلك تطويق جميع القوات البريطانية في القطاع الشمالي، وقطع خط الرجعة عليها.

ولكن الجنرال مونتجومري عند تقديره للموقف توصَّل إلى الاستنتاج بأن روميل من المنتظر أن يكرِّر تكتيكاته الناجحة نفسها التي سبق له استخدامها في معركة الغزالة في برقة يوم 13 يونيو عام 1942، والتي أدَّت إلى هزيمة الجيش الثامن البريطاني، وفقده لقوته المدرعة، ثم انسحابه المذعور إلى العلمين، ووفقًا لذلك توقع مونتجومري أن يوجِّه روميل ضربته الرئيسية في القطاع الجنوبي من خط العلمين لاختراقه، ثم التقدم بعد ذلك شمالاً للوصول إلى البحر، وبذا يتم له طي الخط الدفاعي البريطاني من الجنوب إلى الشمال، وإرغام القوات المدرعة البريطانية على الدخول في معركة مع قوات البانزر الألمانية مستهدفًا تدميرها.

ونظرًا لأهمية تَبَّة علم حلفا التي تعد أعلى هيئة أرضية في الخط الدفاعي بأكمله، ويمكن منها السيطرة على جميع الأراضي شمالاً حتى شاطئ البحر، وكذا على طريقي التقدُّم شرقها وغربها وعلى الأرض المفتوحة جنوبها، وبالنسبة لوقوعها خلف منتصف الخط الدفاعي على بعد حوالي 15 كم شرق علم نايل، لذا أصبحت تَبَّة علم حلفا هي مفتاح الخط الدفاعي في منطقة العلمين، وكان هذا ما حدا بمونتجومري إلى أن يقرر ضرورة احتلال هذه التبة الحيوية، والتي لا يمكن لقوات المحور تجاهلها في أثناء قيامها باختراق الموقع الدفاعي البريطاني، وعلى ذلك تم تخصيص الفرقة 44 المشاة لاحتلال هذه التبة، وتحصينها، والدفاع عنها.

وفي ليلة 30/ 31 أغسطس 1942، وفي ضوء القمر الساطع قام روميل بهجومه المنتظر بعد تحضيرات قوية من المدفعية والطيران، وفي الشمال ووفقًا للخطة الموضوعة قامت فرقتان إيطاليتان بهجوم تثبيتي على المواقع الدفاعية البريطانية في القطاع الشمالي، وفي القطاع الجنوبي تم فتح عدة ثغرات في حقول الألغام البريطانية اندفعت عبرها القوة المدرعة الرئيسية، وفي صباح يوم 31 أغسطس تقدَّمت الفرقتان 15 و21 بانزر في اتجاه تَبَّة علم حلفا، وتوقفت الفرقتان بعد وصولهما إلى جنوب التبة لإغراء القوات المدرَّعة البريطانية بالتقدم لملاقاتها في الأرض المفتوحة، ولكن هذه القوات وفقًا لخطة مونتجومري رفضت التخلي عن مواقعها الحصينة والتورط في القتال، وعلى ذلك استأنفت فرقتا البانزر تقدُّمهما، وشنتا هجومًا على مواقع الفرقة 44 بتبة علم حلفا، ولكن هجومهما باء بالفشل.

وفي صباح يوم أول سبتمبر أمر مونتجومري بتحرُّك الفرقة 10 المدرَّعة لسدِّ الثغرة الموجودة بين تبتي علم حلفا وعلم نايل، ولحماية الجنب الأيمن للفرقة أمر لواء من فرقة جنوب أفريقيا باحتلال تبة الرويسات، وعلى الرغم من الهجمات العنيفة التي شنها الفيلق الأفريقي على المواقع البريطانية بعد النجاح الأوَّلي لعملية الاختراق فقد فشل في استكمال الخطة، والقيام بعملية الالتفاف في اتجاه الشمال لشدة وقوة المقاومة البريطانية التي واجهته.

وتبعًا لذلك بادر مونتجومري بوضع خطة الهجوم المضاد التي تضمَّنت تكليف الفيلق 13 بالقيام بهذا الهجوم بهدف إغلاق الثغرات المفتوحة في حقول الألغام، بينما يبقى الفيلق 30 في الاحتياط.

وقد لعب الطيران البريطاني الذي كانت له السيادة الجوية على أرض المعركة دورًا رئيسيًّا في تحطيم هجمات قوات المحور منذ اليوم الأول للمعركة، وقد تسبَّبت هجماته الجوية المركَّزة على الأرتال الإدارية في حرمان قوات المحور من معظم المؤن والإمدادات التي كانت في أشد الحاجة إليها، كما وجَّه الطيران البريطاني ضربات عنيفة ضد الثغرات ورؤوس الكباري التي قامت قوات المحور بفتحها في حقول الألغام.

وفي يوم 3 سبتمبر حاولت الفرقة النيوزيلندية (البريطانية) إغلاق الثغرات الألمانية في حقول الألغام عن طريق الهجمات القوية التي وجهتها ضدها، لكن الفرقة 90 الخفيفة الألمانية نجحت في صد هجماتها، وقامت فجر يوم 4 سبتمبر بشنِّ هجوم مضاد عنيف كبَّد الفرقة النيوزيلندية خسائر فادحة، وخلال يومي 5 و6 سبتمبر تم انسحاب قوات المحور تحت ستر ستارة قوية من المدافع عيار 88مم المضادة للدبابات، وعلى الرغم من فشل الهجوم وانسحاب قوات المحور غربًا للعودة إلى خطها الدفاعي فإن الجنرال مونتجومري لم يحاول مطاردة القوات المنسحبة، أو الضغط عليها ليكيل لها ضربة حاسمة تؤدي إلى تدميرها.

وكانت علم معركة حلفا هي الجولة الأخيرة في مرحلة الاستعداد الطويلة قبل معركة العلمين، وقد استفاد البريطانيون من هذه المعركة فوائد لا حصر لها، فقد كانت بمثابة حقل تجارب للنظريات الجديدة التي وضعها مونتجومري قبل المعركة، وقد أسهمت في رفع الروح المعنوية في صفوف الجيش الثامن، واستعادة ثقته في قيادته الجديدة، غير أن خطة مونتجومري كانت موضع النقد من العديد من المحلِّلين والخبراء العسكريين على أساس أنها كانت خطة دفاعية، ولذا لم يستطع استغلال فرصة اهتزاز موقف قوات

المحور بعد فشل هجومها لكي يوجِّه إليها ضربة قاضية يتم بها القضاء عليها، وبانتهاء معركة علم حلفا أخذ مونتجومري في إعداد قواته استعدادًا للمعركة الفاصلة القادمة.

هذا ولم يتمكَّن الفيلد مارشال روميل في معركة علم حلفا من مواصلة سلسلة انتصاراته الباهرة السابقة التي أكسبته مجدًا حربيًّا عظيمًا، وشهرة واسعة النطاق نتيجة لعوامل معاكسة يمكن تلخيصها فيما يلي:

- كانت القوات البريطانية تحتل مواقع دفاعية حصينة في خط العلمين لا يمكن الالتفاف حولها وتطويقها؛ لانحصارها بين مانعين طبيعيين: البحر المتوسط ومنخفض القطارة، ولم يكن في الإمكان إحراز المفاجأة لقرب الدفاعات البريطانية والألمانية من بعضها، ولإحراز النجاح في مثل هذا الموقف كان الأمر يستلزم إحراز قوات المحور التفوُّق في العدد وفي الأسلحة والمعدات؛ ونظرًا لأن البريطانيين هم الذين كان لديهم التفوُّق الساحق في كل هذه المجالات لذا كان من الصعب على قوات المحور تنفيذ خطة روميل التي كانت تقضي باختراق المواقع البريطانية من الغرب إلى الشرق، ثم الاتجاه شمالاً في اتجاه البحر لطي الخط الدفاعي البريطاني، وقطع خط الرجعة على القوات البريطانية، وفضلاً عن ذلك فقد اصطدمت قوات المحور أثناء المعركة بفرق قوية متماسكة، وليست ألوية مبعثرة ضعيفة كما كان عليه الحال قبل تولِّي مونتجومري زمام القيادة.
- نظرًا لإحراز الطيران البريطاني السيادة الجوية على أرض المعركة لذا أسهم بدور رئيسي في تحطيم هجوم قوات المحور، وفي عرقلة وصول القوافل الإدارية إليها، فضلاً عن خفض الروح المعنوية في صفوفها.
- إدراك الجنرال مونتجومري للتكتيكات التي يتَّبعها روميل، والتي انتصر بفضلها في معاركه السابقة؛ لذا وضع خطة المعركة على أساس عدم إتاحة الفرصة له لتكرارها خلال معركة علم حلفا، ولهذا اقتصر اشتباك الدبابات البريطانية في مواقع ضرب

نار ممهَّدة ومحصَّنة، وعدم تورّطها في معركة مع فرق البانزر على أرض مفتوحة حتى لا تُفاجأ بالستائر الألمانية المعهودة المضادة للدبابات التي سبق لها تدمير القوات المدرَّعة البريطانية في معركة الغزالة يوم 13 يونيو عام 1942، كما كانت تعليمات مونتجومري تقضي بعدم تحرُّك مدرعاته من مواقعها لمطاردة قوات المحور إذا بدأت في الانسحاب حتى لا تتوافر لروميل الفرصة للقضاء عليها.

- كان روميل في تلك الفترة يعاني من التهاب في الأنف، وتضخُّم في الكبد، وبلغ به المرض إلى الحد الذي جعله غير قادر على مغادرة عربته في أثناء المعركة، وقد تسبَّب ذلك في عجزه عن القيام باستطلاعه الشخصي المعهود لميدان القتال، ومن إصداره الأوامر الحاسمة في التوقيت المناسب، مما كان يؤدي في معاركه السابقة ـ بفضل عبقريته وبُعد نظره ـ إلى تحويل مجرى القتال، وانتزاع النصر من براثن الهزيمة.

لقاء هتلر مع روميل

بعد ثلاثة أسابيع من انتهاء معركة حلفا اضطر روميل لأول مرة في حياته ـ فيما عدا عندما أصيب بجراح ـ إلى إبلاغ القيادة العامة الألمانية في برلين عن مرضه الذي أصبح يعاني منه أشد المعاناة للعلاج، وقبل أن يدخل المستشفى في "سمرنج" استدعاه الزعيم الألماني هتلر للقائه في مركز قيادته في برلين، وفي أثناء الحديث ذكر روميل أن الفيلق الأفريقي برغم وقوفه أمام الإسكندرية فإنه عاجز عن دفع ذلك الباب، وفتحه؛ لعدم وصول الإمدادات والمؤن إليه، ولسوء موقفه الإداري بسبب النقص الحاد والمزمن في البترول (كان تعرض البريطانيين لناقلات بترول المحور المتجهة من الموانئ الإيطالية إلى الموانئ الليبية مستمراً بسبب السيطرة البريطانية الجوية والبحرية على الجزء الأوسط من البحر المتوسط، وقد ارتفع معدل إغراق هذه الناقلات في تلك الفترة إلى حد لم يُسبق له مثيل من قبل)، ويبدو أن هتلر قد اقتنع بوجهة نظر روميل، فقد رد عليه قائلاً: "لا تجزع أنا مصمِّم على أن أعطي لأفريقيا كل ما تريده من عون لا تخف فسوف تستولي على الإسكندرية".

واسترسل هتلر في حديثه، فأخذ يروي لروميل ما يتم تصنيعه وقتئذ من مئات القوارب الصغيرة ذات الغاطس الضحل التي تشبه قوارب الإنزال البحرية، والتي يتم تسليح كل منها بمدفعين مضادين للدبابات من عيار 88مم، وأوضح هتلر لروميل أن هذه القوارب سوف تكون نظرًا لحجمها أهدافًا صعبة للغاية بالنسبة للطائرات البريطانية.

وبعد تحميل هذه القوارب بالبترول سيكون من السهل ـ كما ذكر هتلر ـ تسلُّلها ليلاً إلى الشاطئ الأفريقي، وبذا يمكن حل مشكلة البترول حلاً جذريًّا، وأكد هتلر لروميل أنه قرَّر تخصيص مائتين من هذه القوارب على الفور لنقل البترول والإمدادات إلى قواته في شمال أفريقيا (جبهة العلمين)، وقد أوضح روميل فيما بعد أنه لم يشاهد أي قارب من هذه القوارب، ولم يصله أي واحد منها، وعلَّل ذلك أن هتلر كان كثيرًا ما يطلق لخياله العنان.

وعقب المقابلة اصطحب هتلر معه روميل في جولة شاهد فيها الطراز الجديد الذي تقرَّر تصنيعه على نطاق واسع للدبابة الألمانية (النمر)، ولمدفع الهاون من العيار الكبير الذي تم إنتاجه، وقد صدرت التعليمات بأن يكون ميدان شمال أفريقيا له الأسبقية الأولى في التوزيع بالنسبة لها، وأوضح هتلر لروميل أن كميات ضخمة من مدافع الهاون قد تقرَّر إرسالها فورًا إلى أفريقيا عن طريق النقل الجوي الذي يجب أن يكرِّس كل إمكاناته في النقل لهذه المهمة، وقد شعر روميل بعد لقاء (الفوهرر) ورؤيته بنفسه للدبابة والهاون الجديدين بمزيد من التفاؤل والأمل في المستقبل، فقد صدق بالطبع الوعود التي بذلها الزعيم، خاصة أن هتلر أدلى بحديث لمراسل أجنبي في برلين في الثالث من أكتوبر أكَّد فيه أن الجيش الألماني سوف يكون قريبًا في الإسكندرية.

وفي أثناء هذا اللقاء مع هتلر تقرَّر عدم عودة روميل إلى قيادته في شمال أفريقيا، فقد اعتزم هتلر بسبب قلقه على صحته أن يسند إليه قيادة مجموعة أحد الجيوش الألمانية في

أوكرانيا بالاتحاد السوفيتي على اعتبار أن تغيير الجو سوف يفيد صحته، وعلى أن يحل محله في منصبه في قيادة الفيلق الأفريقي الجنرال ستيوم.

ولكن الشكوك لم تلبث أن ساورت روميل بعد مضي حوالي أسبوعين على لقائه مع هتلر، وفي أثناء وجوده بمستشفى سمرنج الذي كان يتلقى فيه العلاج، وقد أسَرَّ بذلك لزوجته، وتساءل أمامها عما إذا كان هدف هتلر من وعوده له بشأن الفيلق الأفريقي هو مجرد تهدئته؟ وأبدى لها في النهاية عدم تصديقه لهذه الوعود الخيالية، ولا شك في أن القيادة العليا الألمانية قد أضاعت أثمن فرصة سنحت لها لإحراز نصر ساحق في الشرق الأوسط بعدم استجابتها للمطالب القليلة التي كان الفيلد مارشال روميل في أشد الحاجة إليها بعد وصوله إلى خط العلمين لمواصلة زحفه صوب الإسكندرية، وقد شرح روميل هذه الحقيقة بمرارة في بعض أوراقه السرية التي عُثِرَ عليها بعد وفاته، فقال: "استمرت القيادة العليا الألمانية على الخطة التي اتَّبعتها في تجاهل المسرح الأفريقي، فلم يقدِّروا أننا في الشرق الأوسط كنا قادرين بقليل من الوسائل على إحراز قدر من النجاح يفوق كثيراً من الناحيتين الإستراتيجية والاقتصادية ما كانوا يحلمون به من انتصار في معارك منحنى نهر الدون على الجبهة الروسية التي دفعوا فيها بمئات الفرق الألمانية دون جدوى. كان أمامنا أرض مليئة بثروات هائلة كانت تكفي للتغلب على كل متاعبنا في البترول. إن الإمدادات القليلة التي كان يحتاج إليها جيشي لم تكن تزيد على عدد قليل من الفرق الميكانيكية، وكانت تكفي لإلحاق هزيمة كاملة بجميع القوات البريطانية في الشرق الأوسط، ولكن للأسف لم تتم الاستجابة لمطالبنا بإمدادنا ببعض التشكيلات الإضافية".

مونتجومري يقود الجيش الثامن
إلى أول نصر ساحق
في معركة العلمين

الفصل الثاني عشر

سباق الإمدادات والتموين

هناك اعتبارات معينة، جديرة بالبحث والدراسة، فقد كانت قوات الطرفين على اتصال مباشر لمدة أربعة أشهر قبل المعركة، وقد حاول كلاً الطرفين الاستعداد لهذه المعركة، بكل وسيلة ممكنة، وكانت المشكلة الرئيسية التي واجهتهما، هي مشكلة الإمداد والتموين، وكان من المعروف جيداً، أن الطرف الذي يسبق خصمه في سباق الإمداد والتموين، هو الذي سيبدأ بالهجوم.

وانهالت الإمدادت، على الجيش الثامن البريطاني، وتدفقت المعدات الأمريكية والبريطانية إليه، بشكل لم يسبق له مثيل، ولم تتمكن القيادة الألمانية، مجاراة هذا التدفق، حيث كان الميدان الروسى في ذلك الوقت، يستنزف معظم مجهود ألمانيا الحربي، علاوة على الخسائر الفادحة، التي أُصيبت بها سفن المحور في البحر الأبيض المتوسط، أثناء محاولتها نقل الاحتياجات التموينية، والمعدات، إلى قوات "روميل" في شمال أفريقيا، وكان من البديهي أن ينتقل التفوق الساحق نتيجة لذلك، إلى جانب البريطانيين، بينما لم يتمكن "روميل"، من دعم قواته الألمانية (فرقة الأربعة) بأي قوات أخرى، إضافة إلى أن الفرق الإيطالية، التي كانت تحارب معه، لم تكن في المستوى الذي يسمح لـ "روميل" بالاعتماد عليها اعتماداً كلياً.

وشعر " روميل " بأن التفوق أصبح إلى جانب القوات البريطانية ، ولذلك عمد إلى تقوية مواقعه الدفاعية ، وتكثيف حقول الألغام أمامها ، كما احتفظ بجميع قواته المدرعة في الاحتياطي بالقطاعين الشمالي والجنوبي حتى يمكنه دفعها في الوقت المناسب إلى المكان المحتمل للهجوم البريطاني .

أما من ناحية " مونتجمري " فقد قرّر الاستفادة من ذلك التفوق الساحق ، الذي تحقق لقواته ، كما فكر في طبيعة الأرض بمنطقة العلمين ، حيث تقف قوات خصمه بين مانعين طبيعيين قويين (البحر المتوسط شمالاً ، ومنخفض القطارة جنوبًا) ، وقد وجد أن فرصته نادرة ولا يمكن أن تتوافر له مرة أخرى ، فهو يعلم جيداً أن قوات المحور تتفوق على قواته في المعارك المتحركة خفيفة الحركة ، كما أن مستوى تدريب قيادات قوات المحور على هذا النوع من المعارك أفضل من مستوى تدريب قياداته ، وعلاوة على كل هذا فإن " روميل " بالذات لا يجاريه أي قائد آخر في خبرته بالعمليات الصحراوية المتحركة التي تعتمد أساسًا على المناورة وخفة الحركة ، ولذلك قرر " مونتجمري " أنه من الضروري استغلال تفوقه الكبير في ضرب قوات المحور ضربة واحدة كبرى للقضاء عليها بأكملها ، وهي محصورة في منطقة العلمين ، مع عدم إتاحة أي فرصة لها للانسحاب حتى لا تعود لـ" روميل " الحرية على مزاولة مناوراته البارعة في الأراضي المفتوحة الواقعة في

الغرب . وكان قرار "مونتجمري" هذا متمشيًا مع الخطة الإستراتيجية للحلفاء حيث أن القضاء على قوات "روميل" نهائيًا ، يُمكّن القوات الأمريكية – والبريطانية من النزول على ساحل أفريقيا الشمالي في الموعد المخصص لذلك ، وهو يوم 8 نوفمبر ، وبهذا يتسنى للحلفاء السيطرة على شمال أفريقيا بأكمله ، ويتم بذلك تطويق قلعة "هتلر" الأوروبية من الجنوب .

هذه هي الاعتبارت العامة التي سيطرت على تقدير الموقف لكلا الجانبين ، وقد تحددت أهداف كل منهما طبقًا لذلك ، ولهذا انحصرت تلك الأهداف ، فيما يلي :

- بالنسبة للبريطانيين ، يجب القضاء على جميع قوات المحور ، وهي في منطقة العلمين .

- بالنسبة للمحور ، يجب الدفاع عن منطقة العلمين ضد أي هجوم بريطاني .

إلاّ أن وجهة نظر "روميل" كانت تختلف مع وجهة نظر القيادتين العليا الألمانية والإيطالية في ضرورة الاستمرار في الدفاع والبقاء في العلمين . فقد كان رأي روميل هو أن ينسحب في الوقت المناسب إلى الحدود المصرية الليبية حتى لا تتعرض قواته للإبادة ، وبذلك يعود لعملياته السابقة من حيث تقصير خطوط مواصلاته ، وإطالة خطوط مواصلات البريطانيين .

وعلى الرغم من التفوق البريطاني الساحق في الأفراد والمعدات، وعلى الرغم من أن الخطة التي وضعها "مونتجمري" كانت تهدف إلى تدمير كامل لقوات المحور، وهي في منطقة العلمين، فقد اعترض تنفيذ هذه الخطة عدة عقبات خطيرة بسبب براعة "روميل" في القيادة، وارتفاع مستوى تدريب قواته، وكفاءة قواته القتالية في العمليات. وكانت العقبة الأولى التي واجهت "مونتجمري" هي فشله في اختراق مواقع المحور الدفاعية في هجومه الأول ليلة 23/ 24 أكتوبر، مما أدى إلى توريط قواته المدرعة فيما بين حقول الألغام التي عبرتها، ومواقع المحور الدفاعية التي صمدت تجاه الهجوم البريطاني، وقد تكبدت القوات البريطانية المدرعة خسائر فادحة، بسبب هذا الموقف، واضطرت القيادة البريطانية إلى سحبها ثانية شرق حقول الألغام، كما اضطرت إلى مواصلة القتال المتلاحم في منطقة الاختراق عدة أيام من دون أي نتيجة تذكر. وفي النهاية اضطر "مونتجمري" إلى تعديل خطته بعد ان أوشكت القوة الدافعة لهجومه أن تتوقف.

وعلى الرغم من النجاح الذي أحرزه "مونتجمري" في هجومه النهائي إلاّ أن "روميل" كان بارعًا في مواجهة تطورات الموقف، على الرغم من قرارات القيادة العليا الألمانية والإيطالية المعاكسة، ولذلك نجح في سحب جزء كبير من قواته المدرعة، والآلية من دون أن تتمكن القوات البريطانية – على الرغم من تفوقها في

البر والبحر والجو – أن تنزل بها هزيمة كبيرة مع أنها فقدت كل دباباتها تقريبًا علاوة على أنها تنسحب في أرض صحراوية مكشوفة لا تتوافر فيها أي وسائل للإخفاء أو الوقاية من الهجمات الجوية . ولاشك أن هذا الانسحاب يعتبر نموذجًا رائعًا ، قلما يحدث مثله في تاريخ الحروب ، ويرجع الفضل الأكبر في نجاحه إلى عدة عوامل أهمها ما يلي :

أ- براعة " روميل " التكتيكية ، وسرعته في اتخاذ القرارات .

ب- التدريب الجيد لقوات " روميل " المدرعة والآلية ، وهي القوات التي كانت تستر انسحاب قوات المشاة ، فقد تمكنت هذه القوات في كثير من المرات ، من تعطيل قوات تفوقها عددًا وعدة لفترات طويلة .

ج- الروح المعنوية العالية لدى جنود المحور على الرغم من انسحابهم ، وذلك لثقتهم المطلقة في قائدهم .

د- جمود التكتيكات البريطانية ، وبطء القيادة البريطانية وحذرها المبالغ فيه الذي سبب ضياع فرص عديدة .

هـ- عدم اتباع سلاح الطيران البريطاني تكتيكات مناسبة في التعاون مع القوات البريطانية في عمليات المطاردة ، مما أدى إلى فشله في إيقاع خسائر كبيرة بقوات المحور المنسحبة .

ونتيجة لما سبق ، نجح " روميل " في سحب الجزء الأكبر من قواته من منطقة

العلمين ، وبالتالي لم يتحقق هدف " مونتجمري " في تحطيم جميع قوات المحور في هذه المنطقة ، وبالتالي وجد الجيش الثامن البريطاني نفسه في صراع جديد من أجل تعقب بقايا قوات المحور والقضاء عليها ، وظل في قتال مستمر وطويل طوال الأشهر التالية ، وامتد ميدان القتال أمامه في مسرح عملات شمال أفريقيا تدريجيًا من الأراضي المصرية حتى وصل في نهاية الأمر إلى الأراضي التونسية ، وضاعت على الجيش البريطاني فرصة الانتهاء من قوات المحور ، والتفرغ لعمليات أخرى .

تدعيم الجيش الثامن قبل المعركة:

قدّر " مونتجومري " عقب انتهاء معركة علم حلفا أن " روميل " لن يستطيع القيام بهجوم كبير آخر قبل مدة طويلة ، وعلى ذلك بدأ استعداده للقيام بهجوم واسع النطاق يحقق به الهدف المعطي له من رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل عندما سلم له قيادة الجيش الثامن ، وهو (تدمير قوات المحور في شمال أفريقيا) ، ولقد واجهت مونتجومري ثلاث مشاكل لتحقيق ذلك : القيادة ، والمعدات والأسلحة ، والتدريب ، وقد حلت مشكلة القيادة بتغيير بعض قادة التشكيلات الكبرى عقب معركة علم حلفا أما مشكلة المعدات والأسلحة فقد بدأت تتوافر كميات ضخمة من مصانع بريطانيا وأمريكا ، فقد وصلت العلمين كميات كبيرة من الدبابات الحديثة (شيرمان) والمدافع ذاتية الحركة SP . كما تم

تدعيم الجيش الثامن بعدة فرق كاملة من المشاة البريطانية ، وقوة ضخمة من أحدث الطائرات . مما جعله يبدأ هجومه ضد قوات المحور في معركة العلمين بعشر فرق (منها ثلاثة مدرعة) وحوالي 1100 دبابة 850 مدفعًا . كما تم تزويده أيضًا بعدد 500 طائرة قتال و200 قاذفة قنابل .

التدريب الشاق قبل المعركة:

قضت تشكيلات الجيش الثامن في الفترة ما بين معركتي علم حلفا والعلمين في تدريب شاق ومستمر ، وكان هدف هذا التدريب زيادة مقدرة الجنود على تحمل حياة الصحراء بمشاقها وخاصة بالتشكيلات البريطانية الحديثة العهد بحياة الصحراء ، وكذا غرس الاعتماد على النفس في الجنود وتدريبهم على القيام بالهجوم بدون معاونة المدفعية أو الدبابات وغرس عقيدة أن واجب المشاة هو قتل العدو إينما وجد ، وفي جميع الظروف ، ومهما ساءت الأحوال بل وأمر مونتجومري الجنود بأن يستمروا في القتال حتى لو أصيبو بجراح .

وكان من أول أهداف مونتجومري هو رفع الروح المعنوية باعتبارها العامل الأول في الانتصار في الحرب .

وكذا تأكيد ثقة جنوده في مهارته في القيادة والقضاء على روح الإحباط والهزيمة التي كانت قد تفشت في الجنود بعد هزيمة الجيش الثامن وانكساره في معركة الغزالة التي أدت إلى انسحابهم إلى منطقة العلمين في حالة فوضى عارمة .

وخلال فترة التدريب تم تدريب الجنود والضباط على الأساليب التي تتبعها المشاه في الهجوم الليلي وسط حقول الألغام وكيفية فتح الثغرات فيها ، وكيفية تطهيرها ومرور الوحدات المقاتله من خلالها .

وقد أجريت عدة تجارب على نطاق واسع على أرض جهزت خلف ميدان القتال بحيث نشابه الأرض التي ستجري عليها المعركة وتمت دراسة الأخطاء والدروس المستفادة من تلك التجارب على جميع التشكيلات .

وأجرى مونتجومري مباراة حربية اشتركت فيها رئاسته ورئاسة مبتكرة تمثل رئاسة روميل ، وقد اختبر مونتجومري خطته خلال هذه المباراة ودرس رد فعل روميل طبقًا لتطور خطته .

وفي 6 أكتوبر وزعت خطة معركة العلمين على رئاسات الفيالق وفي يومي 19/ 20 أكتوبر استدعى مونتجومري قادة كتائب وألوية المشاة حيث شرح لهم بنفسه الخطة التي وضعها لمعركة العلمين وطلب منهم أن يشرحوها لضباطهم وجنودهم .

وفي خلال الأيام العشرة السابقة للهجوم بدأت العمليات البريطانية في الإزدياد عنفًا وشدة فضربت الطائرات الأهداف المهمة حول الضبعة وفركة ودمرت عددًا

كبيراً من طائرات المحور على الأرض كما ضربت خطوط المواصلات والمناطق الإدارية وأخذت آلاف من الصور الجوية للمواقع الدفاعية لقوات المحور .

وفيى ليلة 22/ 23 وصلت العمليات الجوية إلى الذروة ، وتم حشد القوات البريطانية المهاجمة في مواقعها التي ستبدأ منها الهجوم ، وفي يوم 23 أكتوبر توقفت عمليات قوات الهجوم بينما استمرت العمليات الجوية في شدة بالغة ، وعند حلول المساء ضرب الأسطول البريطاني مرسى مطروح ضربًا شديدًا بينما كان 850 مدفعًا على أتم الاستعداد لضرب مواقع قوات المحور الدفاعية تمهيداً لهجوم سبع فرق من المشاه ضدها .

(23 أكتوبر حتى 4 نوفمبر 1942)

تفوُّق بريطاني ضخم قبل معركة العلمين في الأسلحة والمعدات

الفصل الثالث عشر

أولاً: قوات المحور:

1. الموقف العام:

واجهت روميل مشكلة أساسية قبل معركة العلمين، هي مشكلة تعزيز قواته؛ إذ كان الأمر يتطلب الإمداد بأسلحة ومعدات ومواد إعاشة بكميات كبيرة عبر البحر المتوسط حتى موانئ شمال أفريقيا (طرابلس، بني غازي، طبرق)، ثم نقل هذه الإمدادات إلى المنطقة الأمامية لقواته في العلمين للاحتفاظ بخط مواصلات بحري وبري على درجة عالية من الكفاءة، لكنه فشل في تحقيق هذين المطلبين لتعرُّض قوافله البحرية لهجمات جوية وبحرية حتى بلغ مجموع خسائر المحور في السفن خلال شهري أغسطس وسبتمبر والنصف الأول من أكتوبر 1942 قرابة 20 سفينة محمَّلة بالأسلحة والمعدات والمؤن للجيش الأول بانزر الألماني في شمال أفريقيا(1).

بناءً على ذلك طلب روميل من القيادة العليا الإيطالية تخصيص عدد أكبر من السفن حتى يضمن وصول الاحتياجات اللازمة لقواته، كما طلب من القيادة الألمانية المسئولة عن حوض البحر المتوسط ـ وهي قيادة القطاع الجنوبي التي يرأسها الفيلد مارشال كيسلرنج ـ إمداده ببعض القوات الإضافية التي قدَّرها بفرقة مشاة ألمانية على الأقل، وعدد من المدافع المضادة للدبابات وبعض العربات، إلا أن تطوُّر المعارك لمصلحة الروس في الميدان الروسي جعل من المتعذَّر تحقيق هذه المطالب، ومع ذلك أرسلت القيادة العليا الإيطالية إلى منطقة طرابلس بعض الإمدادات من القوات الإيطالية غير

---

(1) اتضح فيما بعد أن الأميرال البحري الإيطالي "موجيري" الذي كان رئيسًا لقسم مراقبة السواحل الإيطالية في ذلك الوقت كان يخطر الحلفاء بأنباء تحرُّكات السفن البحرية لقوات المحور التي تنقل الإمدادات إلى شمال أفريقيا على الرغم من إبحارها ليلاً، ورغم التكتم الشديد في مواعيد تحركاتها.

مستكمَلة التسليح أو التدريب، وكان من المتعذَّر الاستفادة منها في القتال؛ نظرًا لضعفها.

ونظرًا لأن الإمدادات كانت تنهال في ذلك الوقت على الجانب البريطاني بشكل لم يُسبق له مثيل فقد شعر روميل بأنه على وشك التعرُّض لكارثة كبرى ما لم تُتَّخذ إجراءات عاجلة لتعزيز قواته، وإمدادها بالاحتياجات الضروري، وقد انتهز فرصة سفره إلى ألمانيا يوم 19 سبتمبر 1942 للعلاج من حالة المرض التي كان يشكو منها لعرض موقفه على هتلر شخصيًّا، وأوضح له أن أقل ما يلزم من الاحتياجات لمواجهة أي هجوم يقوم به البريطانيون في منطقة العلمين هو: (احتياجات ثمانية أيام من الذخيرة، ووقود يكفي لمسافة 2000كم لكل عربة، وتعيينات تكفي لمدة 30 يومًا)، وكان مجموع حمولة هذه الاحتياجات حوالي 75 ألف طن، كما أبرز أهمية إمداده بالطلبات التي طلبها من قبل (فرقة مشاة وبعض الأسلحة والعربات)، وتعزيز قواته الجوية حتى يتمكَّن من استعادة التفوُّق الجوي من البريطانيين؛ إذ إن بقاء هذا التفوق لدى الجانب الآخر سيؤدي إلى استمرارهم في إنزال الخسائر الفادحة بخطوط مواصلاته وقواعده الإدارية، وقد وعده هتلر بإمداده بكل ما يلزمه مضافًا إليه لواء صواريخ (حوالي 500 قاذف صاروخي)، و40 مدفع ثقيل مضاد للدبابات ذاتي الحركة، وعدد مناسب من الدبابات من نوع "النمر" الثقيلة التي ابتكرها الألمان في ذلك الوقت.

أما فيما يتعلق بتحسين خط المواصلات البري وتأمينه فقد طلب اتخاذ بعض التدابير، وأهمها ما يلي:

أ- تعزيز خطوط السكك الحديدية خلف جبهة القتال؛ إذ لم يكن هناك سوى وصلتين قصيرتين لهذا الخط على خط مواصلاته؛ إحداهما قرب بني غازي، والأخرى قرب طرابلس، وكان من الضروري مدّ السكك الحديدية بحيث تصل ما بين هذين الميناءين والحدود المصرية.

ب- تحسين الطرق البرية.

ج- تأمين خط المواصلات ما بين بني غازي ومنطقة العلمين من الغارات العنيفة التي كانت تشنُّها مجموعة الصحراء بعيدة المدى التي اتخذت من واحة الكفرة الواقعة عند الركن الجنوبي الغربي من حدود مصر قاعدة لعملياتها.

هذه هي المطالب التي طلبها روميل من القيادتين الألمانية والإيطالية، ووعدته القيادتان بتنفيذها في أسرع وقت، ولكن هذه الوعود لم تُنَفَّذ على الإطلاق، بينما كان يتوقف على تنفيذها تقرير نتيجة قتاله في العلمين، ولذلك ازدادت مشاكل روميل، وتضاعف التفوق البريطاني.

ونتيجة للزيادة المضطَّردة في خسائر سفن المحور التي كانت تزداد يومًا بعد يوم اضطَّرت قيادة قوات المحور في نهاية الأمر لاستخدام الطائرات لنقل الوقود إلى شمال أفريقيا، ولم يكن في مقدرتها نقل أكثر من 40 إلى 80 طنًا في اليوم مع تعذُّر النقل تمامًا في الأيام العاصفة، وقد عمد المحور إلى استبدال السفن الكبيرة بأخرى صغيرة حتى تقل الخسائر الناجمة عن فقد أي منها، واستخدم بدءًا من خريف عام 1942 نوعًا أطلق عليه "حاملات الحرب" لا تزيد حمولة السفينة عن 450 طنًا، ورغم كل هذا فقد استمرت نسبة الخسائر كما هي، ولم يتمكّن سوى عدد محدود من تلك السفن من دخول موانئ شمال أفريقيا.

وترتب على هذا في نهاية الأمر كسب البريطانيين لسباق التموين بالقوات والأسلحة والمعدات ومواد الإعاشة، وبالتالي تقرَّر مصير معركة العلمين قبل بدئها؛ بسبب فشل القيادتين الألمانية والإيطالية في إمداد قواتهما في شمال أفريقيا باحتياجاتهما الضرورية.

1. تكوين قوات المحور:

كانت قوات المحور مكونة من الجيش الأول البانزر (الألماني - الإيطالي) الذي يضم أربعة فيالق كالآتي:

أـ **فيلق أفريقيا الألماني، ويتكون من:** الفرقة 15 البانزر، والفرقة 21 البانزر، والفرقة 90 المشاة الخفيفة الراكبة، والفرقة 164 المشاة.

بـ **الفيلق 10 الإيطالي، ويتكون من:** الفرقة 27 المشاة (بريسيكا)، والفرقة 7 المشاة (بافيا)، وفرقة فولجوري من جنود المظلات.

جـ **الفيلق 20 الإيطالي، ويتكون من:** الفرقة 132 المدرعة (آريتي)، وفرقة ليتوريو المدرعة، والفرقة 101 المشاة الراكبة (تريستي)، وقد تمَّ تشكيل هذا الفيلق على غرار فيلق أفريقيا الألماني.

دـ **الفيلق 21 الإيطالي، ويتكون من:** الفرقة 102 المشاة (ترينتو)، والفرقة 25 المشاة (بولونا).

وبذلك يكون مجموع قوات المحور خمس فرق مشاة (أربع إيطالية، وواحدة ألمانية) وفرقتين مشاة راكبة (واحدة ألمانية، وواحدة إيطالية)، وفرق إيطالية من جنود المظلات، وأربع فرق مدرعة (منها فرقتان إيطاليتان، وفرقتين ألمانيتين)، ويلاحظ هنا أنه على الرغم من كثرة عدد فرق المحور، إلا إنها كانت أقل عددًا في الأفراد والمعدات من فرق الحلفاء؛ نظرًا لاختلاف التنظيم عند كلا الطرفين، وكان مجموع قوات المحور بصفة عامة عند بدء معركة العلمين حوالي 90 ألف جندي، و560 دبابة، و400 مدفع ميدان، و900 مدفع مضاد للدبابات، و600 طائرة.

ولعل أبرز أوجه المقارنة بين قوات الطرفين هو ذلك الفارق الشاسع في القوة المدرَّعة لدى كليهما، فقد كان لدى البريطانيين حوالي 400 دبابة من حوالي 1000 دبابة مسلَّحة بمدافع عيار 75مم من نوعي "شيرمان" و"جرانت"، بينما لم يكن لدى المحور سوى 400 دبابة ألمانية من نوع "مارك ـ 4" المسلَّحة بالمدفع 88مم، وكان باقي دباباته عبارة عن 170 دبابة ألمانية من نوع "مارك 3" المسلَّحة بمدافع عيار 50مم، وعدد 300 دبابة إيطالية أضعف منها في التسليح، وحوالي 50 دبابة خفيفة، وعلى الرغم من ذلك كانت نسبة التفوُّق الكيفي الحقيقي لصالح المدرعات البريطانية بنسبة 2:1.

3. خطة المعركة الدفاعية:

أ. **تقدير موقف روميل للدفاع عن منطقة العلمين**: اتخذ روميل قرار الدفاع في معركة العلمين نتيجة تقديره للموقف كأي قائد مقبل على معركة، فعلى الرغم من تفوق القوات الألمانية في القيادة وفي التدريب على القوات البريطانية، إلا أن هناك بعض الاعتبارات المهمة التي أخذها روميل في الحسبان قبيل معركة العلمين، وهي:

1. التفوُّق الساحق الكمي والكيفي الذي لدى البريطانيين، وخاصة في المدرعات.
2. تفوُّق الدبابات البريطانية على دباباته من حيث قوة التدريب على الرغم من تساويهما في خفة الحركة والقدرة على المناورة، كما أن دروع دباباته لا يمكنها مواجهة الخطر الجديد الناشئ من استخدام البريطانيين للطائرات المقاتلة المسلحة بمدافع عيار 40مم المضادة للدروع.
3. أغلب قوات المشاة الإيطالية التي لديه لا توجد لديها حملات آلية.
4. موقفة الإداري الصعب، وخاصة الإمداد بالوقود لا يسمح له بخوض أية معركة متحرِّكة كبرى بالدبابات.

لهذه الأسباب وجد روميل أنه لا بد من قبول معركة دفاعية ثابتة في منطقة العلمين بدلاً من العمليات المتحرِّكة التي تعتمد أساساً على المناورة وخفة الحركة التي اعتاد أن يَّتبعها بنجاح ضد البريطانيين.

وقد قدّر روميل أن البريطانيين سيضطرون إلى اتباع خطة خاصة في هجومهم المقبل؛ نظراً لما تمليه طبيعة الأرض، إذ سيضطرون إلى القيام بهجوم بالمواجهة بقوات المشاة لفتح ثغرات في مواقعه الدفاعية حتى تتمكَّن مدرعاتهم من الانطلاق في عمق دفاعاته نحو المناطق الخلفية لتطويقه، وقطع خط انسحاب قواته.

ولما كانت مدرعات روميل لا تكفي لمواجهة مدرعات البريطانيين - إذا نجحت الأخيرة في الانطلاق - فقد قرر روميل مراعاة الاعتبارات التالية في خطته الدفاعية:

1. منع البريطانيين من اختراق مواقعه الدفاعية بأي ثمن حتى يضطّرون إلى التخلّي عن الهجوم.
2. صد القوات البريطانية المهاجمة، ومنعها من اختراق الدفاعات لآخر طلقة ولآخر رجل لتكبيد البريطانيين أكبر قدر من الخسائر.
3. القيام بهجمات مضادة سريعة وقوية ضد أي قوات بريطانية قد تنجح في اختراق أي جزء من دفاعاته، لمنعها من تطوير الاختراق في مواقعه وتعميقه.

ب. تنظيم دفاعات قوات المحور: لقد كانت الاعتبارات السابقة عاملاً أساسيًّا بنى عليها روميل طريقة تنظيم دفاعاته في منطقة العلمين لمواجهة الهجوم البريطاني المنتظر، ولذا قرر تنظيم دفاعاته كالآتي:

1. إنشاء حقل ألغام كثيف أمام الخط الدفاعي يتراوح عمقه بين 1 إلى 2كيلومتر، وخُصِّصَت بعض النقط الدفاعية خفيفة الحركة لستره بنيران المدفعية المضادة للدبابات والرشاشات.
2. إنشاء مواقع دفاعية متماسكة خلف حقل الألغام؛ كل موقع يتكّون من عدة خطوط دفاعية، وقد رُوعِيَ في انتخاب المواقع الدفاعية تبادل المعاونة بالنيران والقوات فيما بينها، وتحقيق دفاَع دائري عن كل مجموعة منها حتى يمكنها تعطيل القوات البريطانية المهاجمة لأطول مدة ممكنة لإعطاء الوقت الكافي لوصول القوات المدرعة والآلية للقيام بالهجوم المضاد.
3. انتخب روميل مواقعه الدفاعية حسب ما تتيحه له طبيعة الأرض كما يلي:

(أ) **الخط الدفاعي الأول**: يمتد من شاطئ البحر عند نقطة شرق سيدي عبد الرحمن بحوالي 6كم إلى منخفض القطارة غرب قارة الحميمات بحوالي 5كم.

(ب) **الخط الدفاعي الثاني**: يمتد خلف الخط الأول من البحر شمالاً إلى دير المناصيب (خارج) جنوبًا.

(ت) **الخط الدفاعي الثالث**: يمتد خلف الخط الثاني من شاطئ البحر شمالاً إلى مسافة 7كم جنوب سيدي عبد الرحمن.

4. على الرغم من أن عمق هذا الخط الدفاعي كان يتراوح بين 2 إلى 3 كم فقد أنشأ خطين دفاعيين آخرين في القطاع الشمالي؛ لزيادة عمق الدفاع هناك، وكان كل خط مكونًا من حقل من الألغام، يليه مجموعة من المواقع الدفاعية في الخط الثاني، وبعض المواقع المجهزة للمدافع المضادة للدبابات والدبابات في الخط الثالث، وقد أصبح عمق الخط الدفاعي في القطاع الشمالي بذلك يتراوح بين 5 إلى 9كم.
5. استخدم في إنشاء حقول الألغام حوالي نصف مليون لغم، ودعَّمها بعشرات الآلاف من القنابل البريطانية التي سبق له الاستيلاء عليها في معاركه السابقة، وجهَّزها بأسلاك إعصار متصلة بمفجِّرات لتفجيرها عندما تقترب منها القوات المهاجمة كشراك خداعية؛ لعدم توفر العدد الكافي من الألغام المضادة للأفراد لجميع حقول الألغام، كما أنه لم يتيسر له تغطية جميع هذه الحقول بنيران الأسلحة المضادة للدبابات والرشاشات؛ نظرًا لعدم كفاية الموجود منها.
6. وزَّع روميل بعض كتائب المظلات الألمانية فيما بين فرق المشاة الإيطالية الموجودة في المواقع الدفاعية؛ نظرًا لضعف مستوى تدريب القوات الإيطالية، وعدم توافر الرغبة القوية لديها في القتال؛ وذلك رفعًا لروحها المعنوية، وتقوية لعزمها في القتال.
7. اضطر روميل إلى توزيع قواته الاحتياطية المكلَّفة بأعمال الهجوم المضاد إلى قسمين: أحدهما لمعاونة القطاع الشمالي، والآخر لمعاونة القطاع الجنوبي؛ لأنه لم يكن متأكدًا من اتجاه الهجوم الرئيسي البريطاني قبل وقوعه؛ نظرًا لوجود القوة الضاربة البريطانية (الفيلق 10) على مسافة 50كم خلف الخط الدفاعي البريطاني، وقد شكَّل روميل قواته الاحتياطية من الفرق المدرَّعة الألمانية والإيطالية.
8. نظرًا لاحتمال قيام البريطانيين بعملية إبرار بحري خلف مواقع المحور الدفاعية فقد خصَّص روميل بعض القوات لمراقبة الساحل مع تكليف تلك القوات في الوقت نفسه بالانضمام إلى القوات الاحتياطية خلف المواقع الدفاعية إذا لم يقم البريطانيون بعمليات الإبرار البحري.

9. كلّف روميل مدفعية الفرق المدرعة الموجودة في الاحتياط بالاشتراك في خطة النيران الدفاعية ؛ لتكثيف النيران ضد القوات المهاجمة أمام الخط الدفاعي الأمامي الذي يحتله المشاة على طول الجبهة .

ج. **خطة روميل لتنظيم دفاعاته وإدارة المعركة الدفاعية** : على الرغم من أنه كان من العسير على روميل أن يتكّهن باتجاه الهجوم البريطاني الرئيسي : إلا إنه كان يرجح أن يقوم البريطانيون بهجومهم في القطاع الشمالي للآتي :

1. وجود طرق التقدّم الرئيسية المرصوفة في ذلك القطاع .
2. إمكانية معاونته بنيران الأسطول البحري من الساحل القريب من الطريق إذا ما دارت المعركة في ذلك القطاع .
3. أن الهجوم من هذا القطاع يؤدي بالقوات البريطانية إلى قواعد المحور الإدارية من أقصر طريق .

ولذلك كانت خطة روميل في تنظيم دفاعاته لمواجهة هذا الاحتمال هي :

1. حشد كل قوات المشاة الألمانية في القطاع الشمالي .
2. الاحتفاظ بجزء كبير من قواته الاحتياطية في هذا القطاع ، وخلف قوات المشاة .
3. إنشاء دفاعاته في تلك المنطقة بعمق كبير بين الخطوط الدفاعية بعضها البعض حتى تتمكّن القوات الاحتياطية المدرّعة من العمل بحرّية وخفّة حركة بين الخطوط الدفاعية عند قيامها بالهجمات المضادة .

الخطط الموضوعة لمعركة العلمين

الفصل الرابع عشر

عقب معركة "علم حلفا" قدَّر روميل أن الخسائر الكبيرة التي تكبَّدتها قواته في تلك المعركة لن يتيسَّر له استعاضتها قبل وقت طويل؛ نظراً للسيطرة الجوية والبحرية البريطانية على الجزء الأوسط من البحر المتوسط في ذلك الوقت، مما جعل قوافل الإمدادات المتجهة من الموانئ الإيطالية إلى الموانئ الليبية تصاب بخسائر جسيمة، وتبعًا لذلك لم يكن في مقدرة روميل شنّ أي هجوم آخر بهذا الحجم الكبير على القوات البريطانية قبل عدة شهور، في الوقت الذي أخذت فيه الإمدادات تتدفَّق على الجيش الثامن من مصانع بريطانيا والولايات المتحدة، مما مكَّنه من إحراز التفوُّق العددي الساحق في الأسلحة والمعدات، وخاصة في القوات المدرعة والمدفعية التي كانت نسبة تفوقه فيهما على قوات المحور تبلغ 2 إلى 1، وإزاء هذه الأوضاع أصبح اهتمام روميل في تلك الآونة مركَّزاً على الوسائل التي يمكنه بها زيادة مقدرة قواته الدفاعية استعداداً لمواجهة الهجوم البريطاني المنتظر.

وكانت الخطة الدفاعية لقوات المحور كما يلي:

- **القطاع الشمالي**: كانت دفاعات المحور تتكون من ثلاث نطاقات قوية من المواقع الدفاعية التي تحتلها قوات من المشاة والمدعمة بمواقع مجهزة للدبابات والمدافع المضادة للدبابات، والتي تمتد أمامها مساحات عميقة من حقول الألغام، وقد حشد روميل في المواقع الأمامية من القطاع خمس فرق مشاة (4 إيطالية وواحدة ألمانية)، بينما وضع في الخلف الفرقة 15 بانزر الألمانية، وفرقة أريتي المدرعة الإيطالية.
- **احتياطي الجبهة**: فرقة تريستا الإيطالية، والفرقة 90 الخفيفة الألمانية.
- **أسلوب توزيع القوات**: كان أسلوب التوزيع مبنيًّا على الأسس التالية:

1. قام روميل هذه المرة بتوزيع القوات المدرَّعة بأسلوب يناقض أساليبه السابقة في

حرب الصحراء، كما يتنافى مع أحد مبادئ الحرب الأساسية، وهو مبدأ الحشد، فوضع الفرقة 15 بانزر في القطاع الشمالي، ووضع الفرقة 21 بانزر في القطاع الجنوبي، بينما وضع الفرقة 90 الخفيفة في الاحتياطي، وكلَّفها بواجب ثانوي وهو حراسة الشاطئ على أن تكون على الاستعداد للعمل كاحتياطي للقطاع الشمالي، ويبدو أن روميل كان يعتقد أن المجهود الرئيسي للهجوم البريطاني سوف يوجه إلى منتصف الخط الدفاعي للمحور عند تَبَّة الرويسات باعتباره أضعف نقطة في دفاعاته، مما سوف يهيئ له فرصة الإطباق بمدرعاته من الشمال والجنوب على القوات البريطانية القائمة بالهجوم لاحتوائها وتدميرها.

2. قام روميل بتوزيع لواء المظلات الألماني (الرامكي) الذي وصله من حامية كريت خلال شهر أغسطس السابق في مجموعات كتائب وسرايا (للعمل كوحدات مشاة بين التشكيلات الإيطالية)؛ لتدعيم هذه التشكيلات، وزيادة ثقتها في قواتها على القتال.

- **الخطة الهجومية للقوات البريطانية**: كانت الخطة التي وضعها مونتجومري ترتكز على الأسس التالية:

– نظرًا لأنه كان من المتعذر تحقيق المفاجأة الإستراتيجية بسبب قرب مواقع الطرفين من بعضهما وعمق حقول الألغام، لذا أصبح الأمل معقودًا على إحراز المفاجأة التكتيكية التي لا يمكن تحقيقها إلا بوسائل محدودة مثل إخفاء قوة الهجوم، أو موعد بدئه، أو اتجاه المجهود الرئيسي؛ ونظرًا لأن نجاح الهجوم كان متوقفًا على سرعة فتح ثغرات واسعة وعميقة في حقول ألغام المحور ليتسنَّى للقوات البريطانية المرور عبرها لمهاجمة خط الدفاعات الأمامية للعدو، أصبح من الضروري أن يكون موعد بدء الهجوم ليلاً، وأن يكون في ليلة يسطع فيها ضوء القمر، ووفقًا لهذه الاعتبارات وقع اختيار مونتجومري على ليلة 23/ 24 أكتوبر التي يكون فيها القمر بدرًا.

- حرص مونتجومري على إخفاء حجم قواته المدرَّعة التي كان لديها التفوُّق الساحق على العدو، وذلك عن طريق سحبها لمسافة بعيدة خلف الدفاعات البريطانية في العلمين(80كم).

- قرر مونتجومري أن يكون اتجاه مجهوده الرئيسي صوب القطاع الشمالي في خط دفاع المحور الذي يضم أقوى نطاق دفاعاته ومعظم الفرق الألمانية (الفرقة 164 مشاة المنضمة حديثًا، والفرقة 15 بانزر، والفرقة 90 الخفيفة)، مما يجعل روميل يستبعد توجيه المجهود الرئيسي نحو هذا القطاع، وبذا يمكن تحقيق المفاجأة التكتيكية، فضلاً عن أن نجاح الهجوم في هذا القطاع يؤدي إلى سرعة السيطرة على خطوط مواصلات المحور التي تتركز في السهل الساحلي، وكذا على القواعد الإدارية الرئيسية الموجودة به، فضلاً عن المعاونة التي يستطيع الأسطول البريطاني تقديمها بضرب دفاعات المحور بمدافع ذات العيارات الكبيرة.

- أُسْنِدَ إلى الفيلق 30 البريطاني القيام بالهجوم بمواجهة أربع فرق لفتح ثغرتين في حقول الألغام بالقطاع الشمالي للمحور، وعبر هاتين الثغرتين يندفع الفيلق 10 المدرع (2 فرقة مدرعة وفرقة مشاة) إلى خلف دفاعات المحور لاحتلال مواقع إلى الغرب من هذه الدفاعات؛ لستر طرق الاقتراب التي سوف تستخدمها قوات المحور عند قيامها بشنِّ الهجوم المضاد على أن تندفع بعض وحدات من السيارات المدرعة غربًا للإغارة على المناطق الإدارية للمحور في منطقة الضبعة.

- أُسْنِدَ إلى الفيلق 13 البريطاني القيام بعمل ثغرة في حقول الألغام بالقطاع الجنوبي للمحور تمر عبرها الفرقة 7 المدرعة، ثم ينحرف بعدئذ هجوم قوات الفيلق ليكون من الجنوب إلى الشمال لتدمير مواقع المحور الدفاعية، وأُعطيَت التعليمات لقائد الفيلق 13 بعدم التورط في أي قتال يكبِّده خسائر كبيرة، فإنه من المحتمل سحب الفرقة 7 المدرعة في المرحلة الأخيرة من المعركة لاستخدامها في

عمليات القطاع الشمالي، وكان أهم أهداف الفيلق 13 هو القيام بعمليات تؤدي إلى اعتقاد قيادة المحور بأن الاختراق سيحدث في القطاع الجنوبي، مما يحمله على حجز قواته أمام هذا القطاع، وخاصة قوات البانزر المدرعة.

التدابير السابقة

- **خطة الخداع**: كان الغرض من وضع هذه الخطة هو خداع المخابرات الألمانية عن قوة الهجوم، واتجاه المجهود الرئيسي، وموعد الهجوم بهدف إحراز المفاجأة التكتيكية، وقد تم تحقيق ذلك بالوسائل التالية:

- **إخفاء قوة الهجوم**: كان أهم ما حرص عليه مونتجومري هو إخفاء قواته المدرَّعة، ولذا أمر بسحب الفرق المدرعة التابعة للفيلق 10 المدرع من الخط الأمامي لمسافة 80كم للخلف للقيام بالتدريب، ووضع مكانها في منطقة تشكيل الفيلق 10 المدرع كميات كبيرة من العربات والدبابات الهيكلية حتى يبدو لطائرات الاستطلاع أن هناك حشداً من الدبابات في هذه المنطقة، وعندما اقترب موعد الهجوم بدأت الفرق المدرعة التي يتشكَّل منها الفيلق 10 المدرع في التحرّك ليلاً من مناطق حشدها في الخلف إلى مناطق تشكيلها في الخط الأمامي في الوقت الذي تمَّ فيه سحب عدد مماثل من العربات والدبابات الهيكلية من مناطق التشكيل الأمامية إلى مناطق الحشد الكاذبة في الخلف.

- **إخفاء اتجاه المجهود الرئيسي**: تم إخفاء الدبابات والمدافع ومستودعات التموين والذخائر في القطاع الشمالي على مواجهة الفيلق 30، وتم إنشاء مواقع ودشم في المنطقة الأمامية، وإظهارها بأنها محتلَّة بالجنود، وقبيل الهجوم احتُلَّت هذه المواقع والدشم ليلاً بالجنود دون أن يفطن العدو بالتغييرات التي جرت في القطاع الذي سيوجِّه منه المجهود الرئيسي للهجوم، وفي القطاع الجنوبي تم إنشاء عدد كبير من المستودعات والمخازن الهيكلية، وعدد طرق ومدقات، كما تم مد خط أنابيب مياه هيكلي لإيهام المحور أن المجهود الرئيسي سيوجَّه من هذا القطاع.

- **إخفاء موعد الهجوم**: وُضعَت خطة سير العمل في إنشاء المستودعات، ومد أنابيب المياه بحيث تتم مراحل استكمالها ببطء، وبحيث يبدو أنه لا يمكن إتمامها قبل منتصف نوفمبر.

وقد نجحت خطة الخداع البريطانية بالفعل، فقد أكَّدت تقارير المخابرات الألمانية التي أُرسِلَت إلى قيادة الفيلق الأفريقي أن الهجوم البريطاني لن يقع بتاتًا خلال شهر أكتوبر.

- **خطة معاونة الطيران**: بدأت الطائرات القاذفة في ضرب دفاعات المحور ومطاراته وخطوط مواصلاته قبل بدء المعركة بعشرة أيام ضربًا شديدًا مركزًا، مما أتاح للطيران البريطاني الحصول على السيادة الجوية.

- **المحافظة على الاتجاه**: اتُّخِذَت عدة وسائل للمحافظة على الاتجاه أثناء الهجوم ليلاً منها: استخدام البوصلة، وإطلاق مدافع (البوفرز) المضادة للطائرات قذائف مضيئة بخط مرور مسطَّح على جانبي ألوية المشاة، وذلك عند كل وقفة من وقفات غلالات النيران التي تطلقها المدفعية، كما كُلِّفَت القوات الأمامية بتعيين مواقعها خلال الهجوم بإطلاقها دفعات من نيران الرشاشات المضيئة من وقت لآخر في اتجاه رأسي، وكذلك توجيه بواعث الأنوار الكاشفة لأعلى بعد إضاءتها لكشف المطلوب من ميدان المعركة.

- **عبور حقول الألغام**: تم تدريب جماعات المهندسين على عمل الثغرات في حقول الألغام، وكان يقف على مدخل كل ثغرة ضابط مهندس ومعه تليفون لاسلكي، وكان اتساع الثغرة في بادئ الأمر ثماني أقدام، ثم تزداد بعد ذلك ليصبح اتساعها 24 ياردة، وكان على الضابط المهندس إبلاغ القوات في الخلف من وقت لآخر عن مدى تقدم عملية فتح الثغرة واتساعها.

- **التحضيرات الإدارية للهجوم**: تضمَّنت هذه التحضيرات البالغة الأهمية إنشاء عدة

طرق عبر الصحراء من مناطق الحشد الخلفية حتى خطوط ابتداء التشكيلات بالقطاعين الشمالي والجنوبي، وذلك لاستخدامها لنقل الذخائر والتعيينات والمياه من مستودعات القاعدة إلى أماكن تخزينها في المناطق الأمامية.

وقد أنشئ عدد كبير من أراضي الهبوط الأمامية، كما شُكِّلَت مجموعة إدارية خاصة كانت مكلَّفة بمتابعة تقدم القوات أثناء زحفها في اتجاه الغرب لتشغيل الموانئ فور الاستيلاء عليها، وتفريغ السفن التي تم شحنها بالفعل بكافة المطالب الإدارية، والتي تنتظر الإشارة للإبحار إلى هذه الموانئ.

وفي يوم الهجوم (23 أكتوبر) خرجت من الإسكندرية قافلة بحرية كبيرة حوالي الساعة 1600، واتجهت غربًا، وقد تمت عملية شحن هذه السفن بالجنود والعربات على مرأى من سكان الإسكندرية حتى يستطيع عملاء المحور مشاهدتها، والإبلاغ عنها لكي يوهم روميل أن هناك عملية إنزال جنود وراء الخطوط إلى البر، فلا يستخدم الفرقة 90 الخفيفة، ويظل متحيِّرًا بالنسبة لاتجاه الهجوم، وقد عادت معظم سفن القافلة مرة أخرى على ميناء الإسكندرية في الليل، بينما قامت باقي سفنها بمظاهرة هجومية ضد الشاطئ خلف مواقع المحور في العلمين، وكان توقيت الهجوم الخداعي بحيث يبدأ بعد الهجوم الرئيسي بثلاث ساعات، وبذلك يحرم روميل من استخدام احتياطيه، وفي نفس الوقت عزَّزت هذه العمليات اشتراك الأسطول في مواقع المحور الدفاعية وخط مواصلاته بالمدافع ضربًا قويًا.

وقد تم حشد قوات الهجوم للفيلقين 10، 30 في القطاع الشمالي دون أن تدرك مخابرات المحور هذا النشاط، ونجحت خطة الخداع حتى أن روميل كان ما يزال متغيبًا في ألمانيا عندما بدأ الهجوم، كما ظلت القوات المدرعة موزَّعة بين القطاعين الشمالي والجنوبي.

برقية من هتلر لروميل: النصر أو الموت

الفصل الخامس عشر

بعد فشل الهجوم المضاد الألماني على التشكيلات البريطانية في القطاع الشمالي من منطقة العلمين ركَّز روميل جهوده للمحافظة على سلامة خط دفاعاته، وعلى منع القوات البريطانية من اختراقه، وقد قدَّر روميل أن محور الاختراق الرئيسي سوف يكون في أقصى الشمال؛ نظرًا لنجاح الأستراليين في إحداث نتوء في مواقع المحور، والوصول إلى الشاطئ؛ لذا قام على وجه السرعة في أول نوفمبر بتحريك الفرقة 21 بانزر إلى الشمال لتنضم إلى الفرقة 90 الخفيفة لمنع أي اختراق بريطاني من هذا الاتجاه.

وعندما اكتشف مونتجومري التحركات التي أجراها روميل، وقيامه بدفع احتياطيه إلى أقصى الشمال، مما كان يهدِّد خطته بالفشل قام بتغيير محور هجومه ليكون من منتصف القطاع الشمالي (من اتجاه تبَّة كيدني) بدلاً من أقصى الشمال بجوار الشاطئ، وكانت أوامر مونتجومري لقوات الفيلق 30 والفيلق 10 المدرع تقضي بمواصلة الهجوم لاختراق دفاعات المحور بأي ثمن، وشدَّد على أنه في حالة توقُّف المشاة عن التقدُّم فعلى القوات المدرعة أن تشق طريقها، وتخترق المواقع التي تواجهها مهما تكبَّدت من خسائر، وفي ليلة 1/ 2 نوفمبر قامت الفرقة النيوزيلندية (من الفيلق 30) بالهجوم غربًا بمعاونة ضخمة من مدفعية الميدان، وبرغم نجاح الهجوم فإن اللواء 9 المدرع التابع للفرقة اصطدم عند وصوله إلى مدق سيدي عبد الرحمن بستارة قوية من نيران المدافع المضادة للدبابات الألمانية من عيار 88مم، مما أفقده معظم دباباته.

وعندما اندفعت الفرقة الأولى البريطانية المدرَّعة (من الفيلق 10 المدرع) يوم 2 نوفمبر إلى ساحة المعركة لنجدة اللواء 9 المدرع دارت معركة مدرعات عنيفة بين القوات المدرعة البريطانية والقوات المدرعة الألمانية حول (تل العقاقير) تكبَّد فيها الطرفان خسائر فادحة، وفي الوقت الذي كان فيه مونتجومري على استعداد لتحمُّل الخسائر حتى لو

بلغت 100٪ في سبيل تمكين القوات المدرعة البريطانية من اختراق خط دفاعات المحور، والوصول إلى الأرض المفتوحة تمهيدًا لانطلاقها غربًا، وذلك لتفوُّق قواته الساحق في عدد الدبابات، إلا أن الخسائر الفادحة التي لحقت بقوات البانزر المدرعة الألمانية في معركة المدرعات الأخيرة عند تل العقاقير والتي بلغت نحو 360 دبابة دون أدنى أمل في استعاضة أي عدد منها كانت ضربة قاصمة للفيلق الأفريقي، وقضت تمامًا على أي أمل لدى روميل في إمكان الاحتفاظ بالخط الدفاعي للمحور عند العلمين، خاصة بعد نفاذ وحدات من السيارات المدرعة البريطانية من خلال دفاعات المحور يوم 2 نوفمبر، وتقدُّمها عبر الأرض المفتوحة إلى الضبعة، وبدء تهديدها لخط مواصلات المحور في السهل الساحلي.

وإزاء الموقف الحرج الذي أضحت عليه قوات المحور صمَّم روميل على ضرورة الانسحاب غربًا على وجه السرعة لإنقاذ قواته من التدمير، وكانت لا تزال أمامه الفرصة لسحب معظم قواته الألمانية.

أعمال قتال يوم 3 نوفمبر:

نجحت قوات المحور بالقطاعين الأوسط والجنوبي في الانسحاب قبل أول ضوء دون أن تشعر القوات البريطانية المواجهة لها قد بدأت في الانسحاب غربًا، وهي مترجلة، وجرَّت جميع أسلحتها الثقيلة بواسطة الأفراد لعدم تيسر العربات.

وعلى الرغم من اكتشاف البريطانيين لبدء انسحاب قوات المحور أثناء النهار فشلت الفرقة الأولى المدرعة في اكتساح ستارة نيران المدفعية المضادة للدبابات التي تقف حائلاً بينها وبين تقدُّمها على الرغم من الضغط المتواصل عليها طوال النهار، واضطر مونتجومري إلى تكليف أحد لواءات الفرقة 4 الهندية بالهجوم، وتطويق ستارة المدفعية من الجنوب، فتقدَّم هذا اللواء من مواقعه على تَبَّة المطرية مسافة 10كيم حتى خط بدء الهجوم، ونظرًا للأتربة الناتجة عن تحرك عربات اللواء، وصعوبة الرؤية فقد اختلطت

المدقات على وحدات اللواء فَضَلّ بعضها الطريق، ولم يصل إلى خط الابتداء للهجوم سوى كتيبة واحدة على الرغم من تأجيل ساعة بدء الهجوم لمدة ساعة كاملة.

وتمكّن الآلاي 4 جنوب أفريقيا عربات مدرعة خلال هذه الفترة من التقدّم إلى المناطق الخلفية لقوات المحور، وبدأ في مهاجمة خطوط مواصلاته ومستودعات تموينه.

وانتهز روميل فرصة فشل القوات المدرَّعة الرئيسية البريطانية في اختراق مواقعه، وسحب الكثير من الوحدات الآلية الإيطالية من القطاع الشمالي، إلا أن ذلك تسبب في تكدُّس الطريق الساحلي بمئات العربات المتجهة غربًا، وكانت فرصة لا تتكرر انتهزتها الطائرات البريطانية في الهجوم على تلك الأرتال لإيقاع أكبر قدر من الخسائر بها.

وفي الساعة 1330 يوم 3 نوفمبر وصلت إلى روميل برقية من هتلر نصها:

إلى الفيلد مارشال روميل: "إنني والشعب الألماني نثق في قيادتكم، وفي شجاعة القوات الألمانية الإيطالية التي تحت قيادتكم ثقة عمياء، ونتتبّع قتالكم المجيد في مصر، إلا أنه ينبغي في الموقف الذي تواجهونه الآن ألا يتجه تفكيركم إلا للصمود، وعدم التخلي عن ياردة واحدة من الأرض، ويجب إلقاء كل مدفع وكل رجل في أتون المعركة إن كثيراً من الإمدادات الجوية في طريقها لتكون تحت تصرُّف القائد العام للقطاع الجنوبي(1). هذا علاوة على أن القيادة العليا الإيطالية تبذل كل ما في وسعها لإمدادكم بكل ما يعاونكم على القتال. إن عدوكم رغم تفوقه قد وصل إلى آخر حد لطاقته، وقد لا تكون هذه هي المرة الأولى في التاريخ التي تتغلب فيها الإرادة القوية على عدد أكبر من الكتائب، أما عن قواتك فيمكنك أن تبين لها أنه لا طريق أمامها سوى النصر أو الموت".

"أودلف هتلر"

---

(1) يقصد الفيلد مارشال كيسلرنج الذي يقود القطاع الجنوبي للمحور في روما، والذي يتبعه روميل في ذلك الوقت.

أسر قائد الفيلق الألماني

بعد وصول برقية هتلر وجد روميل نفسه بين نارين، فقد كان على يقين من أن ما ورد بالبرقية هو أمر يدعو للسخرية، وأن تنفيذه لابد أن يؤدي إلى كارثة محققَّة، ولكن التعليمات الصريحة التي تضمنتها البرقية أشعرته أنه من الخطر التغاضي عنها حتى لا يثير ثائرة هتلر ضده، وبرغم نصيحة مساعده الجنرال بايرلين بوجوب تجاهل هذه التعليمات البعيدة تمامًا عن المنطق والحكمة فإن روميل بحكم الانضباط المتأصّل في أعماقه أمر بتوزيعها على جميع الوحدات، وكان الجنرال فون توما الذي تولّى قيادة الفيلق الأفريقي الألماني بعد وفاة الجنرال ستيوم ـ نظرًا لأن روميل أصبح يتولى بصفة رسمية القيادة العامة لقوات المحور التي كان يتولاها من قبل بحكم الأمر الواقع ـ قد تقدَّم ليطلب من روميل السماح له بالانسحاب من منطقة العلمين إلى موقع جديد في الغرب في منطقة فوكة والضبعة (على بعد حوالي 65كم غرب العلمين)، وإزاء ما ورد ببرقية هتلر رفض روميل الموافقة على مطلبه.

ولكن فون توما إزاء تعرُّض قواته للإبادة أو لخطر الوقوع في الأسر لم يكترث بالتعليمات الصادرة إليه، وقام بسحب قواته خلال الليل وتحت ستر الظلام إلى مواقعها الجديدة، وواجه قائده روميل قائلاً: "لا يمكنني إطاعة هذا الأمر الذي أصدره هتلر"، وأصمَّ روميل أذانه عما سمعه من مرؤوسه، ولم يجبه بكلمة واحدة، فقد كان واثقًا في قرارة نفسه أنه لم يفعل سوى الصواب.

ولا شك في أن الفضل الأكبر في منع القوات المدرعة البريطانية من التقدُّم غربًا لتطويق قوات الفيلق الأفريقي بعد معركة المدرعات الكبرى في تل العقاقير يوم 2 نوفمبر، مما كان سيتيح لها الفرصة لتدمير هذا الفيلق ذي التاريخ المجيد وأسر معظم أفراده إنما يرجع إلى الستارة الألمانية المضادة للدبابات التي وضعها روميل عند مدخل درب سيدي عبد الرحمن، وأمرها بالاستماتة في أمكنتها، ولم تكن تتكون سوى من 25

مدفعًا مضادًّا للدبابات من عيار 88مم، وعدد آخر من المدافع المضادة من عيار 50مم، وبرغم قوة الستارة الألمانية المحدودة بالمقارنة بالقوات المدرعة البريطانية التي كان لديها التفوق الساحق في العدد وفي قوة النيران فإن أفراد الستارة الألمان نجحوا بفضل شجاعتهم ومقاومتهم العنيدة في منع القوات المدرعة البريطانية من اختراق موقعهم، والتقدم غربًا لمدة يومين كاملين، ولم يتخلوا عن موقعهم إلا يوم 4 نوفمبر بعد أن تم لقوة بريطانية تطويقهم، فسارعوا بالانسحاب، ولكن لاتخاذ موقع جديد لحماية الطريق الساحلي الذي أصبح المحور الرئيسي لانسحاب قوات الفيلق الأفريقي الألماني في اتجاه الغرب، وبذا ضربوا أروع الأمثلة في الشجاعة والإصرار على أداء الواجب مهما كلفهم ذلك من تضحية.

وفي مركز قيادة روميل أفادت تقارير الاستطلاع الذي وصلته أن قوات مدرَّعة بريطانية قد اخترقت المواقع الدفاعية الألمانية في الجنوب، وأنها أصبحت غرب هذه المواقع، ولم يصدق روميل في بادئ الأمر هذه الأنباء المزعجة، ولذا سارع الجنرال فون توما بالتحرّك بدبابته إلى أحد المواقع الألمانية المتقدمة؛ ليتأكد بنفسه من صحة هذا النبأ الخطير، وعند الظهر - ولم تكن قد وردت أي أنباء عن فون توما - تحرَّك الجنرال باير لاين بعربة قيادته للبحث عنه وعندما اقترب من موقع (تل المنسر) أرغمته كثافة نيران المدفعية البريطانية على ترك عربته، والاتجاه إلى التل على قدميه، وعندما أصبح على مسافة 200متر شاهد منظرًا أثار فزعه، فقد رأى الجنرال فون توما واقفًا بجوار دبابته المحترقة، بينما الدبابات البريطانية تحيط به من كل جانب (كانت هذه الدبابات من الفرقة 10 المدرعة الهوسارز) في الوقت الذي كانت فيه الدبابات والمدافع المضادة الألمانية بالموقع قد تم تدميرها، وبقى بايرلاين ساكنًا داخل الحفرة التي اختبأ فيها حتى رأى مجموعة من الحمّالات المدرعة البريطانية تتقدم نحو التل، وتحمل فون توما معها، وسارع بايرلاين بالعودة إلى مركز القيادة قبل أن يلاحظه أحد من الأعداء.

وعندما وصل باير لاين إلى مركز القيادة جنوب (الضبعة) استمع هو وروميل إلى قادة وحدات الفرقة 10 الهوسارز، وهم يتحدثون مع بعضهم البعض في اللاسلكي عن نجاح فرقتهم في أسر جنرال ألماني، وفي مساء اليوم نفسه تناول الجنرال الأسير فون توما قائد الفيلق الأفريقي طعام العشاء في ميس (مطعم) القيادة البريطانية مع الجنرال مونتجومري بدعوة من القائد البريطاني، وقد استمرت الصلات الودية بين هذين القائدين قائمة إلى الحد الذي جعل فون توما يوجه الدعوة إلى مونتجومري لزيارته في ألمانيا بعد انتهاء الحرب، وقد قوبلت هذه المجاملات المتبادلة بالانتقاد من بعض المسئولين في بريطانيا برغم ما كانت تتضمنه من نبل المشاعر وحسن المعاملة التي أبداها قائد منتصر لخصمه المهزوم الذي وقع في أسره في ميدان القتال، وهي تُذكِّرنا بروح الفروسية التي كان يتصف بها القائد الإسلامي العظيم صلاح الدين، والتي كانت تظهر بوضوح في تسامحه، وحسن معاملته لأعدائه عند وقوعهم في الأسر؛ عملاً بآداب الحرب في الشريعة الإسلامية.

أبرع عملية انسحاب في تاريخ حرب الصحراء

في الصباح التالي كان الجنرال باير لاين مساعد روميل قد تولَّى المنصب الذي كان من قبل محط أحلامه، وهو قيادة الفيلق الأفريقي الألماني، وذلك بعد أسر الجنرال فون توما، ولكن سوء حال الفيلق في هذا الوقت والمصير الخطير الذي كان ينتظره لم يشعراه بأي نوع من البهجة، ولذا بادر بتوجيه السؤال عن الموضوع الذي أثار حيرته إلى روميل: "ماذا يمكن أن أفعل إزاء ذلك الأمر الصادر من هتلر؟"، فرد عليه روميل بأسلوب دبلوماسي لم يكن معتاداً عليه من قبل: "أنا لن أستطيع أن أصرح لك بمخالفة الأمر، ولكن ليس هناك مجال للسؤال عن إطاعته إذا تعارض ذلك مع إنقاذ أفراد من قوتك".

وعلى الرغم من صدمة الهزيمة التي تلقَّاها روميل، والتي واكبت ذروة مرضه

ومعاناته، مما جعله يبدو كرجل محطم، وبرغم أن ضباط الأركان في مركز قيادته كانوا يجدون صعوبة لم يعتادوها من قبل في التعامل معه فإن الوقائع أثبتت أنه قد مارس عملية الانسحاب بمهارة لم يُسبق لها مثيل، خاصة أنه لم يعد لديه أي أمل في وقف مطارديه، والقيام بعمليات هجومية ضدهم لتمزيق صفوفهم، وتدمير قواتهم المدرعة مثلما كان يفعل في معاركه السابقة؛ إذ كانت قوته الباقية تُقَدَّر بما يزيد قليلاً على حجم فرقة مختلطة، ولم يكن قد تبقى من الدبابات لديه سوى 80 دبابة ألمانية في مواجهة حوالي 600 دبابة بريطانية.

وقد ذكرت المصادر البريطانية أنه لولا سقوط أمطار غزيرة ليلة 6 نوفمبر مما حوَّل الصحراء إلى مستنقعات، وأدى إلى تعطُّل قوافل التموين، وإرغام الفرق المدرعة البريطانية المكلفة بالمطاردة على التوقف، وبالتالي فشلها في قطع خط الرجعة على القوات الألمانية لكان قد تم تطويق روميل وفيلقه الألماني في مرسى مطروح، كما ذكرت هذه المصادر أنه لو كان سلاح الطيران البريطاني لديه الخبرة والإمكانات في هذا الوقت للقيام بتكتيكات اكتساح الأرضي للقوات البرية باستخدام الرشاشات مثل التي أحرزها فيما بعد لما أمكن لروميل التقدُّم كل هذه المسافة الشاسعة بقواته دون خسائر تُذكَر، وأكدت المصادر البريطانية أيضًا أنه لو كان النقل الجوي قد تم تطويره بالأسلوب الذي طوَّره به فيما بعد الجنرال سليم (رئيس أركان حرب الإمبراطورية البريطانية في بداية الخمسينيات) في ظروف أشق كثيراً من تلك التي جرت مع روميل، وكان ذلك في أثناء العمليات الحربية في بورما لكان في الإمكان القيام بعملية إنزال من الجو لقوات بريطانية تامة التجهيز والتسليح يتم تموينها عن طريق الجو خلف مواقع روميل؛ لقطع خط رجعته، والقضاء على قواته.

وفضلاً عن ذلك وُجِّهَت انتقادات حادة للجنرال مونتجومري، سواء من جانب المحللين العسكريين البريطانيين، أم من الأجانب؛ بسبب حذره الزائد عن الحد عند

مطاردته لقوات روميل، وكانت حجتهم في ذلك أن قوات روميل سبق أن تلقَّت هزيمة ساحقة في معركة العلمين، وأصبح روميل في موقف لا يستطيع معه القيام بهجوم مضاد بنفس الأسلوب الذي اتَّبعه بنجاح في الماضي ضد الجنرال ويفل وضد الجنرال أوكنلك؛ إذ إنه في هاتين المرتين كان روميل ينسحب من تلقاء نفسه، ودون أن يتلقَّى هزيمة ساحقة، وكان يستهدف من انسحابه أن يعاود الكره عندما تطول خطوط المواصلات البريطانية، وبالتالي تصبح قوات الجيش الثامن في المنطقة الأمامية ضعيفة بحيث لا تستطيع تحمُّل صدمة الهجوم المضاد الذي كان روميل يحشد لضمان نجاحه أفضل الفرق المدرعة الألمانية (البانزر)، كما كان يعد في مهارة ودهاء، وفي مواقع منتخبة جيداً ستائره الشهيرة المضادة للدبابات المشكلة من المدافع من عيار 88مم، وهو الأمر الذي أدى إلى تدمير القوات المدرعة البريطانية بأكملها في معركة الغزالة في برقة يوم 13 يونيو 1942، وتسبَّب في انسحاب الجيش الثامن في أسوأ حالة من الذعر والفوضى إلى خط العلمين كما أسلفنا.

نزول الحلفاء في شمال أفريقيا

في 5 نوفمبر بدأ الجيش الثامن البريطاني عملية مطاردة قوات المحور المنسحَبَة في اتجاه الغرب، ولم يحاول روميل طوال المسافة من العلمين إلى بني غازي في ليبيا والتي تزيد على 1000كم التوقُّف بقواته في أي موقع للدخول في معركة حاسمة مع قوات مونتجومري، وكان روميل يستهدف من وراء انسحابه لأطول مسافة ممكنة تقصير خطوط مواصلاته مع قاعدته الرئيسية في طرابلس في الوقت الذي تطول فيه خطوط مواصلات الجيش الثامن مع قواعده الرئيسية في مصر، وبذا قد تتاح الفرصة لروميل للقيام بهجوم مضاد قوي يوقف بواسطته تقدُّم الجيش الثامن في برقة، ويجبره على الانسحاب إلى ما وراء الحدود المصرية.

وقد سبق لروميل ممارسة هذه التكتيكات الفذة، وطرد الجيش الثامن من برقة مرتين

خلال حرب الصحراء، ففي المرة الأولى تمكَّن من هزيمة الجيش الثامن في معركة (باتل آكس) في برقة في منتصف يونيو 1941، مما أدى إلى انسحاب هذا الجيش إلى ما وراء الحدود المصرية، وتمَّ بعد أسبوعين من المعركة استبعاد الجنرال أرشيبالد ويفل من منصبه كقائد عام للقوات البريطانية في الشرق الأوسط، وتعيين الجنرال كلود أوكنلك مكانه، وفي المرة الثانية أمكن لروميل أيضًا هزيمة الجيش الثامن في معركة الغزالة في برقة بعد عام كامل من المرة الأولى، وكان ذلك في 13 يونيو 1942، مما أدى إلى انسحابه السريع المذعور إلى خط العلمين، وفي ظروف تكاد تكون مشابهة لما حدث من قبل تم استبعاد الجنرال أوكنلك من منصبه بعد شهرين من المعركة، وتعيين الجنرال هارولد ألكسندر قائدًا عامًا للقوات البريطانية في الشرق الأوسط، وتعيين الجنرال برنارد مونتجومري قائدًا للجيش الثامن.

ولكن الظروف في هذه المرة كانت مختلفة تمامًا عن سابقتها، ففضلاً عن الهزيمة المريرة التي تلقَّاها روميل في معركة العلمين، والتي تسبَّبت في تدمير معظم قواته المدرعة التي تعد سلاحه الرئيسي في هجماته المضادة قام الحلفاء في 8 نوفمبر 1942 بعملية إنزال كبرى لقوات أمريكية وبريطانية على شواطئ المغرب والجزائر بقيادة الجنرال أيزنهاور، وأخذت هذه القوات في التقدُّم بسرعة في اتجاه الشرق، مما أصبح معه خط مواصلات روميل مع قاعدته الرئيسية في طرابلس مهدَّدًا بالقطع.

وكان أشد ما أثار غضب روميل ومرارته تلك المقارنة التي عقدها بين موقف القيادة العليا الألمانية بعد انتصاره المذهل في معركة الغزالة في 13 يونيو 1942 التي أمكنه خلالها تدمير الجيش الثامن، وإجباره على الانسحاب إلى خط العلمين، فقد ضنَّت عليه وقتئذ بالإمدادات القليلة التي طلبها، والتي كانت تتيح له الفرصة ـ في حالة قدومها ـ لمواصلة زحفه الظافر إلى الإسكندرية، ثم احتلال مصر، وطرد الجيش البريطاني منها، مما كان كفيلاً بتغيير مجرى الحرب في الشرق الأوسط، وبين موقف هذه القيادة العليا من جهة

عملية حربية من المؤكد خسارتها في تونس بعد نزول هذه القوات الضخمة للحلفاء في المغرب والجزائر، واتجاه زحفها شرقًا إلى تونس، ففي حين توقّفت هذه القيادة عن معاونة روميل في عملية حربية بهرت العالم وقتئذ بروعتها إلى درجة جعلت ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا لا يتمالك مشاعره، فيشيد ببراعة القائد الألماني الذي هزم جيشه، ويصفه في خطابه للشعب البريطاني بأنه قائد عظيم... نرى هذه القيادة نفسها تسارع بمؤازرة عملية حربية محكوم عليها مقدمًا بالفشل، وتواصل إمدادها عن طريقي الجو والبحر طوال الشهور الستة التي استغرقتها في تونس بسيل متدفق من القوات والأسلحة والمعدات برغم الظروف المعاكسة لعمليات النقل الجوي، بسبب التفوق الذي أحرزته القوات الجوية للحلفاء، خاصة بعد استيلائها على المطارات في المغرب والجزائر، وكذا برغم الظروف المعرقلة لعمليات النقل البحري، بسبب نشاط أساطيل الحلفاء في المنطقة الوسطى من البحر المتوسط، وتَحكُّمها في منطقة المضيق الذي يفصل ما بين جنوب إيطاليا وجزيرة صقلية شمالاً وشاطئ تونس جنوبًا، ولو كانت القيادة الألمانية العليا قد أمدَّت روميل أثناء زحفه إلى العلمين بنصف هذه القوات التي أرسلتها إلى تونس والتي سرعان ما فقدتها بعد بضعة أشهر؛ بسبب مصرع وإصابة الآلاف من أفرادها، ثم وقوع الباقين كلهم في الأسر بعد اضطرارهم إلى التسليم لقوات الحلفاء لكانت معظم بلاد الشرق الأوسط قد وقعت في قبضة قوات البانزر الألمانية التي كان روميل يتولى قيادتها بحنكة وبراعة أدهشت العالم، ولكان وجه التاريخ قد تغيَّر بلا شك.

اختراق الدفاعات الألمانية

في العلمين وبدء مرحلة المطاردة

الفصل السادس عشر

كانت القوات البريطانية خلال معركة العلمين لديها التفوق الساحق على قوات المحور في الدبابات والمدفعية، وكانت نسبة تفوقها تبلغ (2 إلى 1) كما كان لدى السلاح الجوي البريطاني السيطرة الجوية التامة على ميدان المعركة، هذا وقد جرت معركة العلمين في ثلاث مراحل رئيسية هي:

أولاً: المرحلة الأولى:

بدأت المرحلة الأولى منها في الساعة التاسعة والدقيقة الأربعين مساء يوم 23 أكتوبر بقصف عنيف، ومركّز من المدفعية البريطانية على مواقع مدفعية المحور لمدة 20 دقيقة من 800 مدفع من مختلف العيارات، مما أدى إلى حدوث خسائر كبيرة في مدفعية المحور.

وفي القطاع الشمالي وخلال الليل تمكّنت تشكيلات الفيلق 30 من تحقيق الواجب المكلّف به الفيلق قبيل الفجر، وهو فتح الثغرتين المحددتين في حقول ألغام المحور، وحاول لواء مدرع من الفرقة النيوزيلندية التقدم صوب دفاعات المحور، ولكن الستارة الألمانية المضادة للدبابات على تبَّة المطرية أوقفت تقدُّمه بخسائر فادحة، وعندما حاول الفيلق العاشر المدرع عبور الثغرتين في حقول الألغام للوصول قبل الفجر إلى الأهداف المخصَّصة له في دفاعات المحور أُرْغِمَت فرقتاه المدرعتان (الأولى والعاشرة) على التوقف إزاء شدة تأثير المدفعية الألمانية والمدفعية المضادة للدبابات، وفي القطاع الجنوبي كان واجب الفيلق 13 فتح ثغرة واسعة في حقلي ألغام المحور (حقلي يناير وفبراير)، وقد نجحت وحدات من الفرقة 44 المشاة بمعاونة المدفعية في فتح الثغرة المحددة في حقل يناير (الشرقي)، وواصلت عملها بقية الليل في فتح الثغرة في حقل الألغام الذي واجهها اعتقاداً منها أنه حقل فبراير (الغربي)، ولكنها اكتشفت عند طلوع الفجر أنها على بعد 600 ياردة من حقل فبراير، وأن قوات المحور قد بَثَّت حقلاً من الألغام المبعثرة بين

الحقلين الأساسين يناير وفبراير، وبذا أصبحت القوات البريطانية محصورة بين حقلين من الألغام من الأمام والخلف، مما ألحق بها خسائر جسيمة.

ثانيًا: المرحلة الثانية:

مرحلة القتال المتلاحم (من 24 أكتوبر إلى أول نوفمبر) يمكن تقسيم هذه المرحلة إلى ثلاث فترات كما يلي:

- **الفترة الأولى (من 24 إلى 26 أكتوبر)**: انتهى الجزء الأول من المرحلة الثانية بتوقف الفيلق 30 تمامًا، وفقد الهجوم قوته الدافعة، ولم يحرز هذا الفيلق أي تقدُّم ملموس منذ 24 أكتوبر فيما عدا هجوم الفرقة 9 الأسترالية في الشمال برغم أن ذلك كان خارج الخطة الأصلية، وفي الوقت نفسه فشل الفيلق 10 المدرع (القوة الضاربة) في الوصول إلى الأرض المكشوفة خلف المواقع الدفاعية الألمانية لستر عمليات الفيلق 30، وعلى العكس اتضح أنه مازال أمام الفيلق 10 حقل ألغام آخر (حقل فبراير).

وكان السبب الرئيسي لهذا الفشل يرجع إلى أن القيادة الألمانية قامت قبيل الهجوم البريطاني بمناورة لم تَفطن لها قيادة الجيش الثامن، فقد أمرت بسحب قواتها الأمامية من مواقعها الدفاعية إلى مواقع أخرى في الخلف تاركة قوات ضعيفة من المشاة في المواقع الأمامية، ولذا وجدت قوات الفيلق 30 نفسها في نهاية المرحلة الأولى تواجه مواقع دفاعية للمحور تسترها حقول ألغام عميقة أخرى، وتدعمها مدفعية قوية مضادة للدبابات، وعلى ذلك لم تتح الفرصة لقوات الفيلق 10 المدرع للخروج إلى الأرض المكشوفة، وأصبحت قدرتها على المناورة محدودة، وتكبَّدت بسبب هذا الوضع خسائر فادحة.

- **الفترة الثانية (من 27 إلى 28 أكتوبر)**: اضطر مونتجومري إلى التدخُّل للقيام بعمل حاسم وسريع لإنقاذ الموقف حتى لا يخسر المعركة، خاصة بعد عودة روميل من ألمانيا، وتولِّيه قيادة الفيلق الأفريقي منذ يوم 26 أكتوبر (نهاية الفترة الأولى من

المرحلة الثانية)، وكانت خطة القائد البريطاني الجديدة تهدف إلى محاولة اختراق جبهة المحور الدفاعية عند أقصى الطرف الشمالي للخط الدفاعي (المجاور للبحر)، وقد شجَّعه على تحويل محور الهجوم، نظراً للنجاح الذي صادفته الفرقة 9 الأسترالية في عملياتها ليلة 25/ 26 أكتوبر، وتبعًا لذلك أمر مونتجومري بإجراء عملية إعادة التجميع لقواته يوم 28 أكتوبر كما يلي:

1. تصبح عمليات الفيلق 13 في القطاع الجنوبي عمليات دفاعية بحتة بهدف تثبيت العدو المواجه لهذا القطاع، ولذا يُسحَب من تحت قيادة الفيلق لينضم إلى القطاع الشمالي الفيلق 10 المدرع، والفرقة 7 المدرعة، وثلاثة ألوية مشاة، ويحل اللواء 152 مشاة من الفرقة 51 مشاة محل اللواء 20 أسترالي في مواقعه الدفاعية، وبذا تصبح الفرقة 9 الأسترالية بأكملها على استعداد للهجوم.

2. تقوم الفرقة 9 الأسترالية بالهجوم ليلة 28/ 29 أكتوبر بهدف تطويق القوات الألمانية المواجهة للقطاع الشمالي، وعقب نجاح الهجوم يدفع الفيلق 30 قوته المدرعة الضاربة في اتجاه سيدي عبد الرحمن، وخلال يومي 27 و28 أكتوبر قامت الفرقتان الألمانيتان 15 و21 البانزر بهجوم مضاد عنيف على تَبَّة كيدني في القطاع الشمالي، ولكن الفرقة 1 المدرعة (من الفيلق 10 المدرع) صدَّته بنجاح، وحاولت فرقتا البانزر التجمُّع مرة ثانية استعداداً لمعاودة الهجوم، ولكن الهجمات الجوية البريطانية العنيفة أحبطت استعداد الفرقتين الألمانيتين المدرعتين.

- **الفترة الثالثة (من 29 أكتوبر إلى أول نوفمبر):**

1. بدأ هجوم الفرقة 9 الأسترالية ليلة 28/ 29 أكتوبر في اتجاه الشمال بهدف القضاء على النتوء الألماني قرب شاطئ البحر، وقد نجح الهجوم في إحداث نتوء ضيق يمتد حتى الطريق الساحلي ما بين تل العيصي وسيدي عبد الرحمن.
2. خلال يوم 29 أكتوبر تعرَّضت الفرقة الأسترالية لهجمات شديدة العنف، ولكنها

تمكّنت من الاحتفاظ بمواقعها الدفاعية، وفي الوقت نفسه تحرّكت الفرقة الألمانية 90 الخفيفة إلى الشاطئ لمواجهة التهديد البريطاني الجديد.

3. في ليلة 30/ 31 أكتوبر استأنف الأستراليون هجومهم نحو الشمال في اتجاه البحر، ونجح أحد ألوية الفرقة 9 الأسترالية في عبور الطريق الساحلي واندفع إلى شاطئ البحر مطوّقًا بعض وحدات الفرقة 164 المشاة الألمانية، وخلال يوم 31 أكتوبر قام الألمان بهجمات مضادة عنيفة، مما أجبر الأستراليين على التراجع حتى الخط الحديدي، وبذلك تمكّنت معظم القوات الألمانية من الإفلات، والانسحاب غربًا بعد تكبُّدها خسائر جسيمة.

4. خلال يوم أول نوفمبر أدرك روميل أن الهجوم الرئيسي البريطاني سيوجَّه عند أقصى الطرف الشمالي بجوار البحر، وعلى ذلك أمر بتحرك الفرقة 21 البانزر من منطقة تل العقاقير لتنضم إلى الفرقة 90 الخفيفة قرب الشاطئ، وبذلك قذف روميل آخر احتياطيه في المعركة.

ثالثا: المرحلة الثالثة:

(الانطلاق من 2 إلى 4 نوفمبر) قرّر مونتجومري ضرورة أن يشنّ هجومه الحاسم لاختراق دفاعات المحور، والنفاذ إلى الأرض المكشوفة بعد أن استمر القتال أكثر من أسبوع دون التوصل إلى نتيجة حاسمة، وعندما علم مونتجومري بتحرك الفرقة 21 البانزر والفرقة الخفيفة 90 الألمانيتين شمالاً قرب شاطئ البحر لمواجهة هجومه الرئيسي في اتجاه الغرب وافق على تغيير اتجاه هجومه ـ بنصيحة من رئيس أركانه ـ ليكون محور الهجوم من الجنوب إلى الشمال، وتبعًا لذلك أصدر أمره القتالي لتقوم الفرقة النيوزيلندية بشن هجومها من تَبَّة كيدني في اتجاه الشمال مباشرة (في اتجاه البحر) على أن يتم تعزيزها بلواءين مشاة ولواءين مدرعين، وأن يجري الهجوم ليلاً، وعلى أن تقوم قوته الضاربة المشكَّلة من الفيلق العاشر المدرع والفرقة 7 المدرعة فور فتح الثغرة في دفاعات العدو بالاندفاع منها في اتجاه الغرب للقضاء على قوات المحور قضاءً تامًّا، وكانت أوامر مونتجومري تقضي بمواصلة الهجوم دون توقُّف مهما كان الثمن، وفي

حالة توقُّف المشاة عن التقدُّم كان على القوات المدرعة شق طريقها لاختراق دفاعات المحور مهما بلغت درجة خسائرها .

وقد بدأ هجوم الفرقة النيوزيلندية في الساعة الواحدة صباح يوم 2 نوفمبر بنجاح بمعاونة أحد عشر آلايًا من مدفعية الميدان ، غير أن اللواء 9 المدرع اضطر للتقدم في المرحلة النهائية دون معاونة المدفعية ، (بسبب فقد ضابط المراقبة الأمامية طريقه أثناء الليل) ، ولذا عندما اصطدم هذا اللواء عند وصوله إلى شرق مدق سيدي عبد الرحمن بستارة ألمانية من المدافع المضادة للدبابات (من عيار 88مم و50مم) كانت نتيجة الاصطدام مروِّعة ، فقد خسر اللواء 9 المدرع في هذه المعركة حوالي 100 دبابة ؛ أي ثلاثة أرباع عدد دباباته ، ولذلك صدرت الأوامر بإرسال الفرقة 1 مدرعة (من الفيلق العاشر المدرع) لنجدة هذا اللواء ، فاشتبكت الفرقة مع القوات المدرعة الألمانية حول تل العقاقير في معركة شديدة العنف تكبَّد فيها الطرفان خسائر جسيمة ، وفقدت فيها المدرعات الألمانية حوالي 360 دبابة ، مما جعل بقاء قوات المحور في مواقعها الدفاعية بخط العلمين أمرًا يكاد يكون مستحيلاً ، خاصة بعد أن نجح آلاي السيارات المدرعة البريطانية (الرويالز) يوم 2 نوفمبر في اجتياز رأس الكوبري ، والنفاذ إلى الأرض المكشوفة ، ومواصلة التقدم في اتجاه الضبعة ، وتبعه يوم 3 نوفمبر آلاي آخر من السيارات المدرعة (جنوب أفريقيا) ، حيث انضم إليه بهدف الإغارة على خط مواصلات قوات المحور ، وفي ليلة 2/ 3 نوفمبر ، وإزاء التطورات الخطيرة الأخيرة في المعركة التي انتهت باختراق القوات البريطانية مواقع الدفاعات الألمانية وبدء مرحلة الانطلاق بدأ روميل في سحب قواته من خط العلمين ، وكانت الستارة الألمانية المضادة للدبابات التي أوقفت اللواء 9 المدرع قد صدرت لها الأوامر بالاستماتة في القتال في مكانها مهما بلغت خسائرها ؛ كي تتاح الفرصة للقائد الألماني روميل لسحب الجزء الأكبر من قواته غربًا للنجاة من أي تطويق بريطاني ، وأدرك مونتجومري مدى خطورة هذه الستارة التي تمنع قيامه بعملية المطاردة لقوات المحور المنسحبة على عجل في اتجاه

الغرب؛ ليتسنّى له اللحاق بها وتحطيمها، ولذلك تم تكليف اللواء 5 الهندي من الفرقة 4 الهندية بالهجوم غربًا حتى مدق سيدي عبد الرحمن لتطويق الستارة الألمانية، والقضاء عليها؛ ليصبح الطريق مفتوحًا أمام القوات البريطانية للقيام بعملية المطاردة، وفي إثر نجاح اللواء الهندي انسحبت الستارة الألمانية المضادة للدبابات من مكانها، واتخذت موقعًا جديدًا في مواجهة الجنوب الشرقي لحماية الطريق الساحلي الذي كان مكتظًّا وقتئذ بمئات من الدبابات والعربات المنسحبة غربًا، وعبرت القوات المدرعة البريطانية (الفيلق 10 المدرع، والفرقة السابعة المدرعة) أخيرًا مدق سيدي عبد الرحمن، وبدأت مرحلة المطاردة، غير أن تعطيل الستارة الألمانية المضادة للدبابات لهذه القوات يومي 2 و3 نوفمبر أتاح الفرصة لروميل لسحب جميع قواته فيما عدا أربع فرق إيطالية في الجنوب لم تتوافر لها عربات لنقلها، ولذا وقعت جميعها في الأسر.

عودة روميل لتولي القيادة

خلال وجود الفيلد مارشال روميل في مستشفى سمرنج اتصل به الزعيم الألماني هتلر هاتفيًا ظهر يوم 24 أكتوبر، وقال له في انزعاج: "روميل... هناك أنباء سيئة من أفريقيا، والموقف يبدو شديد السواد... هل يمكنك أن تعود إلى قيادتك هناك؟" وبرغم أن روميل لم يكن قد تلقّى العلاج إلا لمدة ثلاثة أسابيع فقط، وكان لا يزال ضعيفًا، ولا يصلح للعودة إلى الصحراء لكي يتولى القيادة في معركة يائسة فلم يكن أمامه مجال للرفض بعد المحادثة الهاتفية التي أجراها معه هتلر شخصيًا، فضلاً عن أن مشاعره وعواطفه كانت كلها مع جنود فيلقه الأفريقي الذين لا شك أنهم كانوا يفتقدونه بينهم في هذه الظروف الحرجة.

وفي الساعة السابعة من صباح اليوم التالي غادر روميل المستشفى، واستقل الطائرة للعودة على وجه السرعة إلى مقر قيادة الفيلق الأفريقي، ولكنه توقّف خلال رحلة العودة في روما، حيث عقد مؤتمرًا بالقيادة الجنوبية مع الجنرال الألماني فون رنتلن

للتباحث بشأن إمدادات البترول التي كان روميل يعلم جيداً مدى حاجة قواته الماسة إليها، كما توقَّفت به الطائرة لبعض الوقت في جزيرة كريت، ثم انطلقت به بعد ذلك إلى أحد مطارات الصحراء الغربية المصرية، وفي يوم 26 أكتوبر عاد روميل إلى مقر قيادته التي كان قد غادره منذ شهر إلى ألمانيا للعلاج، وبدأ منذ ذلك الوقت يتولّى قيادة قوات المحور خلال المرحلة الثانية من معركة العلمين.

وعندما عاد روميل ليتولّى مهام القيادة كانت معركة العلمين في واقع الأمر قد تمَّت خسارتها بالنسبة للألمان، ولم يكن في إمكانه القيام بأي عمل كبير للتأثير على سير المعركة، فإن الجنرال ستيوم الذي كان يتولى القيادة أثناء غيابه في ألمانيا دفع معظم ما لديه من احتياطي إلى أتون المعركة، ولم يكن هناك مجال أمام روميل لاتخاذ قرارات كبرى، كما كان يفعل فيما مضى لتغيير مجرى الأحداث.

ومما زاد من حرج الموقف أن الجنرال ستيوم الذي كان قد خلف روميل في قيادة الفيلق الأفريقي حدثت له مأساة مفجعة، فلم تمر 24 ساعة على بدء تحضيرات المدفعية البريطانية حتى كان قد تُوفِّيَ بسكتة قلبية، ويبدو أنه قفز من عربته أثناء سيرها ليتيسَّر له الاختفاء خلال هجمة جوية بريطانية دون أن يلاحظه السائق الذي عاد بالعربة دون قائده، وبالبحث عنه وجدوه راقداً على الأرض جثة هامدة.

ولدواعي الإنصاف ينبغي أن تؤكِّد أن الجنرال ستيوم عندما تولّى القيادة تسلَّم من سلفه الخطة الدفاعية لقوات المحور؛ إذ إن روميل هو الذي سبق له وضعها، وقام بنفسه بإعداد كل التفاصيل عن المواقع الدفاعية في خط العلمين قبل مغادرته أفريقيا متوجهاً إلى ألمانيا، كما أن روميل هو الذي اتبع الأسلوب غير المألوف بالنسبة له من قبل، وهو بعثرة قواته المدرعة وعدم تجميعها في حشد واحد، كما كان أسلوبه في كل معاركه السابقة، فقد وضع الفرقة 15 البانزر في الشمال والفرقة 21 البانزر في الجنوب، كما وزع قوات المشاة الألمانية (بما فيها قوات المظلات) بين التشكيلات الإيطالية في مجموعات

كتائب؛ نظراً لضعف ثقته في المقدرة القتالية للفرق الإيطالية التي كانت تحتل الجانب الأكبر من الخط الدفاعي لقوات المحور كوسيلة لزيادة ثقتها في قدراتها، ولرفع الروح المعنوية في صفوفها.

وليس هناك من شك في أن الحظ قد ساعد الجنرال مونتجومري أثناء الأسابيع الثلاثة الأولى من أكتوبر، والتي تم له خلالها إجراء معظم وسائله الخداعية لإخفاء موعد الهجوم واتجاه مجهوده الرئيسي، وكذا إخفاء مكان قواته المدرعة التي حشدها على مسافة حوالي 80كم خلف الخط الدفاعي، فقد كان روميل طوال ذلك الوقت موجوداً في المستشفى بألمانيا، وبعيداً عن ميدان المعركة، ولم يحضر لتولي القيادة إلا في اليوم الثالث من نشوبها (26 أكتوبر)، وهذا ما دعا الجنرال ألكسندر ـ الفيلد مارشال فيما بعد ـ القائد العام للقوات البريطانية في الشرق الأوسط إلى أن يكتب في مذكراته: "لم يقرر العدو تجميع كل موارده وقواته ضد هجومنا الرئيسي الحقيقي إلا في اليوم الثالث من المعركة"، وهذا الأمر يثير التساؤل: تُرى لو كان روميل موجوداً في أفريقيا خلال شهر أكتوبر هل كان من الممكن خداعه بهذا الشكل؟ وهل كان روميل يعطي لتقارير المخابرات الألمانية التي كانت تؤكد استحالة هجوم الجيش الثامن خلال شهر أكتوبر تلك الأهمية التي أُعطِيت لها من قبل الجنرال ستيوم الذي خلفه في القيادة؟

وبرغم إدراك روميل بأن المعركة قد تمَّت خسارتها فإنه قام بمحاولة يائسة لاستعادة الموقف عن طريق تجميع فيلقه الألماني المدرَّع الذي كان مشتّتًا في الشمال والجنوب، وحشده في مواجهة القطاع الشمالي، حيث تركَّز المجهود الرئيسي للهجوم البريطاني؛ تمهيداً لشن هجوم مضاد استهدف منه تدمير ذلك الهجوم وإحباطه.

وفي صراع مع الزمن حشد روميل الفرقة 15 البانزر المنهكة، والتي كانت قد مُنِيَت بخسائر فادحة خلال المعارك التي خاضها في اليومين السابقين، كذا تم له إحضار الفرقة 21 البانزر من الجنوب إلى الشمال بعد رحلة مضنية شاقة، كما أُمرت الفرقة 90 الخفيفة

بالتخلي عن الواجب المكلَّفة به في حراسة الشاطئ، والانضمام إلى الحشد الألماني المدرع.

وكان الهجوم المضاد الذي خطَّط له روميل بعد بضع ساعات فقط من وصوله يعد عملاً خارقًا من حيث المهارة والجرأة، لقد كان روميل منذ ثلاثة أيام فقط يرقد على فراش المرض في مستشفى سمرنج بألمانيا، وها هو ذا يوم 27 أكتوبر يقف في ساحة القتال ليتولى قيادة فيلقه الأفريقي المدرع - الذي طالما قاده إلى النصر - في أقوى هجوم مضاد تم شنَّه على القوات البريطانية في القطاع الشمالي منذ بدء معركة العلمين، وبرغم تركيز الهجوم على تَبَّة كيدني عند الطرف الغربي للثغرة الشمالية، وبرغم البسالة والجرأة اللتين أظهرتهما قوات الفيلق الألماني بفضل نيران المدفعية الكثيفة التي عاونته وبفضل الهجمات الجوية الكاسحة التي قام بها سلاح الطيران البريطاني الذي كان لديه التفوق الجوي الساحق في سماء المعركة، وخلال يوم 28 أكتوبر حاول روميل تكرار هجومه المضادّ، وتجمعت الفرقتان 15 و21 البانزر أمام تَبَّة كيدني مرة أخرى؛ استعدادًا للهجوم، ولكن نيران المدفعية البريطانية والهجمات الجوية العنيفة أجبرتا الفرقتين على الانسحاب.

وفي يوم 2 سبتمبر امتنع الفيلق الأفريقي عن الهجوم، فقد أثَّرت ضربات السلاح الجوي وعمليات الإزعاج التي قامت بها الفرقة 7 المدرعة تأثيرًا كبيرًا على خط إمداد قوات البانزر عبر الثغرات وفي الأرض المفتوحة في الجنوب، وعلى ذلك أمر الجنرال مونتجومري بأن تبدأ عمليات الفرقة النيوزيلندية أثناء ليلة 3/ 4 سبتمبر، وكانت الخطة أن تقوم الفرقة النيوزيلندية بالهجوم على مرحلتين: **الأولى** أثناء ليلة 3/ 4 سبتمبر بغرض الوصول إلى الحافة الشمالية لمنخفض المناصيب، **والثانية** ليلة 5/ 6 سبتمبر بغرض الوصول إلى الحافة الجنوبية للمنخفض، وكان على باقي القوات المدرعة أن تبقى في مواقعها، وتقتصر عملياتها على إرسال الدوريات للمحافظة على الاتصال بقوات

البانزر الألمانية إلا إذا شرعت الأخيرة في الانسحاب، فكان على القوات البريطانية إرهاقها من كل اتجاه دون التورط في قتال جدِّي.

اللقاء العاصف في برلين

بين هتلر وروميل

الفصل السابع عشر

كانت عملية المطاردة التي قام بها الجنرال برنارد مونتجومري قائد الجيش الثامن البريطاني لغريمه الفذ الفيلد مارشال إروين روميل قائد الفيلق الألماني الأفريقي وقائد قوات المحور عبر الصحاري المقفرة الجرداء الخالية من كل زرع أو ماء تعد قمة في التشويق والإثارة لكل من يعشق المغامرات، أو يعرف مبادئ الحرب وأصول الفن العسكري، فقد كان المشهد المعروض على مسرح القتال في الشمال الأفريقي وقتئذ أشبه بدراما سينمائية مفجعة لصراع مميت بين صياد إنجليزي شديد اليأس موفور القوة ملئ بالحماسة والتصميم ولديه التفوق الساحق في الأسلحة والمعدات، وبين خصم داهية ماكر كان إلى عهد قريب هو ثعلب الصحراء الأوحد وبطلها المظفر، والذي دوَّخ بمهارة خططه وتكتيكاته وبراعة مكائده أقوى جيش بالشرق الأوسط، مما جعله يرتد أمام جرأته وأحابيله، ويهرع منسحبًا إلى ما وراء الحدود وهو في أشد حالات الضياع والانهيار.

ولكن الأوضاع لم تلبث أن تغيرت فقد تدفَّقت الإمدادات والأسلحة والمعدات بمقادير هائلة لإنقاذ ذلك الجيش البريطاني المنهار في العلمين قادمة من الشقيق القابع وراء المحيط الأطلنطي، والذي ظل منتظرًا في صبر وأناة ولسنوات طوال أن تتهيأ الفرصة أمامه كي يفرض سيطرته على العالم ـ كما جرى حاليًا ـ في الوقت الذي ضنَّت قيادة ذلك الثعلب عليه بأي إمدادات أو أسلحة كانت كفيلة لو وصلت إليه بسيطرته على الشرق الأوسط بأسره وربما تغير وجه التاريخ، وهكذا بدأت المطاردة الدرامية التي قام بها الصائد الإنجليزي المزود بأحدث أسلحة الحرب والدمار لذلك الثعلب الذي أضحى ضعيف القوة مهيض الجناح بعد أن نزفت دماؤه، واقتلعت أنيابه، وقلمت أظافره في ساحة العلمين، وفي سبيل النجاة بنفسه من غوائل الموت أو ذل الأسر انطلق الثعلب المثخن بالجراح غربًا صوب قاعدته في طرابلس قاطعًا الفيافي والقفار بأقصى

سرعة لديه وبلا راحة أو توقُّف، بينما اندفع وراءه ذلك الصائد العنيد، وأخذ يطارده بشدة وعنف، وبلا رحمة أو شفقة عبر الصحراء المصرية، ثم الليبية عاقدًا عزمه على إنهاء ذلك الصراع الطويل الضاري الذي استمر ناشبًا أكثر من ثلاثين شهرًا ما بين مد وجزر وبين كرٍّ وفر، ومن العجيب أن يكون مسرح الصراع بين الطرفين المتصارعين أرضًا لا يملكها أحد منهما ودون أن يستطيع أصحابها التدخل في الصراع الدائر عليها، وبرغم ضعف الثعلب الألماني بعد أن خارت قواه، وفقد الكثير من قدراته ومعنوياته فقد تمكن من الانطلاق غربًا في سرعة خارقة لمسافة شاسعة بلغت أكثر من 2000كم دون أن يستطيع الصائد الإنجليزي اللحاق به، فقد اتبع الأخير الحيطة والحذر بشكل مبالغ فيه؛ خشية أن تدور عليه الدائرة، كما دارت من قبل على أسلافه من القادة الكبار بفضل ما كان يتمتع به ذلك الثعلب من دهاء وعبقرية، وما عرف عنه من مهارة في تدبير الأحابيل والمكائد؛ مما أتاح له الفرصة للإفلات والنجاة من كل ما نصبه له الصياد من شباك وكمائن مستهدفًا صيده، وهكذا أثبتت العبقرية أنها في كثير من الأحيان يمكن لها التفوُّق على عناصر القوة المادية مهما بلغت سطوتها.

الموقف العسكري للطرفين في أواخر نوفمبر عام 1942

كان هدف مونتجومري من قيام قواته بعملية المطاردة التي بدأت يوم 4 نوفمبر 1942 هو تطويق قوات المحور الألمانية الإيطالية؛ لقطع خط الرجعة عليها، وإرغامها على التسليم، وعدم منحها الوقت الكافي للقيام بعملية إعادة التنظيم؛ أو استعادة ميزة المبادأة، وعلى الرغم من أن روميل طوال انسحابه السريع بقواته من العلمين إلى بني غازي عاصمة برقة والتي تزيد مسافتها عن 1000كم لم يحاول التوقف بقواته في أي موقع للدخول في معركة حاسمة مع قوات الجيش الثامن البريطاني، كما لم يتمكَّن خلال مراحل المطاردة الثلاث من ممارسة تكتيكاته الفذة التي مارسها من قبل في معاركه مع البريطانيين، والتي أدت إلى إلحاقه الهزيمة بالجيش الثامن مرتين؛ كانت **أولهما** في

معركة باتل آكس في منتصف يونيو 1941 التي اضطَّر الجنرال ويفل بعدها إلى الانسحاب من برقة إلى ما وراء الحدود المصرية، وكانت المرة الثانية بعد مرور عام كامل من المرة الأولى في معركة الغزالة في 13 يونيو 1942، والتي انتهت بهزيمة الجنرال ريتشي والجنرال أوكنلك، وانسحاب الجيش الثامن من برقة إلى خط العلمين في أسوأ حالة من التفكك والانهيار، ولكن الظروف في هذه المرة كانت مختلفة تمامًا عن سابقتها، فبالإضافة إلى الهزيمة الحاسمة التي تلقاها روميل على رأس قوات المحور في العلمين قام الحلفاء في 8 نوفمبر 1942 بعملية إنزال كبرى لقوات أمريكية وبريطانية على شواطئ المغرب والجزائر، وأخذت هذه القوات في التقدُّم بسرعة في اتجاه الشرق، مما أصبح معه خط مواصلات روميل مع قاعدته الرئيسية في طرابلس مهدَّدًا بالقطع، وبالتالي فقد أمله في قدرته على شن هجوم مضاد رئيسي على الجيش الثامن لمحاولة وقف تقدُّمه، وإجباره على الانسحاب للمرة الثالثة إلى ما وراء الحدود المصرية.

وقد بدأت المرحلة الأولى للمطاردة (من العلمين إلى السلوم) يوم 4 نوفمبر 1942، واستغرقت نحو أسبوع واحد قاد خلالها الفيلق 10 البريطاني المدرع عملية المطاردة، بينما ظل الفيلق 30 يتبعه في وثبات؛ ونظرًا لهطول الأمطار بغزارة مساء يوم 6 نوفمبر لذا توقفت المطاردة يوم 7 نوفمبر، مما أتاح الفرصة لروميل كي يسحب جانبًا كبيرًا من قواته وأسلحته على محور الطريق الساحلي، وفي يوم 11 نوفمبر أصبحت الأراضي المصرية خالية من قوات المحور، وانتهت بذلك المرحلة الأولى من المطاردة بفشل مونتجومري في محاولاته لتطويق قوات المحور المنسحبة غربًا، وقطع خط الرجعة عليها، ونجاح روميل في الإفلات بقواته فيما عدا أربع فرق إيطالية وقعت جميعها في الأسر؛ بسبب عدم وجود عربات لنقلها.

وفي يوم 11 نوفمبر أيضًا بدأت المرحلة الثانية من المطاردة (من السلوم إلى بني غازي)، وهي مسافة تبلغ حوالي 700كم، وقد استغرقت نحو عشرة أيام استمر خلالها

الفيلق 10 البريطاني في قيادة عملية المطاردة ، بينما كان الفيلق 30 يتبعه في وثبات ، وعلى الرغم من أنه كان في مقدرة مونتجومري إرسال قوة كبيرة من الجيش الثامن للتقدم على الطريق الصحراوي الداخلي الذي يمر بالمخيلي ومسوس وعنتيلات للوصول بسرعة إلى إجدابية التي تقع جنوب بني غازي وعلى مسافة نحو 150كم منها ، وقطع خط الرجعة على قوات المحور المنسحبة غربًا على الطريق الساحلي فإن مونتجومري بدافع من حذره الشديد قرر أن تستمر المطاردة على الطريق الساحلي وحده عبر الجبل الأخضر ، مما أفقد المطاردة سرعتها ، وفي يوم 20 نوفمبر سقطت بني غازي في أيدي الفيلق العاشر البريطاني ، وفي يوم 23 نوفمبر سقطت إجدابية التي أخلتها قوات المحور وواصلت انسحابها غربًا إلى العقيلة بعد إفلاتها من أية عملية تطويق ضدها ، وفي يوم 24 نوفمبر تم فتح ميناء بني غازي للسفن لإمداد الجيش الثامن بما يلزمه من إمدادات ومؤن ، وبذا انتهت المرحلة الثانية من المطاردة .

وفي المرحلة الثالثة التي بدأت يوم 24 نوفمبر تأثرت المطاردة إلى العاصمة طرابلس بعاملين : كان **أولهما** القتال التعطيلي الذي قام به روميل لوقف تقدم الجيش الثامن أطول فترة ممكنة لإتاحة الوقت للقيادة الألمانية في تونس كي تنتهي من تنظيم الدفاع عنها ضد قوات الحلفاء التي تزحف من الجزائر للاستيلاء عليها . أما العامل **الثاني** فكان سوء الموقف الإداري للجيش الثامن ؛ نظرًا لطول خط مواصلاته ، وقد وقعت العمليات الحربية في هذه المرحلة في مرحلتين فرعيتين كانت أولاهما معركة العقيلة ، وكانت الثانية معركة خط البويرات .

وكان روميل قد قرر التوقُّف لأول مرة منذ انسحابه من العلمين عند خط العقيلة الحصين الذي كان يعد موقعًا دفاعيًا طبيعيًا ، وتلقى روميل في هذا الموقع إمدادات عديدة من الجنود والدبابات بحيث استعاد بها جانبًا كبيرًا من قوته ، وقد أقام في خط العقيلة ستارة هائلة من المدافع المضادة للدبابات (عيار 88مم و50مم) ، كما بث عددًا ضخمًا من حقول الألغام والشراك الخداعية ، واحتفظ خلف الخط الدفاعي بحوالي 100 دبابة

كاحتياطي تعبوي، وبرغم الترتيبات الكبرى التي بذلها مونتجومري للاستعداد للهجوم فقد قرَّر أن هجومه لن يبدأ على العقيلة قبل مضي ثلاثة أسابيع؛ أي قبل منتصف ديسمبر 1942.

جورنج بين العبقرية والجنون

انتهز هتلر فرصة ركود العمليات الحربية في ليبيا، وتوقف عملية المطاردة مؤقتًا بعد احتلال روميل لموقع العقيلة الحصين، لاستدعاء روميل للقائه في مقر القيادة العليا الألمانية في برلين في أواخر شهر نوفمبر 1942، كان هذا اللقاء واحدًا من اللقاءات المثيرة التي فقد فيها الزعيم النازي أعصابه، وكان روميل ـ استجابة لما طلبه منه هتلر ـ قد قام في بداية اللقاء بعرض صورة عامة للموقف العسكري المتدهور في ليبيا بصراحة ووضوح، وعندما أكد لهتلر بأن الوضع في شمال أفريقيا ميئوس منه، وأن أفضل الحلول هو التضحية بالأسلحة والمعدات في سبيل إنقاذ الفيلق الأفريقي، والقيام بنقله على وجه السرعة إلى إيطاليا ليواصل القتال مرة أخرى ثار هتلر، واتهمه بأنه وقواته مجموعة من الجبناء، وذكر لروميل أن الجنرالات الألمان الذين أبدوا مثل هذا النوع من الاقتراحات في الجبهة الروسية قد تم وضعهم أمام الحائط وأُطلِقَ عليهم النار.

وأبدى هتلر لروميل اهتمامه الشديد ببقاء طرابلس في أيدي الألمان مهما كان الثمن؛ إذ إن سقوطها في أيدي البريطانيين ربما يؤدي إلى خروج إيطاليا من الحرب وعقدها صلحًا منفردًا مع الحلفاء، وعندما سأل روميل زعيمه عما إذا كان الأفضل ضياع طرابلس أم ضياع الفيلق الأفريقي رد هتلر صائحًا بأن الفيلق الأفريقي لن يعنيه، وللمرة الأولى شعر روميل بمدى استخفاف هتلر بالشعب الألماني، وأدرك الحقيقة القاسية التي لم يكن يتصورها من قبل، وهي أن زعيمه لا يكترث بحياة الرجال الذين يقاتلون من أجله، وأنهى هتلر اللقاء بأسلوب كان أشبه بالطرد بالنسبة لروميل، فقد صاح فيه قائلاً: "اذهب من هنا، فإن لدى أعمالاً أخرى أهم كثيرًا من التحدث إليك"، ولم

يكد هتلر يتم عبارته حتى أدى روميل التحية العسكرية، ودار على عقبيه، وانصرف من الغرفة، وبعد أن سار روميل بضع خطوات فوجئ بأن هتلر قد هرول وراءه، ووضع ذراعه فوق كتفه، وقال: "يجب ألا تؤاخذني فإني في حالة عصبية بالغة السوء، ولكن كل شيء سوف يكون على ما يرام، احضر غداً لمقابلتي وسوف نتحدث في كل شيء بهدوء، من المستحيل التفكير في أن الفيلق الأفريقي سيتم تدميره".

حضر روميل بالفعل لمقابلته في اليوم التالي، ووجد برفقته المارشال جورنج قائد الطيران الألماني، والتفت هتلر إلى جورنج قائلاً: "افعل كل ما تريده، ولكن تأكد أن الفيلق الأفريقي قد تم إمداده بكل ما يقول روميل إنه في حاجة إليه"، وطمأن جورنج هتلر بأنه سيتولى بنفسه تنفيذ كل رغباته ومطالبه.

ووجه مارشال الرايخ جورنج الدعوة إلى روميل وزوجته لمرافقته في قطاره الخاص إلى العاصمة الإيطالية روما، وعندما التقيا به في محطة ميونخ، وركبوا جميعًا القطار وجداه يرتدي حلة رمادية نصف مدنية كان أسفلها (صديري) من الحرير الرمادي، وكان رباط عنقه مثبتًا بمشبك كبير من الزمرد، وأصابت روميل الدهشة حينما أبصر خاتمًا في أحد أصابعه مركبًا عليه ماسة ثمينة كبيرة الحجم، وانقلبت دهشته إلى ازدراء حينما اكتشف أن أظافره مطلية بالطلاء، وفي أول فرصة سنحت عرض جورنج في انتفاخ وزهو خاتمه الثمين على زوجة روميل قائلاً: "أعتقد أنه يهمك رؤية هذه الماسة التي فوق الخاتم إنها واحدة من أثمن الماسات في العالم"، وكانت هذه هي المرة الأولى التي تقابل فيها زوجة روميل مارشال الرايخ الشهير وقائد الطيران الألماني (اللفتواف)، وقد أصيبت بخيبة الأمل نفسها التي أصيب بها زوجها.

ولفرط دهشة روميل وزوجته كان حديث جورنج طوال رحلة القطار منحصراً فقط في عشقه للصور، وكيف أنهم يعتبرونه فنان الرايخ الثالث؟ وكيف أن المارشال بالبو (قائد الطيران الإيطالي) أرسل له تمثال أفروديت (آلهة الجمال)، ولم يتطرق جورنج

طوال الرحلة، وفي أثناء حديثه المطول عن نفسه وعن هواياته الفنية بكلمة واحدة عن شمال أفريقيا، كما قاوم جورنج بشدة كل المحاولات التي كان يبذلها روميل لتحويل محور الحديث من الصور والتماثيل إلى الإمدادات المطلوبة لأفريقيا، وقبل مغادرة القطار في محطة روما سلَّم جورنج لروميل وسام الرايخ الهتلري، وصليب السلاح الجوي مرصعًا بالماس، مما جعله يعتقد أنه قد أرضاه.

وفي العاصمة الإيطالية روما، وفي أثناء وجودهم بالفندق الكبير تكررت القصة نفسها، ولم يفعل جورنج شيئًا سوى البحث عن الصور والتماثيل النادرة، وعلَّق روميل لزوجته في استخفاف على تصرفات المارشال الذائع الصيت جورنج قائلاً: "كل ما يفكر فيه جورنج هو كيف يملأ قطاره الخاص بهذه المقتنيات الثمينة، ولم يبذل أدنى محاولة للقاء أحد من الذين يمكنهم معاونتي في تحقيق مطالبي".

وهمس جورنج لزوجة روميل ما لاحظه من أن زوجها يغلب عليه التشاؤم، فأجابته بأن هذه ليست حالته الطبيعية، فهو في العادة شديد التفاؤل، ولكنه يتطلع إلى الموقف العسكري المتحرِّج بنظرة واقعية، ووجدها جورنج فرصة للتفاخر، فرد عليها قائلاً: "هو لا يدرك أبعاد الموقف بأكمله كما أدركه أنا، سوف نرعاه وسوف نحقق له كل ما يريده"، ومضى جورنج بعد ذلك يعدد في حديث مطول لمناقبه وإنجازاته الرائعة للرايخ الثالث في الماضي والحاضر وما سيقوم به في المستقبل، وقد بدا هذا الحديث لزوجة روميل أنه نوع من الهلوسة.

ونظرًا لأن مظهر جورنج في هذه الرحلة التي رافقه فيها روميل وزوجته كان يدل على قدر كبير من البلاهة والهوس مما يتناقض تمامًا مع ما أظهره جورنج فيما بعد من مقدرة ودهاء أثناء مواجهته في محاكمات مجرمي الحرب في نورمبرج بألمانيا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية فإن ذلك يدعو إلى التساؤل عما إذا كان جورنج في المرحلة التي جرت فيها رحلته إلى روما قد عاد مرة أخرى إلى ممارسة عادته القديمة في تعاطي الأفيون؟! وقد أُخذَت له في أثناء وجوده في روما عدة صور تدعو إلى العجب لفرط ما

تحمله من معان صبيانيَّة، ومنها صورة له بملابس الحرس، وهو يحمل في يده علماً أخضر اللون، كما أذيعت قصة عنه انتشرت في كل أنحاء روما، وهي توجهه إلى إحدى الحفلات الكبرى وهو يرتدي عباءة فضفاضة.

ولم يتمكن روميل من تحمل هذه التصرفات الشاذة من أكبر المارشالات الألمان، وأقواهم نفوذاً، وأقربهم إلى هتلر أكثر من ثلاثة أيام قال بعدها: "أنا لا أفعل شيئاً هنا له أية أهمية سوى أنني أفقد أعصابي، من الأفضل أن أعود ثانية إلى الفيلق الأفريقي".

وفي اليوم التالي عاد روميل إلى مقر قيادته خلف منطقة العقيلة في ليبيا، وهو مقتنع تماماً بأن المارشال جورنج مصاب بالجنون، وأن زعيمه هتلر ليس أفضل حالاً منه، وكان أشد ما آلم، روميل خلال هذه الفترة ما علمه من تدفُّق القوات الألمانية والإيطالية على تونس بطريقي الجو والبحر بأوامر القيادة العليا الألمانية دون التذرُّع بأي نوع من العلل والحجج للامتناع عن إرسال القوات، كما كانت عادة هذه القيادة معه كلما طالبها بإرسال الإمدادات التي كان في أشد الحاجة إليها، ففي خلال شهر نوفمبر وصلت إلى تونس بطريق الجوكتيبتان من القوات المنقولة جواً، وكتيبة مهندسين وسرعان ما تبعتهما وحدات عديدة من المشاة والدبابات والمدفعية تشكَّلت منها فرقة مختلطة، وفي منتصف ديسمبر وصلت الفرقة 10 المدرعة والفرقة 334 مشاة، كما قدمت من كريت كتيبة قاذفي قنابل يدوية، ووصلت أيضاً إلى تونس كتيبة دبابات ثقيلة (الكتيبة 501) المزودة بالدبابات الحديثة من طراز تيجر التي سبق لهتلر أن وعد بها روميل، كما كانت فرقة هيرمان جورنج المدرعة الذائعة الصيت من ضمن الوحدات التي أُرسلَت إلى الميدان الأفريقي الجديد، وفضلاً عن ذلك وصلت عدة تشكيلات ألمانية وإيطاليَة من مختلف الأسلحة ومن شتى الجبهات تم إرسالها إلى الجبهة التونسية على وجه السرعة، وكأنما كان الهدف من إرسالها هو تضخُّم حجم غنيمة الحلفاء، فقد قامت كل هذه التشكيلات والوحدات بالاستسلام لقيادة الحلفاء بعد شهور قلائل.

انتقال المعارك الحربية

من الأراضي الليبية إلى تونس

الفصل الثامن عشر

عقب معركة العقيلة، ووقوف روميل على خط البويرات قرَّر روميل الوقوف بقواته للمرة الثانية في وجه مطارديه على خط البويرات على بعد نحو 350كم غرب خط العقيلة، ولم يكن الموقع الجديد في قوة ومناعة خط العقيلة، فبرغم استناده في حدِّه الشمالي على البحر المتوسط فلم يكن يستند في حده الجنوبي على مانع طبيعي مثل الخط السابق لتأمينه ضد أي حركة تطويق، ولكن خط البويرات كان يقع خلف مجموعة من الوديان العميقة والمتسعة ذات الرمال الناعمة، مما يشكل عقبة خطيرة بالنسبة لأي مهاجم.

وكان مونتجومري يستهدف من هجومه تدمير قوات المحور، وهي في مواقعها الدفاعية بخط البويرات في معركة حاسمة مستغلاً تفوق قواته الساحقة، وخاصة في الدبابات والمدفعية، فضلاً عما كان يحوزه الطيران البريطاني من سيادة جوية على أرض المعركة، وبذا تتاح له الفرصة للتقدم مباشرة دون أي عائق للعاصمة الليبية طرابلس في الوقت الذي يفقد فيه روميل مقدرته المعهودة في سرعة الانسحاب، ويعجز عن احتلال الموقع القوي (الخمس ـ ترحونة) الذي يقع على بعد 120كم شرق طرابلس، ولكن سوء الموقف الإداري بسبب طول خط مواصلات الجيش الثامن، وهو إحدى خصائص حرب الصحراء كان يستلزم تكديس كمية كبيرة من الوقود والذخائر في القاعدة الأمامية التي اختارها مونتجومري في مدينة سرت، والتي تقع شرق خط البويرات بمسافة 100كم، وتحقيقًا لمبدأ المحافظة على التوازن الإستراتيجي قرَّر مونتجومري أن يتقدَّم الفيلق 10 إلى خط العقيلة فور تقدم الفيلق 30 للهجوم على خط البويرات، وتحدَّد موعد الهجوم ليكون في منتصف يناير 1943.

وقرر مونتجومري أن تكون خطة هجوم الفيلق 30 على خط البويرات كما يلي:

- مجموعة الفرقتين 50 و51 مشاة تقومان بالهجوم بالمواجهة على محور الطريق الساحلي.

- مجموعة الفرقتين 2 نيوزيلندية و7 مدرّعة تقومان بعملية تطويق واسعة حول الحد الجنوبي لخط البويرات، ثم تنحرفان بعد ذلك للشمال الغربي؛ لقطع خط الرجعة على قوات المحور.
- اللواء 22 مدرع (من الفرقة 7 مدرعة) يعمل كاحتياطي في الوسط لمعاونة أية مجموعة من المجموعتين، ولحفظ الاتصال بينهما.

أما الفيلق 10 المدرع وكان يتشكل من (الفرقتين 1 و10 المدرعتين، والفرقة 4 مشاة الهندية) فعليه التقدُّم إلى خط العقيلة عقب تقدم الفيلق 30 لشنِّ هجومه على خط البويرات.

ولكن الأحداث جعلت هذه الخطة من المتعذر تنفيذها، فقد هبَّت يوم 4 يناير عاصفة مدمِّرة على ميناء بني غازي أدت إلى تحطيم الحاجز الخارجي للميناء، وإغراق 4 سفن كبيرة، وعدد من ناقلات الجنود والصنادل، مما تسبب في هبوط معدل التفريغ في الميناء إلى ألف طن يوميًا، وإزاء ذلك اضطر مونتجومري إلى تعديل خطته، ولكن دون تغيير موعد الهجوم حتى لا تتهيأ الفرصة لروميل للحصول على إمدادات جديدة، وحتى لا يتسع الوقت لقيادة قوات المحور لتعزيز قواتها الأخرى في تونس.

وكان التعديل الذي طرأ على خطة الهجوم بسبب الموقف الإداري هو جَعْلها أساسًا معركة تطويق للحد الجنوبي لخط البويرات كما يلي:

- الاكتفاء بهجوم فرقة واحدة (الفرقة 51 مشاة) للقيام بالهجوم بالمواجهة على المحور الساحلي، لتثبيت قوات المحور في مواقعها الدفاعية، مع مراعاة عدم تورطها في القتال.
- عدم تقدُّم الفيلق 10 إلى موقع العقيلة، وسحب جميع وسائل نقله لاستخدامها في إحضار احتياجات الفيلق 30 من طبرق ـ بعد هبوط معدل التفريغ في ميناء بني غازي ـ حفاظًا عليه عقب بدء عملية الهجوم على خط البويرات.

- سحب الفرقة 1 مدرعة (من الفيلق 10)، ووضعها تحت قيادة الفيلق 30؛ لتعزيز عملية الهجوم مما سوف يؤدي إلى إحراز هذا الفيلق التفوق في عدد الدبابات، وبالتالي سرعة تقدمه إلى طرابلس.

وفي صباح يوم 15 يناير بدأ تحرُّك مجموعة التطويق (الفرقتين 2 نيوزيلندية و7 مدرعة)، وقد اشتبكت في طريقها بعناصر من الفرقة 15 البانزر الألمانية وأجبرتاها على الانسحاب.

وفي مساء اليوم نفسه بدأ هجوم الفرقة 51 مشاة بالمواجهة على المحور الساحلي، ولكن الهجوم لم يلبث أن توقف؛ نظرًا لكثافة حقول الألغام، وبرغم ذلك لم يحاول روميل البقاء بقواته على خط البويرات، بل بدأ في سحب قواته من الخط الدفاعي خلال الليل مستغلاً ساعات الظلام، وإزاء ذلك أمر مونتجومري صباح يوم 16 يناير قوات الفيلق 30 بمواصلة التقدم غربًا بأقصى سرعة ممكنة، ولكن ذلك لم يكن متيسرًا، فقد تعثرَّت الفرقة 51 في حقول الألغام، مما عطل تقدمها غربًا، بينما استمرت مجموعة التطويق في طريقها الشاق الطويل، مما أتاح الفرصة لروميل للإفلات بقواته.

ولكن الفرقة 51 مشاة لم تلبث أن نجحت في عبور حقول الألغام، وواصلت تقدمها غربًا حتى استولت على (مصراته) يوم 18 يناير بعد أن تقدمت حوالي 100كم في الوقت الذي استمرت فيه قوات المحور في الانسحاب على الطريق الساحلي معتمدة على أعمال النسف، وحقول الألغام، وعمليات المؤخِّرات القوية لتعطيل تقدم وحدات الفيلق 30، وساعدتها الطبيعة في ذلك، فقد لاقت مجموعة التطويق صعوبات وعورة الأرض الصخرية التي كانت تتحرك فوقها.

وفي يوم 19 يناير اصطدمت مجموعة التطويق بمؤخرة ألمانية قوية جنوب (ترحونة) مما عطَّل تقدمها نحو 48 ساعة، ونتيجة لانهيار خط البويرات وانسحاب قوات المحور، لذا أمر مونتجومري بتحويل اللواء 22 مدرع (من الفرقة 7 المدرعة) إلى المنطقة الساحلية ليمر من خلال الفرقة 51 مشاة، وقد نجحت.

وفي فجر يوم 23 يناير 1943 دخلت قوات الفيلق 30 البريطاني طرابلس، وبذلك انتهت المرحلة الثالثة من مراحل المطاردة البريطانية لقوات المحور بعد معركة العلمين.

وأمر مونتجومري الفرقة 7 المدرعة من الفيلق 30 بمتابعة انسحاب قوات المحور غربًا، فأخذت تتقدم على الطريق الساحلي في اتجاه (زواره) على مسافة حوالي 120كم غرب طرابلس وعلى بعد نحو كيلومتر من الحدود التونسية، وتمكّنت يوم 31 يناير من طرد مؤخِّرة الفرقتين الألمانيتين 90 خفيفة و164 مشاة، ودخول (زوارة)، وفي يوم 4 فبراير 1943 عبرت أخر المؤخرات الألمانية حدود تونس، وأصبحت ليبيا خالية من قوات المحور، وتم فتح ميناء طرابلس، ووصل معدل التفريغ فيه إلى 2000 طن يوميًّا على أن يتم الاحتفاظ بكميات التموين التي تصل عن طريق ميناء طرابلس استعداداً لمعارك تونس.

وكان الجنرال الفرنسي لكلير قد نجح في تكوين قوة تعادل لواء مشاة في منطقة بحيرة تشاد شمال العاصمة (نجامينا) من الفرنسيين، وبعض مواطني تشاد لإثبات اشتراك الفرنسيين الأحرار التابعين للجنرال ديجول في الحرب ضد قوات المحور؛ ونظرًا لضعف موارده لم يستطيع تسليح هذه القوة إلا بأسلحة قديمة، كما اعتمد في تنقلاتها على عدد من العربات والإبل، وقد تقدمت هذه القوة، وتم تسليحها بالأسلحة الحديثة، مما جعلها تشترك مع الجيش الثامن في عملياته المقبلة.

هجوم روميل على الفيلق الثاني الأمريكي

في 8 نوفمبر 1942 بدأت عمليات غزو الحلفاء للمغرب والجزائر، وبدأت قوات الغزو الأمريكي بقيادة إيزنهاور في التقدم شرقًا إلى تونس؛ لاحتلال موانئها، وتوجيه ضربة قاضية إلى قوات المحور التي انسحبت أمام الجيش الثامن من ليبيا إلى تونس بقيادة الفيلد مارشال روميل، وفي الوقت نفسه سارعت القيادة الألمانية برغم مفاجأتها بالغزو إلى إرسال قوات برية عن طريقي البحر والجو إلى تونس لمنع قوات الحلفاء من احتلالها،

ولتأمين قوات المحور التي انسحبت من ليبيا حتى لا تقع بين شقي الرحى (الجيش الثامن من الشرق وقوات الحلفاء من الغرب)، وفي 15 نوفمبر بلغ عدد قوات المحور في تونس نحو خمسة عشر ألف جندي، وكان يتولى قيادتها الجنرال الألماني فون أرنيم، وقد تمكّنت هذه القوات بفضل هجماتها المضادة من وقف تقدم قوات الحلفاء (الأمريكية والبريطانية)، وانتهى الأمر باحتلال قوات الحلفاء خطًّا دفاعيًّا يمتد قرابة 400كم، وكان يمتد من (رأس سراط) شمالاً بالقرب من البحر المتوسط إلى (قفصة) جنوبًا.

وفي 14 يناير 1943 عُقدَ مؤتمر الحلفاء في الدار البيضاء على المحيط الأطلنطي بالمغرب، وتقرَّر في هذا المؤتمر وضع جميع قوات الحلفاء في شمال أفريقيا (تونس والجزائر والمغرب) تحت القيادة العامة للجنرال الأمريكي إيزنهاور، وعُيِّنَ الجنرال البريطاني هارولد ألكسندر نائبًا للقائد العام ومارشال الجو البريطاني تيدر قائدًا لجميع القوات الجوية للحلفاء في البحر المتوسط، وبذلك أصبحت جميع عمليات الجيش الثامن في تونس وقوات الغزو البريطانية الأمريكية في الشمال الأفريقي تحت قيادة موحدة.

وكان مونتجومري قد قرَّر عقب احتلال طرابلس مطاردة قوات المحور التي اجتازت الحدود التونسية بقيادة روميل مستهدفًا الوصول إلى الخط الدفاعي المنيع (خط مارث) تمهيدًا لاقتحامه، وقد أقام الفرنسيون هذا الخط عام 1936؛ أي قبل الحرب العالمية الثانية للدفاع عن تونس ضد أي هجوم إيطالي يُشَنُّ من ليبيا التي كانت واقعة وقتئذ تحت الاحتلال الإيطالي؛ ونظرًا لسوء الموقف الإداري للجيش الثامن بعد أن طال خط مواصلاته بهذه الصورة غير العادية، لذا لم يتمكن مونتجومري من القيام بعملية المطاردة داخل تونس سوى بالفرقة 7 المدرعة من الفيلق 30، بينما احتفظ بالفرقتين الأخريين (النيوزيلندية و51 مشاة) بمنطقة العاصمة الليبية طرابلس بهدف إعادة التنظيم والتدريب، وعلى الرغم من عنف مقاومة مؤخرات قوات المحور المنسحبة غربًا فقد تمكّنت الفرقة 7 المدرعة من دخول مدينة (أم جاردين) التونسية، وبعد تعزيزها بالفرقة

51 مشاة التي أحضروها من طرابلس سقطت مدينة (مدينين) في أيدي الفرقتين البريطانيتين .

وبالنسبة لقوات المحور كانت القيادة الألمانية قد تم لها في فبراير 1943 تشكيل الجيش الأفريقي الذي أُسندَت قيادته إلى الفيلد مارشال إروين روميل ، وكان يتشكَّل من جيش البانزر الخامس الذي كان يضم القوات الجديدة التي أُرسلَت إلى تونس بحراً وجواً ، وكان يتولى قيادته الجنرال الألماني فون أرنيم ، وكذا الجيش الأول الإيطالي كان يضم الفيلقين الإيطاليين 20 و21 اللذين قدما من ليبيا ، وكان يتولى قيادته الجنرال الإيطالي ميس ، وكانت القيادة العليا الألمانية في برلين ما زالت تعتقد أنه يمكن لها المحافظة على رأس الكوبري الذي أقامته قوات المحور حول العاصمة تونس ومينائها بنزرت ، وإجبار جيش الحلفاء الكبير على البقاء أمامه مشلول الحركة .

ونظراً لأن روميل لم يكن قد فقد بعد روحه الهجومية كما لم يكن من عادته البقاء ساكنًا انتظاراً لهجمات توجه ضده ، ولم يكن من الضروري أن يكون هدفه هذه المرة هو الجيش الثامن فقد كان هناك أيضًا في تونس الجيش الأول الأمريكي ، وكان يحتل مواقعه ضمن الخط الدفاعي الممتد من الخط الدفاعي للحلفاء ، وهو الفرقة المدرعة الأولى من الفيلق الثاني الأمريكي في منطقة (قفصة) ، وأعاد روميل فرقته الوفية له 21 البانزر تسليحها بدبابات من الطراز الجديد (تيجر) ، وهي من ضمن الأسلحة والمعدات التي أُرسلَت مع القوات الألمانية إلى تونس ، وبعد أن استكمل استعداداته انقض روميل بفرقته الألمانية 21 المدرعة على الفرقة الأمريكية في 14 فبراير 1943 ، وتم له اكتساح المواقع الأمامية للفرقة ، مما مكَّنه بعد ذلك من اختراق مواقع الفيلق الثاني الأمريكي الذي سارع جنوده بالانسحاب شمالاً في حالة شاملة من الفوضى والاضطراب ، وكان ذلك يشبه إلى حد كبير ما جرى لقوات الجيش الثامن في معركة الغزالة في برقة في يونيو 1942 .

وإزاء تطور الموقف ذلك التطور بالغ الخطورة إذ أصبحت مواقع القوات البريطانية في شمال تونس، وخاصة الفيلق الخامس البريطاني مهدَّدة بالتطويق، لذا أرسل الجنرال ألكسندر في 20 فبراير إلى الجنرال مونتجومري يطلب منه التدخُّل العاجل في الموقف المتحرِّج، وضرورة الضغط بشدة على قوات المحور التي يواجهها الجيش الثامن في خط مارث (الذي سحب منه روميل بعض القوات لتدعيم هجومه الأخير)؛ لإجباره على تخفيف حدة هجومه على الفيلق الأمريكي، وعلى الرغم من أن موقف الجيش الثامن في ذلك الوقت لم يكن مناسبًا للقيام بعمليات هجومية رئيسية على خط مارث فإن مونتجومري قرَّر تقديم كل ما يمكنه من ضغوط على قوات المحور التي تواجهه؛ إنقاذًا لموقف قوات الحلفاء في شمال تونس؛ لذا أمر الفرقتين 7 المدرعة و51 مشاة بتشديد ضغطهما على خط مارث، ولكن دون التورُّط في معارك رئيسية.

وقرب نهاية فبراير توقَّف الهجوم الألماني في قطاع قفصة، وعاد الفيلق الثاني الأمريكي ليحتل مواقعه الدفاعية الأصلية، وكان الفضل الأكبر في إنقاذ الموقف يرجع إلى شدة هجمات السلاح الجوي للحلفاء على قوات المحور الأرضية؛ نظرًا لما كان يحوزه هذا السلاح من سيادة جوية كاملة على مسرح العمليات في الشمال الأفريقي، ولم تلبث أنباء الاستطلاع أن أفادت بأن القيادة الألمانية أخذت في تحويل قواتها المدرعة من منطقة قفصة إلى خط مارث، وبذا تم لها حشد ثلاث فرق بانزر (مدرعة) هي: الفرقتان 15 و21 البانزر القديمتان، والفرقة 10 البانزر الجديدة التي انتقلت من ألمانيا إلى تونس عقب غزو الحلفاء لشمال أفريقيا، مما جعل مونتجومري يدرك أن جبهة الجيش الثامن ستتعرض خلال بضعة أيام لهجوم ألماني رئيسي كان يستهدف إجبار قوات الجيش الثامن على التخلي عن منطقة ابن جاردين، وتعطيل عمليات هذا الجيش بصورة مؤثرة لإتاحة الفرصة للقيادة الألمانية لشنِّ عملياتها ضد قطاعات أخرى من جبهة الحلفاء في شمال تونس.

نهاية العمليات الحربية

في شمال أفريقيا

الفصل التاسع عشر

لم يكن أحد من الخبراء العسكريين يتخيَّل أن يسقط الخط الدفاعي الحصين (خط ماريث) في أيدي قوات الجيش الثامن بعد أسبوع واحد من بدء هجومها ضده، فقد أنشأ الفرنسيون هذا الخط عام 1936؛ للدفاع عن تونس ضد أي هجوم إيطالي يُشَنُّ ضدها من الأراضي الليبية، وقاموا بتحصينه بإنشاء سلسلة من الدفاعات القوية والدشم المنيعة ومواقع المدفعية والمواقع المضادة للدبابات، ووضعوا أمامه نطاقات عميقة وكثيفة من الموانع وحقول الألغام والأسلاك الشائكة، وكانت الأنباء التي أُذيعت عن هذا الخط تصفه بالقوة والمناعة، وأنه غير قابل للاختراق أو التطويق، ولكن النهاية لم تلبث أن حلت وسقط خط ماريث الحصين، ولحق بسلفه الشهير خط ماجينو الفرنسي، وثبت بسقوطهما صحة المقولة التي سجلها التاريخ في كل الحروب وعلى مر العصور وهو أن أي خط دفاعي مهما كانت درجة مناعته وتحصينه يمكن في النهاية اختراقه أو تطويقه.

معركة خط وادي العكاريت

كانت فكرة الجنرال مونتجومري قائد الجيش الثامن عقب استيلاء قواته على خط ماريث ضرورة الإسراع في الهجوم على خط وادي العكاريت قبل أن تتمكَّن قيادة قوات المحور من إعادة تنظيم قواتها، وتدعيم مواقعها الدفاعية في الخط الجديد، فقام في بادئ الأمر يوم 29 مارس بدفع الفرقتين 2 نيوزيلندية، و10 المدرعة (من الفيلق 10) للتقدم إلى هذا الخط، في الوقت الذي أمر فيه الفيلق 30 باحتلال منطقة قابس ـ الحامة محافظًا بذلك على الأسلوب التكتيكي الذي اتبعه في عمليات المطاردة لجيش المحور بداية من منطقة العلمين حتى دخوله العاصمة الليبية طرابلس، وهو أن يدفع أحد الفيلقين للأمام للهجوم، بينما يبقى الفيلق الآخر في الخلف لاحتلال موقع دفاعي قوي؛ تجنبًا للهزائم التي حاقت بالجيش الثامن في الماضي؛ بسبب الهجمات المضادة التي كان يشنَّها ثعلب

الصحراء روميل، والتي كانت تتسبَّب في وقوع تلك الهزائم، والتي تبعتها عمليات الانسحاب المريرة عبر الصحراء، والتي كان أشهرها الانسحاب الشهير من خط الغزالة في برقة إلى خط العلمين في يونيو 1942.

لم يلبث الجنرال مونتجومري أن غيرَّ أوامره إلى قواته، فقد رأى ضرورة الاحتفاظ بالفيلق 10 الذي كان يتشكَّل من فرقتين مدرعتين (الفرقة 1 مدرعة، والفرقة 7 مدرعة) وفرقة مشاة (الفرقة 2 نيوزيلندية) للقيام بالعمليات الخفيفة الحركة التي ستتبع عملية اقتحام خط وادي العكاريت للانطلاق إلى شمال تونس، ولذا قرر إجراء عملية إعادة التجميع لقواته ليقوم الفيلق 30 بالهجوم على خط وادي العكاريت، بينما يبقى الفيلق 10 في الخلف كاحتياطي تعبوي.

وكانت خطة الهجوم التي قرر مونتجومري القيام بها تتضمن ما يلي:

1. توضع الفرقة 2 نيوزيلندية (من الفيلق 10) بصفة مؤقتة تحت قيادة الفيلق 30؛ لتقوم بإنشاء قاعدة وطيدة يمكِّن منها للفيلق 30 القيام بالهجوم.
2. يقوم الفيلق 30 بهجوم ليلي ليلة 5/ 6 إبريل على خط وادي العكاريت بمواجهة ثلاث فرق (الفرقة 51 في اليمين والفرقة 50 في المنتصف، والفرقة 4 الهندية في اليسار)؛ لإنشاء عدة رؤوس كباري في الخط الدفاعي للمحور.
3. فور تأمين رؤوس الكباري يقوم الفيلق 10 (الاحتياطي التعبوي) بعبورها، والانطلاق بسرعة نحو الشمال؛ لاحتلال مجموعة المطارات بجوار بلدة مزغونة.
4. يتقدم الفيلق 30 على محور الطريق الساحلي في اتجاه ميناء صفاقس، وبمجرد وصوله إلى الأرض المفتوحة شمال وادي العكاريت تتقدم الفرقة 7 مدرعة (من الفيلق 10) في موازنة بالداخل في اتجاه الشمال لاستغلال نجاحه، وقد قامت قوات الجيش الثامن بتنفيذ خطة الهجوم كما يلي:

- في الساعة الرابعة صباح يوم 6 إبريل بدأ هجوم الفيلق 30 على خط وادي العكاريت، وكان أمل مونتجومري كبيرًا في أن يحقق المفاجأة التكتيكية، فقد كانت الليلة حالكة الظلام؛ ولذا تمكّنت الفرقتان 51 في اليمين و4 الهندية في اليسار من الوصول إلى أهدافهما، وإنشاء عدد من رؤوس الكباري في الخط الدفاعي لقوات المحور، ولكن الفرقة 50 التي كانت في وسط المواجهة لم تتمكّن من تحقيق هدفها إلا متأخرة عن توقيتها المحدد، فقد تعطّل هجومها؛ بسبب وجود مقاومة عنيفة من قوات المحور التي تواجهها.
- استغل مونتجومري نجاح الفيلق 30 في إنشاء رؤوس كباري داخل الخط الدفاعي للمحور، وقام بإصدار أمره للفيلق 10 بالتقدم بسرعة عبر رؤوس الكباري، والانطلاق بعد ذلك شمالاً للاستيلاء على ميناء صفاقس، ثم سوسة على البحر المتوسط.
- قام الفيلق 10 بالتقدم عند ظهر يوم 6 إبريل للمرور عبر رؤوس الكباري التي تم إنشاؤها داخل خط وادي العكاريت، ولكن قوات المحور قامت بهجمات مضادة عنيفة، مما تسبب في تعطيل تقدم الفيلق حتى حلول المساء.
- تم انطلاق تشكيلات الفيلق 10 نهارًا يوم 7 إبريل عقب وصولها إلى الأرض المفتوحة، وواصلت تقدمها للشمال بمعاونة نيران المدفعية، وهجمات القوات الجوية التابعة للقيادة الجوية للحلفاء.
- أصدرت قيادة قوات المحور أمرها ليلة 6/ 7 إبريل بالانسحاب العام لقوات المحور من خط وادي العكاريت لتحتل خط انفيدافيل الذي يقع شمال وادي العكاريت بمسافة تبلغ نحو 150كم، وصدر أمر مونتجومري ببقاء الفيلق 30 بخط وادي العكاريت.
- بدأ الفيلق 10 في القيام بعملية المطاردة على المحور الساحلي، واستطاع خلال

يوم 7 إبريل إجراء الاتصال بالفيلق 2 الأمريكي الذي كان يتقدم من بلدة المكانسي شرقًا في اتجاه صفاقس، وبذا أصبح للحلفاء جبهة متصلة للمرة الأولى في تونس.

- في يوم 10 إبريل سقط ميناء صفاقس في أيدي الفيلق 10، وبدأ العمل على الفور لإعداده لاستقبال السفن، وواصل الفيلق 10 تقدمه شمالاً، وهو على اتصال بمؤخِّرة قوات المحور المنسحبة التي كانت تتكون من الفرقتين 15 البانزر، و90 الخفيفة.

معركة خط انفيدافيل

في يوم 11 إبريل استمر تقدم الفيلق 10 على المحور الساحلي لاحتلال مدينة سوسة والاتصال بالجيش الأول البريطاني عند مدينة القيروان؛ ونظراً للتعطيل الذي جرى للفيلق 10 بسبب شدة مقاومة مؤخرة قوات المحور، لذا أمر الجنرال مونتجومري الفيلق 30 بإرسال الفرقتين 4 هندية و50 مشاة (من تشكيلات الفيلق 30) من منطقة وادي العكاريت للانضمام إلى تشكيلات الفيلق 10 الذي كان يقوم بعملية المطاردة لقوات المحور، وأن تقوم باقي تشكيلات الفيلق 30 (الفرقتان 7 مدرعة، و51 مشاة) بالتقدُّم على منطقة صفاقس لاحتلالها.

وفي يوم 12 إبريل استولى الفيلق 10 على مدينة سوسة، وواصل تقدُّمه يوم 13 إبريل حتى اتصل بالمواقع الأمامية للخط الدفاعي للمحور في انفيدافيل، وفي اليوم نفسه أرسل الجنرال البريطاني هارولد ألكسندر نائب القائد العام لقوات الحلفاء في شمال أفريقيا إلى الجنرال مونتجومري ليخطره بأن المجهود الرئيسي لقوات الحلفاء في المرحلة التالية سيقوم به الجيش الأول البريطاني، وأن واجب الجيش الثامن خلال هذه المرحلة هو الضغط بشدة على القطاع الجنوبي لدفاعات المحور؛ لتثبيته ومنعه من تعزيز قطاعه الدفاعي في مواجهة الجيش الأول، وطلب منه إرسال فرقة مدرعة وبعض وحدات أخرى لتدعيم هجوم الجيش الأول، وإزاء ذلك قرَّر مونتجومري ما يلي:

1. إرسال الفرقة 1 مدرعة وآلاي سيارات مدرعة (من الفيلق 10) لينضما إلى الفيلق 9 التابع للجيش الأول البريطاني في القطاع الشمالي.

2. أصبح الفيلق 10 المدرع يتشكل من فرقة مدرعة واحدة (الفرقة 7 مدرعة)، وثلاث فرق مشاة (2 نيوزيلندية و4 هندية و50 مشاة).

3. يقوم الفيلق 10 بالضغط بسرعة وبقوة على الخط الدفاعي للمحور عند انفيدافيل الذي تحصَّنت فيه قوات المحور بعد انسحابها من وادي خط العكاريت قبل أن تتاح لها الفرصة لزيادة تحصينه وتنظيم دفاعاته، وكانت دفاعات خط انفيدافيل تتميز بالقوة والمناعة، وكذا بوعورة الأرض من حولها وعدم ملاءمتها لاستخدام القوات المدرعة سوى في السهل الساحلي الذي يجاور البحر المتوسط بقدر محدود، ولكن يعيب هذا السهل شدة ضيقه وامتلائه بعدد كبير من السبخات ومجاري المياه مما يعرقل تحرك الدبابات والعربات، وإزاء ذلك أمر مونتجومري الفيلق 10 بالقيام بهجوم مدبرً على القطاع الساحلي من الخط الدفاعي ليلة 19/ 20 إبريل، وتضمنت الخطة ما يلي:

- تقوم الفرقة 50 بالهجوم على قطاع الساحل؛ لتثبيت قوات المحور في هذا القطاع.
- تقوم الفرقتان 2 نيوزيلندية و4 هندية بالهجوم على المواقع الدفاعية في القطاع الجنوبي.
- تتولى الفرقة 7 مدرعة مسئولية حماية الجانب الأيسر للهجوم، وإجراء الاتصال، والتنسيق مع الفيلق 19 الفرنسي الذي يقوم بعملياته يسارها.

وقد بدأ الهجوم ليلة 19/ 20 إبريل تحت ستارة قوية من نيران المدفعية والقوات الجوية، وعلى الرغم من عنف مقاومة قوات المحور فقد سقطت انفيدافيل في أيدي

الفيلق 10، ولكن قوات المحور لم تلبث أن شنت هجمات مضادة عنيفة يومي 20 و21 إبريل، ولكن تشكيلات الفيلق 10 استطاعت التشبثُ بمواقعها الدفاعية، وتجنُّبًا لمزيد من الخسائر أمر الجنرال مونتجومري يوم 22 إبريل بقيام الفيلق 10 بعملية إعادة التجميع بهدف تحويل المجهود الرئيسي من القطاع الداخلي إلى القطاع الساحلي، ونتيجة لتنفيذ تعليمات مونتجومري بتحويل المجهود الرئيسي للفيلق 10 أصدرت قيادة قوات المحور أمرها إلى قواتها بالانسحاب العام من خط انفيدافيل، وتم استيلاء قوات الفيلق 10 على أخر خط دفاعي لقوات المحور على مواجهة الجيش الثامن في تونس.

وفي يوم 30 إبريل 1943 قام الجنرال ألكسندر بزيارة الجنرال مونتجومري لتنسيق العمل معه بشأن الدور الذي سيقوم به الجيش الثامن لمعاونة الجيش الأول البريطاني في العمليات الهجومية التي سيقوم بها في شمال تونس، واتُّخِذَت في هذا الاجتماع القرارات التالية:

1. سحب الفرقة 50 من الجيش الثامن؛ كي يتم تدريبها، وإعدادها للاشتراك في عملية غزو صقلية.

2. سحب الفرقتين 7 مدرعة و4 هندية ولواء الحرس رقم 201 من الجيش الثامن لتعزيز جبهة الجيش الأول (في الواقع أن اختيار هاتين الفرقتين لتدعيم هجوم الجيش الأول على بقايا قوات المحور في أفريقيا يدل على أن القائدين ألكيسندر ومونتجومري قد اختارا أفضل العناصر بالفعل في الجيش الثامن، فمن حيث التاريخ كانت الفرقتان هما القوة الضاربة في قوة الصحراء الغربية التي شكَّلها الجنرال ويفل قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط عام 1940، والتي أسند قيادتها إلى الجنرال أوكونور، وتغيرّت تسميتها فيما بعد لتصبح الجيش الثامن، وقد أحرزت قوة الصحراء الغربية بفضل خطة الجنرال ويفل أول انتصار بريطاني في أفريقيا في ديسمبر 1940 على الجيش العاشر الإيطالي بقيادة الجنرال جرازياني الذي اجتاز الحدود المصرية في

سبتمبر 1940، وتقدَّم إلى مدينة سيدي براني، وأنشأ فيها منطقة دفاعية كبيرة، وقد تم للفرقتين 7 مدرعة و4 هندية تدمير القسم الأكبر من 6 فرق إيطالية، وإجبارها على الانسحاب إلى داخل الحدود الليبية).

أصبح تشكيل الجيش الثامن بعد سحب التشكيلات السابقة منه يتكون من الفرقة 2 نيوزيلندية والفرقة 56 مشاة (أحضرت أخيرًا من طرابلس)، والفرقة 12 فرنسية، وتقرر احتلال جبهة الجيش الثامن هذه الفرق الثلاث مع وضع الفرقة 51 مشاة إلى الاحتياط في الخلف على أن يتم تدريبها، وإعدادها في مواقعها للاشتراك في عملية غزو صقلية.

وفي يوم 6 مايو شن الجيش الأول البريطاني هجومًا شاملاً على بقايا قوات المحور في منطقة مجاز الباب في أقصى الشمال، وفي 7 مايو استولى الجيش الأول على العاصمة تونس، وكان من أوائل الوحدات التي دخلتها اللواء 11 الهوسارز من الفرقة 7 المدرعة، وهم المشهورون باسم جرذان الصحراء.

وفي اليوم نفسه استولت قوات الحلفاء على ميناء بنزرت الكبير، وتم إعداده على الفور لاستقبال السفن، واستمرت عمليات تطهير الأراضي التونسية من قوات المحور حتى يوم 12 مايو حينما قام الجنرال فون أرنيم القائد العام الألماني لقوات المحور في شمال أفريقيا بالتسليم للقيادة العامة للحلفاء، ومعه نحو تسعين ألفا من رجاله الألمان والإيطاليين، وكان من ضمن من قاموا بالتسليم الجنرال الألماني فون سبونيك قائد الفرقة 90 الخفيفة الذي قام بتسليم نفسه وفرقته إلى عدوه القديم الجنرال فرايبرج (Freyberg) قائد الفرقة 2 نيوزيلندية، وانتهت بذلك العمليات الحربية في شمال أفريقيا.

سر اختفاء روميل في المعارك الأخيرة في تونس

لاحظ كثير من المؤرخين في أثناء تسجيلهم وتحليلهم للمعارك الأخيرة التي وقعت في تونس خلال شهري مارس وإبريل 1943 أن اسم الفيلد مارشال إروين روميل القائد العام لجيش المحور الأفريقي قد اختفى تمامًا عقب معركة مدينين التي نشبت في 6 مارس 1943 بين قوات المحور وقوات الجيش الثامن، وأنه غاب عن معارك خط ماريث ووادي العكاريت وانفيدافيل، وأخيرًا تم توقيع الجنرال الألماني فون أرنيم على وثيقة تسليم جيش المحور الأفريقي لقيادة الحلفاء في تونس يوم 12 مايو 1943، وذهب ضباط وجنود هذا الجيش إلى معسكرات الأسرى بدون قائدهم الشهير روميل، مما تسبَّب في حيرة الكثيرين من الذين كانوا يتتبعون مجرى المعارك الأخيرة في حرب شمال أفريقيا.

وقد ثبت لنا بما لا يقبل الشك من تتبع الأحداث أن روميل قد غادر تونس بالطائرة إلى إيطاليا، ومنها إلى ألمانيا في بداية الأسبوع الثاني من شهر مارس 1943، ولكن الأمر الذي لم نستطع التأكد منه هو سر هذا الرحيل المفاجئ في هذا الوقت العصيب، وتركه وحدات جيشه الأفريقي، وخاصة وحدات فرق البانزر الألمانية التي طالما قادها إلى أروع انتصاراتها وأعظم أمجادها في حرب الصحراء.

لقد حدث تضارب كبير في أقوال الذين تعرَّضوا في بحوثهم لموضوع عودة روميل إلى بلاده في هذا التوقيت، فقد كتب الجنرال الأمريكي إيزنهاور القائد الأعلى لقوات الحلفاء في الحرب العالمية الثانية في مذكراته أن روميل قد هرب من تونس قبل وقوع الكارثة النهائية للنجاة بجلده، فقد كان يتوقع المصير المحتوم لجيش المحور الأفريقي، ولكن المتتبع للسلك العسكري لروميل الزاخر بالشجاعة والمجد منذ التحاقه بالجندية حتى لحظة رحيله لا بد أن يستبعد لجوء مثل هذا القائد العظيم إلى الفرار من المعركة للنجاة بنفسه، وقد قيل أن الإيطاليين كانوا يرغبون في رحيله عن الشمال الأفريقي،

ولكن لا يوجد أي دليل يؤيد ذلك، وقد قيل أيضًا أن صحته السيئة ومرضه وحاجته إلى عناية طبية أفضل من التي كان يتلقاها كانت السبب في عودته الفجائية إلى بلاده، وقدم بعض المهتمين بهذا الموضوع تعليلاً ربما كان منطقيًا، وهو أن الديكتاتور الألماني هتلر هو الذي أمره بالعودة، نظرًا لما سوف يحدثه وقوعه في الأسر من تأثير على الروح المعنوية للشعب الألماني باعتبار أن روميل كان أحد قادته العظام، ويحظى وقتئذ بكثير من إعجاب الشعب وتقديره، ولكن هذا التبرير يحتمل كثيرًا من الشك فإن هتلر حتى لحظة رحيل روميل من تونس لم يكن قد أدرك بعد أن نهاية الجيش الأفريقي محتومة، وكان يحلم كالعادة بإمكان صمود هذا الجيش، بل وقدرته في النهاية على طرد جيش الحلفاء من شمال أفريقيا، ولم يتم اقتناعه بمأساة هذا الجيش إلا يوم 8 مايو عندما أصدرت القيادة العليا في برلين أمرها بإخلاء فوني من القوات الألمانية والإيطالية عن طريق البحر، ومثل العديد من الأوامر التي كان يصدرها هتلر في المرحلة الأخيرة من الحرب، والتي كان من المستحيل تنفيذها، فلم يمض سوى ثلاثة أيام حتى قام الجنرال فون أرنيم بإخلاء تونس من قوات المحور عن طريق البحر، كما أمر هتلر، بل قام بالتوقيع على وثيقة تسليم جيش المحور الأفريقي بأكمله لقيادة الحلفاء يوم 12 مايو 1943، ولا شك في أن هذا التسليم يعد واحدًا من أكبر الهزائم والكوارث التي حلت بأي جيش في التاريخ كان يضم مثل هذا العدد الضخم من الضباط والجنود (90 ألف مقاتل)، فضلاً عما كان بحوزتهم من أسلحة ومعدات ومؤن وعتاد كانت تقدر بمئات المليارات من المارك الألماني.

سقوط خط ماريث

الحصين والزحف إلى الشمال

الفصل العشرون

عقب توقف الهجوم الألماني الذي شنَّه الفيلد مارشال روميل على الفيلق الثاني الأمريكي في قطاع (قفصة) غرب تونس أفادت أنباء الاستطلاع أن القيادة الألمانية أخذت في تحويل قواتها المدرعة من منطقة قفصة إلى خط ماريث (Mareth)، وأنه أمكن لها حشد ثلاث فرق بانزر (مدرعة)، هي: الفرقتان 15 و21 البانزر (من قوات روميل السابقة في الفيلق الأفريقي) والفرقة 10البانزر التي أرسلَت أخيرًا إلى تونس مع بعض الوحدات الألمانية الأخرى للدفاع عنها ضد قوات الحلفاء، مما جعل مونتجومري يدرك أن جبهة الجيش الثامن المواجهة لخط ماريث ستتعرض خلال بضعة أيام لهجوم ألماني رئيسي، وكان روميل يستهدف من ورائه إجبار قوات الجيش الثامن على التخلي عن منطقة (ابن جاردين ـ مدينين)، وتعطيل عمليات هذا الجيش بصورة مؤثرة لإتاحة الفرصة للقيادة الألمانية لشن عملياتها الحربية ضد قطاعات أخرى من جبهة الحلفاء في شمال تونس.

معركة مدينين

أمضى الجنرال مونتجومري الأيام الأولى من شهر مارس 1943 في حشد قواته، وتجهيز دفاعاته استعدادًا للمعركة الكبرى المنتظرة، وكان تقديره للموقف أنه بعد استكمال استعداداته سيصبح قادرًا على مواجهة الهجوم الألماني الذي سيوجَّه ضد قوات الجيش الثامن في منطقة (مدينين) بمقدرة وكفاءة، فقد تم له حشد فرقتين من المشاة (الفرقة 51 والفرقة 2 نيوزيلندية) اللتين أحضرهما من طرابلس، والفرقة 7 المدرعة التي كانت ضمن قواته في تونس من قبل.

وقد بدأ الهجوم الألماني الرئيسي في يوم 6 مارس، واتضح أن المجهود الرئيسي موجَّه ضد مواقع الفرقة 7 المدرعة، وقد شنَّ الألمان أربع هجمات رئيسية على مواقع

قوات الجيش الثامن، ولكنها فشلت جميعًا في اختراق الدفاعات البريطانية، وبلغت خسائر الألمان 52 دبابة، بالإضافة إلى عدد كبير من القتلى والجرحى والأسرى، بينما كانت خسائر البريطانيين 130 من القتلى والمصابين، وعدد قليل من الدبابات، وانتهت المعركة بارتداد قوات الهجوم الألماني في المساء إلى خط ماريث.

وكانت معركة مدنين معركة دفاعية مثالية جرت على غرار معركة علم حلفا في منطقة العلمين في سبتمبر 1942، والتي سبقت معركة العلمين الحاسمة بعدة أسابيع، فقد كانت قوات الجيش الثامن في مدنين على استعداد تام لمقابلة الهجوم الألماني، وتم تدريبها على الخطة الدفاعية لمواجهته وهزيمته، ولذا كانت النتيجة هي فشل روميل في هجومه الرئيسي وارتداد قواته إلى مواقعها الدفاعية في خط ماريث.

وقد علق الجنرال دي جوينجند رئيس أركان الجيش الثامن على معركة مدنين، فقال: "لقد تم توزيع المدافع المضادة للدبابات لتدمير الدبابات الألمانية، وليس لحماية المشاة، كما كان لنيران المدفعية المركَّزة أثر كبير في تشتيت الهجمات التي قام بها العدو"، وقد اعترف الأسرى الألمان عند استجوابهم بعد انتهاء القتال أن قائدهم روميل كان يتجوَّل في أثناء المعركة بين الوحدات لاستثارة حماسة جنوده، وإفهامهم بمدى أهمية هذه المعركة، ولكن كان واضحًا لهم إنه غدا رجلاً مريضًا؛ إذ كان يحيط عنقه بالأربطة الطبية، بينما كانت ملامح وجهه تنم عما يعانيه من هموم وآلام.

كذلك اعترف أحد كبار الضباط الأسرى بعد المعركة للجنرال البريطاني هارولد ألكسندر نائب القائد العام لقوات الحلفاء في شمال أفريقيا بأن روميل قال لمجموعة من رجاله الذين كانوا يقفون حوله في أثناء القتال بأن الألمان إذا لم يحرزوا النصر في هذه المعركة فإن وجودهم في شمال أفريقيا مهدد بالزوال.

خطة الهجوم على خط ماريث

أنشأ الفرنسيون خط ماريث عام 1936 للدفاع عن تونس ضد أي هجوم إيطالي يَشَنُّ ضدها من الأراضي الليبية عندما كانت وقتئذ محتلة من الإيطاليين، وكان زعيمهم موسوليني وقتئذ لا يكف عن إظهار أطماعه في ضم تونس إلى إمبراطوريته التي كان يحلم بتكوينها، وكانت الدفاعات الرئيسية للخط الحصين تمتد من البحر المتوسط قرب بلدة (ماريث) شرقًا حتى تلال (مطمطة) المرتفعة في الجنوب الغربي حتى تنتهي عند (شط الجريد)، وهو عبارة عن منطقة متسعة من المستنقعات والبحيرات المالحة، ولذا كان يعد خط ماريث الذي يستند على تلال مطمطة ومنطقة المستنقعات مانعًا قويًّا يُصعب اختراقه.

وقد أنشأ الفرنسيون في هذا الخط سلسلة من الدفاعات القوية، والدشم الحصينة، ومواقع المدفعية والمواقع المضادة للدبابات، وراعوا أن تكون في عمق كبير، وخلف موانع قوية من حقول الألغام، ونطاقات الأسلاك الشائكة، ولذا كان الهجوم بالمواجهة على خط ماريث يعد مغامرة خطيرة لابد أن يتكبَّد المهاجم خلالها خسائر فادحة في الأرواح والأسلحة والمعدات، كما كانت عملية الالتفاف حوله لتطويقه غاية في الصعوبة؛ إذ إن المهاجم في هذه الحالة سوف يضطر للتقدم مسافة لا تقل عن 250كم في أرض جدباء شديدة الوعورة.

ووفقًا للخطة التي وضعتها القيادة الألمانية تم احتلال الخط الدفاعي الحصين بأربع فرق مشاة إيطالية وفرقتين ألمانيتين هما: الفرقة 164 مشاة، والفرقة 90 الخفيفة، ووضعت الفرقة 15 البانزر الألمانية شمال بلدة ماريث كاحتياطي تعبوي.

وكانت خطة الجنرال مونتجومري للهجوم تستهدف الوصول إلى مدينة (صفاقس) التي تقع على ساحل البحر المتوسط (شمال مدينة قابس وعلى بعد نحو 150كم منها)، وتتميز بوجود الأرض المفتوحة حولها، والتي تسمح باستغلال التفوق الذي تحوزه

القوات البريطانية لتدمير قوات المحور بالاشتراك مع قوات الحلفاء المتمركزة في شمال (قفصة)، وقد تضمَّنت الخطة ما يلي :

- الفيلق 30 يقوم بهجوم بالمواجهة على القوات الإيطالية في خط ماريث .
- الفرقة 2 نيوزيلندية مدعمة باللواء 8 المدرع، وقوة لكلير الفرنسية تقوم بحركة التفاف من الجنوب إلى الشمال في اتجاه مدينة (قابس) لتطويق الخط، وتهديد مؤخرة قوات المحور التي عهد إليها مسئولية الدفاع عنه .
- الفيلق 10 يبقى في الاحتياطي استعداداً للتقدم إلى قابس بعد نجاح الهجوم .

وفي سبيل ضمان نجاح الخطة الهجومية للجيش الثامن طلب مونتجومري من القيادة العامة للحلفاء الفيلق 2 الأمريكي بالقيام بهجوم تثبيتي في قطاع قفصة لمنع القيادة الألمانية من سحب قواتها الاحتياطية في هذا القطاع ؛ لتعزيز دفاعات خط ماريث .

وقد وافق الجنرال البريطاني هارولد ألكسندر على خطة الهجوم، ولكنه قرر أن يستمر هجوم الفيلق الثاني الأمريكي حتى مدينة صفاقس على البحر المتوسط ؛ لقطع خط الرجعة على جميع القوات الألمانية .

كما قرر الجنرال ألكسندر أن تُدَعَّم العمليات البرية بهجمات جوية من أسراب الطائرات التابعة للقيادة الجوية للحلفاء التي يرأسها مارشال الجو البريطاني تيدر .

وقد سبق عملية الهجوم الرئيسي قيام الفيلق 30 بعدة عمليات هجومية محلية على خط ماريث بهدف تدمير القوات الأمامية الساترة للخط، ومحاولة تضليل القيادة الألمانية عن اتجاه الهجوم الرئيسي، كما اشتد نشاط الدوريات البريطانية قبيل الهجوم مباشرة لستر عملية حشد تشكيلات الفيلق 30 في المناطق الأمامية استعداداً للهجوم، وكانت هذه التشكيلات تتضمن الفرقتين 50 و51 مشاة واللواء 22 المدرع .

وفي يوم 17 مارس شنَّ الفيلق 2 الأمريكي هجومه على المواقع الألمانية في قطاع

قفصة بهدف الوصول إلى صفاقس، ولكن الهجوم توقَّف في منتصف المسافة بين قفصة والبحر المتوسط عند بلدة (المكناسي) توقُّفًا تامًا، بسبب عنف المقاومة الألمانية، وبرغم ذلك حقق الهجوم أحد أهدافه، وهو إجبار القيادة الألمانية على الاحتفاظ بالفرقة 10 البانزر في هذا القطاع، وعدم التفكير في دفعها في اتجاه الجنوب لمواجهة الهجوم الرئيسي للجيش الثامن على خط ماريث.

معركة خط ماريث

في يوم 20 مارس بدأ تقدُّم مجموعة التطويق التي كانت تتشكَّل من الفرقة 2 نيوزيلندية، واللواء 8 المدرع، وقوة لكلير الفرنسية من الجنوب إلى الشمال، وفي مساء اليوم نفسه بدأت الفرقة 50 من الفيلق 30 المكلَّف بالهجوم بالمواجهة على خط ماريث هجومها تحت ستر غلالة كثيفة من نيران المدفعية، ونجحت في إنشاء رأس كوبري ضيق داخل الدفاعات الألمانية، وخلال ليلة 21/ 22 مارس قامت الفرقة بتوسيع رأس الكوبري وزيادة عمقه، ولكن موقفها لم يلبث أن تحرَّج بعد أن اتضح أن القيادة الألمانية حشدت مجموعة قوية من قواتها للقيام بهجوم مضاد عليها؛ كانت تضم الفرقة 15 البانزر ولواء من الفرقة 90 الخفيفة ولواء من جنود المظلات (المشاة)، وفي ليلة 22/ 23 مارس قامت المجموعة الألمانية بهجوم مضاد قوي انتهى بانسحاب الفرقة 50، وقوات دعمها من رأس الكوبري الذي أنشأته.

وفي يوم 23 مارس قرر مونتجومري تعديل خطته بتحويل محور الهجوم الرئيسي إلى مجموعة التطويق التي تشمل الفرقة 2 نيوزيلندية، والقوات المدعمة لها لتتقدم على وجه السرعة إلى الخط (الحامة ـ قابس)، وقام بتدعيمها بالفرقة 1 مدرعة (من الفيلق 10 الاحتياطي التعبوي)، وأمر مونتجومري الفرقة 4 الهندية بالقيام بحركة تطويق قصيرة لخط ماريث على محور (حلوف ـ مطمطة)؛ لإيجاد طريق عرضي بين مجموعة الهجوم بالمواجهة ومجموعة التطويق، وقد استمرت الفرقة 1 مدرعة في التحرك بسرعة حتى

تمكّن يوم 26 مارس من الانضمام إلى مجموعة التطويق الأساسية (الفرقة نيوزيلندية وقوات دعمها).

وقد تطلّب تعديل الخطة الأصلية إعداد خطة هجوم عاجلة لمجموعة التطويق لاختراق (ممر طباقة) الذي يقع جنوب غرب (قابس)، وعلى الطريق الرئيسي المؤدي إليها، وهو مضيق لا يزيد اتساعه عن خمسة كيلومترات، فقد أفادت أنباء الاستطلاع أن القيادة الألمانية حشدت للدفاع عن هذا الممر قوة كبيرة من قوات المحور كانت تتشكّل من الفرقتين الألمانيتين 164 مشاة والفرقة 21 البانزر، وعدة كتائب مشاة إيطالية، وكانت كتائب المشاة تتحكم بنيرانها على الممر عن طريق احتلالها للتلال المشرفة على جانبيه، بينما تسترها من الأمام موانع قوية من الألغام، وفضلاً عن ذلك تم إعداد الفرقة 21 البانزر للقيام بهجوم مضاد على أية قوة بريطانية تحاول اختراق هذا الممر الحيوي.

وكانت خطة الهجوم التي وضعها مونتجومري على ممر طباقة تتضمن ما يلي:

1. مجموعة التطويق (الفرقة 2 نيوزيلندية، ووحدات دعمها) تقوم بالهجوم على الممر على مواجهة ضيقة للغاية بهدف فتح ثغرة لمرور الفرقة 1 مدرعة (من الفيلق 10).
2. الفرقة 1 مدرعة بمجرد فتح الثغرة تتقدم بأقصى سرعة، وبأقصى عمق في الإمكان بهدف عبور الممر بأكمله، والوصول إلى الأرض المفتوحة شرقه قبيل الفجر.
3. يبدأ الهجوم الساعة 1600 (الرابعة عصرًا) على أن تسبقه بساعة واحدة فقط تحضيرات قوية من نيران المدفعية، وهجمات جوية عنيفة على المواقع الدفاعية بالممر.
4. الفيلق 30 يقوم بهجمات خداعية في القطاع الساحلي من خط ماريث؛ لجذب انتباه المدافعين إلى هذا القطاع.

5. الفرقة 7 المدرعة (من الفيلق 10) تتحرك خلف المواقع الأمامية؛ لخداع القيادة الألمانية عن اتجاه الهجوم الرئيسي.

هذا وقد تم اختراق ممر طباقة بالطريقة التالية:

- بدأت الهجمات الجوية العنيفة على الممر خلال ليلة 25/ 26 مارس، واستمرت حتى الساعة الثالثة بعد ظهر يوم 26 مارس عندما بدأت تحضيرات المدفعية التي سبقت عملية الهجوم بساعة واحدة، وفي الوقت نفسه قامت الفرقة 2 نيوزيلندية من مجموعة التطويق بالتحرك إلى خط التشكيل استعداداً لبدء الهجوم، وتم ذلك كله في أثناء عاصفة رملية شديدة.
- في الساعة الرابع عصراً بدأ هجوم الفرقة 2 نيوزيلندية وفقًا للخطة الموضوعة، وعندما حلّ المساء كانت الفرقة قد استولت على جميع أهدافها، وفتحت الطريق للفرقة 1 مدرعة التي اندفعت بسرعة مخترقة الممر للوصول إلى الأرض المفتوحة، ولكنها لم تستطع مواصلة التقدم إلى (قابس) لقطع خط الرجعة على قوات المحور؛ بسبب هبوب عاصفة رملية شديدة.
- في صباح يوم 27 مارس أخذت الفرقة 2 نيوزيلندية في تطهير مواقع قوات المحور على جانبي الممر، بينما اصطدمت الفرقة 1 مدرعة عقب خروجها من الممر بستارة من المدافع المضادة للدبابات من عيار 88مم عند بلدة (الحامة) التي تقع غرب مدينة قابس بنحو 30كم.
- كانت القيادة الألمانية قد حاولت تعزيز قواتها بالممر بإرسال الفرقة 15 البانزر، ولكنها لم تتمكن من الوصول إلى الممر في الوقت المناسب.
- عندما أدركت القيادة الألمانية حقيقة الوضع المتدهور لقواتها في الممر أصدرت أمرها بانسحاب هذه القوات، والتخلي عن الممر.
- خلال ليلة 27/ 28 مارس وفي إثر استيلاء قوات الجيش الثامن على ممر طباقة

أصدرت القيادة الألمانية أمرها إلى قوات المحور في خط ماريث بالانسحاب العام من جميع المواقع.

- في يوم 29 مارس تم استيلاء الفرقة 2 نيوزيلندية على قابس، بينما دخلت الفرقة 1 مدرعة (الحامة).

وقد أمر مونتجومري الفيلق 30 بمطاردة قوات المحور في أثناء انسحابها من خط ماريث، ولكن قواته لم تتمكَّن من اللحاق بها؛ نظرًا لحقول الألغام التي كانت تمتد بكثافة أمام مواقعها الدفاعية.

هذا وتعد معركة خط ماريث من أفضل الأمثلة لتطبيق مبدأ المحافظة على المبادأة، فقد أمكن لمونتجومري تحقيق هذا المبدأ الحيوي بتحويل ثقل الهجوم بسرعة إلى النقطة الضعيفة في جبهة العدو، وكانت هي وقتئذ الدفاعات الموجودة بين الحامة وقابس، ولم يكن ذلك متيسِّرًا إلا بفضل وجود القوة الاحتياطية المخصصة لهذا الواجب، وهي الفيلق 10 (الاحتياطي التعبوي).

وقد جرى لأول مرة في هذه المعركة تطوُّرًا مهمًّا في تاريخ الحرب في شمال أفريقيا؛ إذ قامت القوات الجوية التابعة للحلفاء بواجب المعاونة المباشرة للقوات الأرضية في أثناء قيامها بالهجوم، وبذا تم تمهيد الطريق لتغيير جوهري في استخدام المقاتلات.

وكانت القيادة الألمانية قد أعدَّت خط وادي العكاريت ليكون خطًّا دفاعيًّا تاليًّا لخط ماريث، وهو الأمر الذي جرى بالفعل عقب استيلاء الجيش الثامن على ممر طباقة، مما أجبر هذه القيادة على إصدار الأمر بالانسحاب العام من خط ماريث، هذا ويقع وادي العكاريت إلى الشمال من منطقة قابس ـ الحامة في الثغرة التي تقع ما بين البحر المتوسط وشط الجريد، والتي تمتد مسافة تبلغ حوالي 25كم، وتوجد على الجانب الشمالي للوادي سلسلة من التلال المرتفعة التي تسيطر تمامًا على الأرض المفتوحة في الوادي، ولذا كان خط وادي العكاريت يعد موقعًا دفاعيًّا طبيعيًّا، وقد أمرت القيادة الألمانية

بوضع الفرق الإيطالية المشاة المنسحبة من خط ماريث في المواقع الدفاعية بوادي العكاريت، بينما احتفظت بالفرقتين الألمانيتين 15 البانزر و90 الخفيفة في الخلف كاحتياطي تعبوي.

الباب الثاني

الصراع بين ثعلب الصحراء وقوات الحلفاء

شهادة
الفيلد مارشال سير كلود أوشن ليك
القائد العام للقوات البريطانية في الشرق الأوسط
1941ـ 1942

هناك خطاب كان من الضروري ـ كما أعتقد ـ أن أرسله إلى قادتي المرؤوسين في ميدان القتال، حيث كان مجرد ذكر اسم روميل يعني صفات وخصائص سحرية يتخيَّلها جنودنا عنه في أذهانهم، ولا يمكن بالطبع أن يحصل قائد العدو على مثل هذا الإعجاب إلا إذا كان يحظى بشخصية غير عادية، ولاشك في أن روميل كان يحظى بشخصية غير عادية.

إن ألمانيا أفرزت العديد من الجنرالات، ولكن روميل كان دائمًا في طليعتهم، حيث إنه استطاع الخروج من نطاق العقلية الألمانية العسكرية المتحجِّرة إلى نطاق آخر جعله سيد الابتكارات الحربية.

كنت أعتقد أن الضباط الألمان (الأصاغر) في الفيلق الأفريقي، وقادة الفصائل وقادة السرايا والكتائب أفضل في التكتيك الحربي من رجالنا، غير أن هذا لم يكن قصوراً منهم بل إنه يرجع إلى عدم تلقِّيهم التدريبات الكافية في جيشنا في وقت السلم، ولكن في أثناء الحرب تفوق ضباطنا على الألمان؛ بسبب الضغوط والأجواء التي تحيط بالمعركة، مما طوَّر غريزتهم التكتيكية، ولكن على مستوى الرتب الأكبر يظل روميل القائد الأكثر بروزًا في ميدان القتال، وأنا أشهد بنفسي على مرونته، وسعة حيلته، وقدرته الذهنية، وشدة ذكائه، ولهذا يجب دراسة شخصيته حتى تكون مادة لتدريب شبابنا على أساليبه الحربية، وتعليم ضباطنا فن القيادة، أما عن اتصالاتي الشخصية بروميل فكانت من

خلال الفيلق الألماني الأفريقي في حملات عامي 1941ـ1942 في الصحراء الغربية عندما كان الجيش الثامن البريطاني تحت قيادة الجنرال أوكنلك، ولكن بعد قراءة قصة حياة روميل في سنواته الماضية والأخيرة اكتشفت أن الفكرة التي كونتها عنه خلال المعارك بين بني غازي والإسكندرية كانت خاطئة، فإنه شخص بسيط للغاية، ومرتبط جداً ببيته وأسرته (زوجته ونجله الوحيد).

حينما كنا الذين قاتلنا ضده نتصور أنه ضابط من فئة اليونكرز، ومن الذين أفرزتهما الآلة البروسية الحربية الرهيبة، والجدير بالذكر أن روميل جعلني وكل قادتي المرؤوسين في حرب الصحراء نعيش لحظات عصيبة مليئة بالقلق والتوتر أثناء الحرب، وكنا نبذل كل جهودنا لتدميره هو وقواته؛ إذ لم يكن يتردد في بذل كل ما في طاقته لتدمير عدوه، ولم يكن يُظهر أية رحمة في ذلك، ولم يكن ينتظرها من أحد، وعلى الرغم من كل معاركه معنا فإنني لم أستطع أبداً الشعور شخصياً بكراهته كعدو برغم مقتي وكراهيتي الشديدة للنظام النازي الرهيب الذي حارب روميل وبذل روحه من أجله.

وإنني بعد وفاته أشعر بوجوب تحيّتي له كجندي شريف، وكقائد عظيم، وأدين بشدة الطريقة الدنيئة التي اتّبعها هتلر لقتله.

هل حقَّق مونتجومري
أهدافه في معركة العلمين؟

هنـــاك اعتبارات معينة جديرة بالبحث والدراسة، فقد كانت قوات الطرفين على اتصال مباشر لمدة أربعة أشهر قبل المعركة، وقد حاول كلا الطرفين الاستعداد لهذه المعركة بكل وسيلة ممكنة، وكانت المشكلة الرئيسية التي واجهتهما هي مشكلة الإمداد والتموين، وكان من المعروف جيدًا أن الطرف الذي يسبق خصمه في سباق الإمداد والتموين هو الذي سيبدأ بالهجوم.

وانهالت الإمدادات على الجيش الثامن البريطاني، وتدفَّقت المعدات الأمريكية إليه بشكل لم يسبق له مثيل، ولم تتمكَّن القيادة الألمانية مجاراة هذا التدفُّق، حيث كان الميدان الروسي في ذلك الوقت يستنزف معظم مجهود ألمانيا الحربي، علاوة على الخسائر الفادحة التي أُصيبت بها سفن المحور في البحر الأبيض المتوسط أثناء محاولتها نقل الاحتياجات التموينية والمعدات إلى قوات "روميل" في شمال أفريقيا، وكان من البديهي أن ينتقل التفوق الساحق نتيجة لذلك إلى جانب البريطانيين، بينما لم يتمكَّن "روميل" من دعم قواته الألمانية (فرقه الأربعة) بأي قوات أخرى إضافة إلى أن الفرق الإيطالية التي كانت تحارب معه لم تكن في المستوى الذي يسمح لـ"روميل" بالاعتماد عليها اعتمادًا كليًّا.

وشعر "روميل" بأن التفوُّق أصبح إلى جانب القوات البريطانية، ولذلك عمد إلى تقوية مواقعه الدفاعية، وتكثيف حقول الألغام أمامها، كما احتفظ بجميع قواته المدرعة في الاحتياطي بالقطاعين الشمالي والجنوبي حتى يمكنه دفعها في الوقت المناسب إلى المكان المحتمل للهجوم البريطاني.

أما من ناحية "مونتجومري" فقد فكَّر مليًّا في الاستفادة من ذلك التفوُّق الساحق الذي تحقَّق لقواته، كما فكر في طبيعة الأرض بمنطقة العلمين، حيث تقف قوات خصمه بين مانعين طبيعيين قويين (البحر المتوسط شمالاً، ومنخفض القطارة جنوبًا)،

وقد وجد أن فرصته نادرة، ولا يمكن أن تتوافر له مرة أخرى، فهو يعلم جيدًا أن قوات المحور تتفوّق على قواته في المعارك المتحركة خفيفة الحركة، كما أن مستوى تدريب قيادات قوات المحور على هذا النوع من المعارك أفضل بكثير من مستوى تدريب قياداته، وعلاوة على كل هذا فإن "روميل" بالذات لا يجاريه أي قائد آخر في خبرته بالعمليات الصحراوية المتحركة التي تعتمد أساسًا على المناورة وخفة الحركة، ولذلك قرر "مونتجومري" أنه من الضروري استغلال تفوقه الكبير في ضرب قوات المحور ضربةً واحدة كبرى للقضاء عليها بأكملها، وهي محصورة في منطقة العلمين مع عدم إتاحة أي فرصة لها للانسحاب حتى لا تعود لـ"روميل" الحرية في مزاولة مناوراته البارعة في الأراضي المفتوحة الواقعة في الغرب، وكان قرار "مونتجومري" هذا متمشيًّا مع الخطة الاستراتيجية للحلفاء، حيث إن القضاء على قوات "روميل" نهائيًّا يُمكّن القوات الأمريكية ـ البريطانية من النزول على ساحل أفريقيا الشمالي في الموعد المخصص لذلك، وهو يوم 8 نوفمبر، وبهذا يتسنّى للحلفاء السيطرة على شمال أفريقيا بأكمله، ويتم بذلك تطويق قلعة "هتلر" الأوروبية من الجنوب.

هذه هي الاعتبارات العامة التي سيطرت على تقدير الموقف لكلا الجانبين، وقد تحددت أهداف كل منهما طبقًا لذلك، ولهذا انحصرت تلك الأهداف فيما يلي:

- بالنسبة للبريطانيين يجب القضاء على جميع قوات المحور وهي في منطقة العلمين.
- بالنسبة للمحور يجب الدفاع عن منطقة العلمين ضد أي هجوم بريطاني.

إلاّ أن وجهة نظر "روميل" تختلف مع وجهة نظر القيادتين العليا الألمانية والإيطالية في الاستمرار في الدفاع، فقد كان من رأيه أن ينسحب في الوقت المناسب حتى لا تتعرض قواته للفناء، وبذلك يعود لعملياته السابقة من حيث تقصير خطوط مواصلاته، وإطالة خطوط مواصلات البريطانيين، أما القيادة العليا الألمانية والإيطالية فقد صممتا على أن تصمد قوات المحور، وتدافع في العلمين إلى النهاية، وقد أصدرتا أوامرهما بذلك.

وعلى الرغم من التفوق البريطاني الساحق في الأفراد والمعدات، وعلى الرغم من أن الخطة التي وضعها "مونتجومري" كانت تهدف إلى تدمير كامل لقوات المحور، وهي في منطقة العلمين فقد اعترضت تنفيذ هذه الخطة عدة عقبات خطيرة؛ بسبب براعة "روميل" في القيادة، وارتفاع مستوى تدريب قواته، وكفاءة قواته القتالية في العمليات، وكانت العقبة الأولى التي واجهت "مونتجومري" هي فشله في اختراق مواقع المحور الدفاعية في هجومه الأول ليلة 23/ 24 أكتوبر، مما أدى إلى توريط قواته المدرعة فيما بين حقول الألغام التي عبرتها، ومواقع المحور الدفاعية التي صمدت تجاه الهجوم البريطاني، وقد تكبَّدت القوات البريطانية المدرعة خسائر فادحة؛ بسبب هذا الموقف، واضطرت القيادة البريطانية إلى سحبها ثانية شرق حقول الألغام، كما اضطرت إلى مواصلة القتال المتلاحم في منطقة الاختراق عدة أيام من دون أي نتيجة تُذْكَر، وفي النهاية اضطر "مونتجومري" إلى تعديل خطته بعد أن أوشكت القوة الدافعة لهجومه أن تتوقف.

وعلى الرغم من النجاح الذي أحرزه "مونتجومري" في هجومه النهائي إلاّ أن "روميل" كان بارعًا في مواجهة تطورات الموقف، على الرغم من قرارات القيادة العليا الألمانية والإيطالية المعاكسة، ولذلك نجح في سحب جزء كبير من قواته المدرعة والآلية من دون أن تتمكن القوات البريطانية ـ على الرغم من تفوقها في البر والبحر ـ من أن تنزل بها هزيمة كبيرة، مع أنها فقدت كل دباباتها تقريبًا، علاوة على أنها كانت تنسحب في أرض صحراوية مكشوفة لا تتوافر فيها أي وسائل للإخفاء أو الوقاية من الهجمات الجوية، ولا شك أن هذا الانسحاب يعتبر نموذجًا رائعًا قلما يحدث مثله في تاريخ الحروب، ويرجع الفضل الأكبر في نجاحه إلى عدة عوامل أهمها ما يلي:

أـ براعة "روميل" التكتيكية، وسرعته في اتخاذ القرارات.

بـ التدريب الجيد لقوات "روميل" المدرعة والآلية، وهي القوات التي كانت تستر انسحاب قوات المشاة، فقد تمكَّنت هذه القوات في كثير من المرات من تعطيل قوات تفوقها عددًا وعُدَّة لفترات طويلة.

ج- الروح المعنوية العالية لدى جنود المحور على الرغم من انسحابهم؛ وذلك لثقتهم المطلقة في قائدهم.

د- جمود التكتيكات البريطانية، وبطء القيادة البريطانية وحذرها الفائق الذي سبَّب ضياع فرص عديدة.

هـ- عدم اتِّباع سلاح الطيران البريطاني تكتيكات مناسبة في التعاون مع القوات البريطانية في عمليات المطاردة، مما أدى إلى فشله في إيقاع خسائر كبيرة بقوات المحور المنسحبة.

ونتيجة لما سبق نجح "روميل" في سحب الجزء الأكبر من قواته من منطقة العلمين، وبالتالي لم يتحقق هدف "مونتجومري" في تحطيم جميع قوات المحور في هذه المنطقة، وبالتالي وجد الجيش الثامن البريطاني نفسه في صراع جديد من أجل تعقُّب بقايا قوات المحور، والقضاء عليها، وظل في قتال مستمر وطويل طوال الأشهر التالية، وامتد ميدان القتال أمامه في مسرح عمليات شمال أفريقيا تدريجيًّا من الأراضي المصرية حتى وصل في نهاية الأمر إلى الأراضي التونسية، وضاعت على الجيش البريطاني فرصة الانتهاء من قوات المحور، والتفرُّغ لعمليات أخرى.

تطبيق الجانبين لمبادئ
الحرب في معركة العلمين

كانت معركة العلمين معركة فاصلة، استعرض فيها كلا الجانبين أقصى ما لديهما من البراعة في أساليب القتال، لذلك أمكن الخروج منها بعدة دروس، ومبادئ للحرب، أمكن تطبيقها في العمليات التالية، وما زالت هذه المبادئ صالحة حتى يومنا هذا. وهذه أهم المبادئ التي برزت في معركة العلمين التي لا يمكن ضمان النصر بدون تحقيقها.

1. **المفاجأة:**

على الرغم من أن الموقف لم يسمح لـ"مونتجومري" بتحقيق المفاجأة الاستراتيجية، إلاّ أنه استطاع تحقيق المفاجأة التكتيكية، وذلك بإخفاء حجم القوات، واتجاه وموعد الهجوم، وتم تحقيق مفاجأة قوات المحور عند بدء الهجوم ليلة 23/ 24 أكتوبر، وليس أدل على ذلك من أن "روميل" كان متغيِّبًا في برلين في ذلك الوقت؛ لاعتقاده أن موعد الهجوم البريطاني لم يحن بعد.

وكان من تأثير المفاجأة البريطانية أن قوات المحور لم تتمكَّن من توجيه أي هجمات مضادة كبرى ضد القوات البريطانية في المراحل الأولى من المعركة، وظل "روميل" في شك من اتجاه المجهود الرئيسي حتى يوم 26 أكتوبر، وبذلك ظلت قوات المحور المدرعة موزعة بين القطاعين الشمالي والجنوبي حتى هذا الوقت.

ونجح الجيش الثامن البريطاني حين انتهز فرصة اهتمام قوات المحور بهجوم الفرقة 9 الأسترالية في الشمال، ووجَّه ضربته الرئيسية بواسطة الفرقة 2 المشاة النيوزيلندية من الفيلق 30 في مكان يبعد كثيرًا عن المنطقة بعد أن تحركت معظم قوات فيلق أفريقيا (الاحتياطي المدرع) إلى أقصى الشمال لمواجهة هجمات الفرقة 9 الأسترالية، وبذلك استطاعت الفرق 2 المشاة النيوزيلندية أن تخترق دفاعات المحور اختراقًا تامًا في ليلة 1/ 2 نوفمبر.

ومن أمثلة المفاجأة في تلك المعركة ذلك الهجوم اللّيْلي الذي قام به البريطانيون ضد نقب حلفاية بدون معاونة من المدفعية ؛ إذ تمكنت القوات المهاجِمة بفضل المفاجأة من أسر ما يقرب من ستة أضعاف حجمها من جنود قوات المحور، علاوة على استيلائها على النقب من دون أي خسائر تُذكَر على الرغم من مناعته .

2. **الحشد:**

ما زالت القدرة على حشد أكبر قوة ممكنة في المكان والزمان المناسبين هي العامل الأول لكسب أي معركة من المعارك ، وخاصة إذا اشترك الحشد مع المفاجأة ، وقد أكدت معركة العلمين هذه الحقيقة تأكيداً تامًا ؛ إذ إن " مونتجومري " لم يكن لينجح في اختراق خطوط المحور في ليلة 1/ 2 نوفمبر لو لم يحشد لهذا الاختراق أكبر قوة ممكنة في الوقت والمكان المناسبين ، ومبدأ الحشد لا ينطبق على القوة العددية فحسب ، لكنه يتوقف كذلك على قدرة الأسلحة ، والمعدات المتيسرة وكفاءتها ، كما يتوقف الحشد بصورة أساسية على تقدير موقف دقيق للقائد وبُعد نظره ، ومراعاته لمدى احتياج قواته من المطالب الإدارية ، وخاصة في المناطق الصحراوية ، حيث يتوقف حجم القوة التي يستخدمها القائد على مدى استعداداته الإدارية .

ولقد حشد " مونتجومري " الفيلقين (10 ، 30) في أضيق جبهة ممكنة ، وقام بالهجوم بأربع فرق بمواجهة 10كم تعاونها نيران 800 مدفع ، ومن خلفها فرقتان مدرعتان ، ولقد كان هذا دون شك أعظم حشد أمكن تحقيقه في جميع عمليات الصحراء في ذلك الوقت ، وجاء مؤيداً لنظرية " مونتجومري " بالنسبة لاستخدام المدفعية والدبابات ، وكانت هذه النظرية تؤكد ضرورة استخدام هذين السلاحين في أعظم حشد ممكن حتى يمكنهما إظهار أعظم قوة لهما في المعركة ، وفي الوقت نفسه أحرز سلاح الطيران البريطاني التفوق الجوي الساحق ، مما أتاح الفرصة للقوات البرية لإعادة التجميع ، والقيام بالهجوم في الوقت المناسب .

ومن ناحية أخرى فإن " روميل " لم يكن لينجح في صد الهجوم البريطاني من ليلة 23/ 24 أكتوبر حتى أواخر ذلك الشهر لو لم ينجح في تحريك احتياطيه المدرع، وحشده في الأماكن المناسبة؛ لصد اختراق الجيش الثامن، وقد فشل بعد ذلك في صد الهجوم النهائي الحاسم للقوات البريطانية؛ لعجزه عن حشد احتياطياته في الوقت المناسب تجاه منطقة الهجوم.

3. المرونة وخفة الحركة:

لا يتحقق نجاح إتمام عمليات الحشد إلاّ إذا توفر للوحدات والتشكيلات قدر كاف من المرونة، وخفة الحركة، والقدرة على المناورة، حيث إن الحرب الحديثة في الأراضي الصحراوية تتطلب تحريك قوات كبيرة بأسلحتها، ومعداتها الثقيلة في أوقات محدودة.

لقد أثبتت العمليات أن المرونة عامل أساسي في عمليات الصحراء؛ نظراً لطبيعة الصحراء المفتوحة التي تتطلب قدراً أكبر من التحركات لمواجهة كل الاحتمالات، كما أن الصحراء يتعذَّر فيها تحديد اتجاه معين لتطور العمليات، ولذا يجب أن تكون كل الوحدات المقاتلة والإدارية على استعداد للتحرك في أي وقت من مكان لآخر طبقًا لما يتطلبه تطور أعمال القتال، وهذا بالتالي يؤكد أهمية تحويل كل الوحدات التي تعمل بالصحراء إلى وحدات آلية حتى لا تلاقي مصيراً مثل الذي لاقته فرق المشاة الإيطالية التي لم تكن لديها أي حملات بالقطاع الجنوبي في معركة العلمين.

لقد أثبتت عمليات المطاردة التي تلت معركة العلمين أن كثيراً من المعدات تحتاج إلى تطوير حتى تزداد سرعة تحرُّك الوحدات لمسافات طويلة، وقد أثبتت تلك العمليات أهمية وضع أسس جديدة لحل مشكلة الإمداد والتموين للقوات القائمة بأعمال المطاردة حتى لا تتقيَّد مرونتها بسبب مشاكل الإمداد، كما حدث للقوات البريطانية أثناء مطاردتها لقوات المحور في "برقة".

وأثبتت العمليات أيضًا في تلك الفترة كفاءة النظام الإداري الألماني الذي كان يتميز

على النظام البريطاني بشيئين مهمين، كان لها أكبر الأثر في توفير قدر أكبر من المرونة لدى قوات المحور؛ الشيء الأول: تحقيق قدر أكبر من الاكتفاء الذاتي، والشيء الثاني: تهيئ أفضل فرص لإصلاح العربات والمعدات المعطَّلة، ولذلك كانت قدرة القوات الألمانية على التحرك أكثر من قدرة القوات البريطانية، وهذا هو الذي مكَّن "روميل" من استخدام هذه القوات بمرونة تامة طوال فترة الانسحاب، وهي شبه منفصلة عن قواعدها الإدارية، فضلاً عن كفاءتها الفائقة في التحرك لمسافات طويلة في أزمنة محدودة.

4. **المبادأة:**

حصل "مونتجومري" على ميزة المبادأة في معركة العلمين، وحافظ عليها طوال سير العمليات، ولم يتحوَّل عن خطته الأصلية على الرغم من هجمات "روميل" المضادة بقواته المدرعة، فلم يتحول مرة واحدة عن خطته ليواجه أي هجمات مضادة ألمانية، ولم يتخذ إجراءات لمواجهة هذه الهجمات سوى ما يكفي لوقف خطرها، وعلى العكس من ذلك فَقَدَ "روميل" ميزة المبادأة منذ اللحظة الأولى، ولم يستطع أن ينتزعها من "مونتجومري"، كما كان يفعل في معظم معاركه السابقة ضد الجيش الثامن البريطاني، والوسيلة الرئيسية للمحافظة على المبادأة هي أن يكون لدى القائد احتياطي من القوات، والأسلحة والمعدات؛ لاستخدامه في توجيه ضربات مستمرة إلى خصمه في اتجاهات غير متوقعة.

تمكَّن "مونتجومري" من المحافظة على المبادأة لوجود احتياطي كبير من القوات والمعدات لديه، وقام باستخدامه لتوجيه ضربات مستمرة إلى خصمه في اتجاهات غير متوقعة، وقد مكَّنه من ذلك وفرة القوات لديه.

أما "روميل" فلم يكن لديه الاحتياطي الكافي من القوات لمواجهة الهجمات المتعددة التي قام بها "مونتجومري" في قطاعات الجبهة؛ إذ كانت معظم قواته الرئيسية (فيلق أفريقيا" قد تورَّطت في اتجاهات أخرى من جبهة القتال فعلاً؛ لقد فقد "روميل" المبادأة

لقلة القوات المتيسرة لديه ، ويقول "مونتجومري" في ذلك : "وعندما تجد قائداً يعيد تنظيم قواته أثناء مرحلة دقيقة من العمليات فهذا دليل على أنه سيكسب المعركة" .

5. **الخداع:**

لاشك أن للخداع دوراً مهمًا في العمليات العسكرية لإحراز النصر ؛ لذا عمد "مونتجومري" إلى وضع خطة واسعة النطاق لخداع قوات المحور عقب وضع خطة الهجوم مباشرة ؛ لعلمه بأنه لن يستطيع إحراز المفاجأة الاستراتيجية مباشرة ؛ لذلك استخدم كافة وسائل الخداع لإحراز المفاجأة التكتيكية ، وكان هدفه من ذلك تضليل العدو عن حجم قواته ، وموعد هجومه الرئيسي واتجاهه .

وبدأ "مونتجومري" في تنفيذ خطته بدءاً من منتصف شهر أغسطس 1942 ، فقد اتخذ الإجراءات لإظهار المنطقة التي ستحتشد فيها قوات الهجوم الرئيسي بالمظهر نفسه الذي ستكون عليه ليلة الهجوم ، وذلك بنشر جميع العربات الإدارية الزائدة عن الحاجة والعاطلة ، وكثير من العربات والأسلحة الهيكلية في المنطقة الأمامية للهجوم (منطقة الحشد الأمامية) ، وفي الليلة السابقة على الهجوم تم سحب هذه المعدات ليلاً إلى المناطق الخلفية على مسافة 50كم ، وتم إحلال جميع العربات والأسلحة والمعدات التي ستدخل المعركة بالفعل بدلاً منها ، وقد أمكن بهذه الطريقة حشد الفرقة 2 المشاة النيوزيلندية ، والفيلق 10 المدرع بالمنطقة الأمامية في اليوم السابق للهجوم من دون أن يفطن المحور إلى ذلك .

كما استُخدمت عربات هيكلية لإخفاء مدافع الميدان تحتها ، ومُوِّهَت الدبابات على شكل عربات حَتى لا تكتشف قوات المحور عدد المدافع والدبابات التي تم حشدها في منطقة الهجوم ، كما استمرت الفرقة 7 المدرعة طوال الأسابيع السابقة على الهجوم في القيام بعمليات تدريب واسعة النطاق بالقطاع الجنوبي حتى يوحي نشاطها بأن الهجوم الرئيسي سيوجَّه من ذلك القطاع .

وأُنشئت الخنادق والحفر والدشم اللازمة لاستيعاب قوات الهجوم الرئيسي بالمنطقة

الأمامية للهجوم، وذلك قبل موعد بدء الهجوم بشهر كامل، واتخذت الإجراءات لإظهارها، وكأنها محتلة بالقوات، بينما لم تحتلها القوات المخصصة للهجوم إلاّ قُبيل بدء الهجوم بمدة يسيرة، كما تمت جميع تحركات القوات المتخصصة للهجوم ليلاً، وكانت جميع أعمال الحفر الإضافية تتم ليلاً، وتُخفي، وتموّه قبل أول ضوء.

كما أُذيعت ليلة الهجوم معلومات من رئاسة أحد اللواءات المدرعة بطريقة توحي إلى العدو ـ إذا التقطها ـ أن القوات المدرعة البريطانية تتحرك نحو الجنوب.

واتُخذَت التدابير والإجراءات لإيهام قوات المحور بأنه ستتم عملية إنزال بحري على الساحلَ الشمالي على نطاق واسع خلف مواقعه الدفاعية على خط العلمين، وفي يوم الهجوم خرجت عدة سفن حربية بريطانية في الساعة 1600 من ميناء الإسكندرية واتجهت غربًا، وقد تم شحن هذه السفن بالجنود والدبابات على مرأى من عدد كبير من الناس الذين يُعْتَقَدُ أن بينهم بعض عملاء المحور، وقد عادت معظم السفن إلى الإسكندرية أثناء الليل إلاّ عدد قليل من سفن الإنزال كُلِّف بمهمة القيام بهجوم تظاهري مخادع على الساحل الشمالي خلف خطوط المحور الدفاعية على خط العلمين، وذلك باستخدام الهاونات والرشاشات والإشارات الضوئية مع قيام الأسطول البريطاني بتعزيز هذا الإنزال البحري بضرب مواقع المحور بالمدفعية، وقد حُدِّد موعد بدء هذا الهجوم من الساحل بحيث يكون بعد بدء الهجوم البري الرئيسي بثلاث ساعات على أمل أن يضطر المحور إلى الاحتفاظ باحتياطيه الموجود بالمنطقة الشمالية الساحلية لمواجهته.

ونجحت خطة الخداع هذه نجاحًا هائلاً حتى أن "روميل" نفسه كان متغيِّبًا في ألمانيا عندما بدأت معركة العلمين لاطمئنانه بأنه ما زال هناك بعض الوقت قبل موعد بدء الهجوم البريطاني المنتظر، علاوة على أن قيادة قوات المحور لم تفطن إلى الاتجاه الذي ستوجَّه منه الضربة الرئيسية، ولذلك اضطرت إلى تقسيم قواتها المدرعة إلى قسمين كاحتياطيات قوية أحدهما بالقطاع الشمالي، والآخر بالقطاع الجنوبي، بدلاً من تركيز هذه القوات أمام قطاع الهجوم الرئيسي.

الأسماء المذكورة

في معركة العلمين ومناصبهم

الاسم	الوظيفة
الفيلد مارشال سمطس	رئيس وزراء جنوب أفريقيا عام 1942 .
الجنرال آلن بروك	رئيس هيئة أركان حرب الإمبراطورية البريطانية .
الجنرال أوكنلك	قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط عام 1942 .
الجنرال هارولد ألكسندر	قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط عام 1942 بدلاً من أوكنلك .
الفيلد مارشال برنارد مونتجومري	قائد الجيش الثامن البريطاني في معركة العلمين 1942 .
الجنرال دي جويجانت	رئيس أركان الجيش الثامن البريطاني في معركة العلمين 1942 .
الجنرال هربرت ليمسدن	قائد الفيلق 10 البريطاني في معركة العلمين عام 1942 .
الجنرال بريان هوروكس	قائد الفيلق 13 البريطاني في معركة العلمين عام 1942 .
الجنرال أوليفرليس	قائد الفيلق 30 البريطاني في معركة العلمين عام 1942 .
الجنرال هيوجز	قائد الفرقة 44 المشاة البريطانية في معركة العلمين عام 1942 .
الجنرال نيكولز	قائد الفرقة 50 الهايلاندرز البريطانية في معركة العلمين عام 1942 .

الجنرال ويمبرلي	قائد الفرقة 51 المشاة البريطانية في معركة العلمين عام 1942.
الجنرال ريموند بريجز	قائد الفرقة الأولى المدرعة البريطانية في معركة العلمين عام 1942.
الجنرال جون هاردنج	قائد الفرقة السابعة المدرعة البريطانية في معركة العلمين عام 1942.
الجنرال جيت هاوس	قائد الفرقة 10 المدرعة البريطانية في معركة العلمين عام 1942.
الجنرال موريسهد	قائد الفرقة التاسعة المشاة الأسترالية في معركة العلمين عام 1942.
الجنرال بينار	قائد الفرقة الأولى المشاة جنوب أفريقيا في معركة العلمين عام 1942.
الجنرال فريبرج	قائد الفرقة الثانية النيوزيلندية في معركة العلمين عام 1942.
الجنرال فرانسيس توكر	قائد الفرقة الرابعة المشاة الهندية في معركة العلمين عام 1942.
الفيلد مارشال روميل	قائد جيش البانزر الأفريقي الألماني في معركة العلمين عام 1942.
الجنرال شتومه	قائد جيش البانزر الأفريقي الألماني في معركة العلمين عام 1942 أثناء رحلة علاج الفيلد مارشال روميل في ألمانيا.
الجنرال فون توما	قائد الفيلق الأفريقي الألماني في معركة العلمين عام 1942.

ميدان القتال بأخلاق الفرسان

اتسمت حرب شمال أفريقيا بأنها "حرب الفروسية" ، هذا ما قاله الجنرال هانز كرامر القائد الأسبق للفيلق الأفريقي الألماني لأحد مراسلي نيويورك تايمز بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها . تفاخر الفيلد مارشال روميل بنقاء سجل قواته العسكري ؛ إذ كان روميل يؤمن بالسلوك القويم للجندي وتقنين ذلك السلوك ، ولم يكن ذلك أمرًا دخيلاً على العسكرية الألمانية ، فقد كان ذلك هو العرف السائد بين الغالبية العظمى من الضباط النظاميين في الجيش الألماني ، وبشكل خاص بين هؤلاء الذين خدموا في الجيش قبل عام 1933 ، أما على مستوى الجنرالات فهناك قلة لابد من استثنائها في ذلك الشأن من هؤلاء أتباع الجيرالين كيتل وجودلز اللذين استحوذ عليهما ، واستغلهما هتلر ، واتبعا أوامره الشائنة حتى ولو لم يؤمنا بها .

كنا نعتبر أن الألمان نمط واحد وسلوك واحد ، وقد أخطأنا في ذلك ، فلم نكن نعلم العداوة والبغضاء بين قوات الدفاع الألمانية والنازيين ، ولم نكن نعلم احتقار وازدراء ومعارضة العديد من الجيرالات لهتلر ، كان اعتقادنا خاصة في الجيش أن الألمان فكرٌ واحد ، فكنا لا نميز بين نبلاء المجتمع الألماني ، وهنالك في بولندا وروسيا ارتكب الجنود الألمان الفظائع والأهوال وحرقوا الأخضر واليابس ، وساموا شعوبها سوء العذاب .

لكن الأمر لم يكن كذلك في أفريقيا ، فقد سارت الحرب في شمال أفريقيا على وتيرة مختلفة ومبدأ مختلف ، وكانت سلوكيات الجيش النظامي في شمال أفريقيا تختلف كل الاختلاف عنها في بولندا وروسيا ، واتسمت الحرب في شمال أفريقيا بنقاء ضحتها ، وبراءة مقاتليها ، وخلو سجلهم من جرائم الحرب ، وامتاز الألمان في شمال أفريقيا في الحرب العالمية الثانية عن الحرب العالمية الأولى ، فما سر ذلك الامتياز؟ ربما لأن القتال في الحرب العالمية الثانية لم يتسم بالمواجهة المباشرة بين الجنود ، وربما أيضًا لحسن العلاقة بين الضباط والجنود ، وكان مما تميزت به الحرب العالمية الثانية عن الحرب العالمية الأولى

في شمال أفريقيا أنه لم تُرتكَب جريمة قتل الأسرى على مستوى قوات الحلفاء والمحور على السواء.

على أية حال فقد اكتشف الإنجليز اعتزام الفيلق الأفريقي الالتزام بقواعد وأخلاقيات الفروسية في الحرب، ويرجع ذلك كله إلى القائد النبيل والحكيم إروين روميل، حيث كان مقاتلاً شجاعًا، وفارسًا نبيلاً، وقائدًا حكيمًا، فلقد اتبع الفيلق الأفريقي ليس فقط كقائد، ولكن أيضًا كمثل أعلى لجنوده، ولعل ما ساعد روميل في تنفيذ مذهبه النبيل في ذلك على حد قول الجنرال بايرلين نقاء الفيلق الأفريقي من قوات الحراسة الخاصة لهتلر (S.S)، فكان الفيلق الأفريقي ذا حظ عظيم، ولولا خلو الفيلق الأفريقي من تلك القوات لكانت العاقبة سيئة، فليس لجنرالات الجيش الألماني في الحرب السلطة على أفراد قوات الحراسة الخاصة التي تتلقى أوامرها فقط من قائدها هيملر رئيس الجستابو، ويعني ذلك أنهم يفعلون كل ما تشتهيه أنفسهم الوضيعة؛ أي كل ما هو إثم وعدوان، وكل ما يستطيعه القائد العسكري عند الاعتراض على سلوك أفراد هذه القوات أن يبلغ الجنرال هيملر فقط، وليس له أن يتخذ أي إجراء تأديبي إزاء سلوكياتهم المشينة، ولو كُتب النجاح لمحاولة اغتيال هتلر في العشرين من يوليو عام 1945 لاندلعت حرب أهلية بين قوات الجيش وقوات الحراسة الخاصة، ولكان أول هدف لقوات الجيش من تلك الحرب هو القضاء على قوات الحراسة الخاصة لهتلر، وبالرغم من أن الحرب العالمية الثانية كانت حربًا فروسيًا إلا أن جنود الجيش في شمال أفريقيا كانوا أفضل حالاً ممن حاربوا في ميادين أخرى، فلم يمسهم العار الذي لحق بغيرهم ممن ارتكبوا أشنع جرائم الحرب، وفي مقدمتها جريمة قتل الأسرى.

كان يحدث أحيانًا سوء تفاهم بين روميل وجنوده، فقد يحدث ما يضايقهم، ولكنه الأسر، فكانت هناك مواقف صعبة قد تثير غضب الجنود الإنجليز، فقد صدر على سبيل المثال أمر عسكري من الجانب الإنجليزي بألاَّ يتناول الأسير الألماني وجبة طعام قبل استجوابه، والنية في ذلك حسنة، فالأسير يكون مهتزًا نوعًا ما في ساعات أسره الأولى،

فإن استُجوب في هذه الساعات قد يمكن التوصل عن طريق استجوابه لبعض المعلومات التي تفيد الذين أسروه، والأمر بلا شك يختلف إذا تناول الأسير وجبة طعام وشراب ودخن سيجارة، حيث يساعده ذلك على تأهيل نفسه للاستجواب، مما يجعله يفكر فيما يقول، ولذا لا يُسمح للوجبة قبل الاستجواب، وقد يستغرق ذلك ساعة أو ساعتين.

كانت مثل هذه الأوامر لا تتعدى كونها أوامر شفوية، وليس في صالح الإنجليز أن تتسرَّب إلى معسكر الأسرى الألمان، وقد حدث أن مجموعة كبيرة من الأسرى الإنجليز كانوا قد انتقلوا في عربة لنقل الأسرى مسافة طويلة تحت شمس الصحراء الحارقة، وظلوا حوالي عشر ساعات بلا طعام أو شراب، وعندما وصلوا إلى معسكر الأسرى أصبحوا في أسوأ حالة، وكانوا في شوق شديد للطعام والشراب، وعندما تم عرضهم في طابور تحدث إليهم ضابط ألماني باللغة الإنجليزية، حيث قال: "اعتذر أيها السادة بتأخير الطعام والشراب عنكم، حيث أن ذلك هو ما سلكتموه مع الأسرى الألمان، فقد أصدرتم أوامر بتأخير الطعام والشراب عنهم حتى يصلوا القاهرة، وأنا بكل أسف سوف أضطر أن أتعامل معكم طبقًا لأوامركم، ولن يتغير موقفنا حتى يتغير موقف الجيش الإنجليزي تجاه أسرانا لديكم، ولن يُقدَّم لكم طعام أو شراب قبل وصولكم إلى بني غازي، وقد تغير الموقف الإنجليزي تجاه الأسرى الألمان بعد أن تناول الأسرى الإنجليز الطعام والشراب في منطقة درنة في صباح اليوم التالي.

وما هو أخطر من ذلك هو الأمر الذي وجه مكتوبًا في جيب ضابط من الكوماندوز الإنجليزي وقع بعد غارة فاشلة على (طبرق) في أغسطس 1942، فقد ترجم ذلك الخطاب إلى اللغة الإيطالية، وكان محتواه أنه إذا تعذر نقل الأسرى فلا مفر من قتلهم، وبالطبع أثار هذا الخطاب ثائرة الإيطاليين، وكان على ضابط الأركان الذي كتب هذا الخطاب أو أصدر هذا الأمر أن يضع في الاعتبار احتمال أسر من يحمله، وليس كونه مكتوبًا بالإنجليزية يعني ألا يوجد من يترجمه إلى الإيطالية، وبالتالي فإن العدو استطاع بالطبع معرفة النص بما يحتويه من معاني خطيرة، وقد وقع الخطاب بالفعل في أيدي العدو، وكان على ضابط الأركان الإنجليزي أن يدرك خطورة ما كتبه، وتكمن الخطورة

هنا في كيفية تعامل العدو مع الأسرى الإيطاليين . . لقد أضر ضابط الأركان الإنجليزي بأبناء وطنه ضرراً بالغًا بهذا الفعل غير المسئول ، وقد حدث مثل ذلك الحادث من قبل عندما أطلع العدو على أوامر الإنجليز بتقييد الأسرى ، وكانت النتيجة أنه بعد غارة ديبْ أن بعض الأسرى الإنجليز ظلوا مسلسلين لعدة شهور .

وكان أمر هتلر الصادر في الثامن عشر من أكتوبر من عام 1942 واضحًا ، وهذه بعض نصوصه :

الفقرة الأولى:

" من الآن فصاعداً يُقتل كل من يقع في أسر القوات الألمانية من أفراد كوماندوز العدو في أوروبا أو في أفريقيا ، سواء كان أفراد الكوماندوز مسلحين أو غير مسلحين ، وسواء تم إنزالهم بحرًا أو جواً. وينطبق ذلك أيضًا على من تظاهر بالاستسلام منهم للألمان عند القبض عليه " .

الفقرة الخامسة:

" ولا ينطبق هذا الأمر على جنود العدو الذي يتم أسرهم في المعارك المفتوحة ، وذلك في إطار المعارك المفتوحة ، ويتحمل المسؤولية القانونية طبقًا لأحكام القوانين العسكرية ؛ أي يعاقب بالإعدام كل من يرفض أو يتهاون في تنفيذ هذا الأمر ، أو يهمل في التنبيه على مرؤوسيه بما جاء فيه " وقد وقَّع هذا الأمر أدولف هتلر .

وفي هذا الصدد تم استجواب الجنرال سيجفريد ويستفال (Siegfried Westphal) وذلك في محاكمة الثامن عشر من يونيو في نوريمبرج (Nuremberg) عقب انتهاء الحرب :

س : لقد كنت في الفيلق الأفريقي لأكثر من عام ونصف كيف كانت تدار الحرب هناك؟

ج : كانت تدار بشجاعة وشهامة وفروسية ، كانت إدارة لا عيب فيها .

س : من كان قائدك؟

ج: الفيلد مارشال روميل.

س: هل أمر أو سمح بتجاوز قوانين الحرب؟

ج: أبدًا.

س: ماذا كانت مهمتك معه؟

ج: كنت مساعده، كنت دائمًا على اتصال به على المستوى الشخصي وعلى المستوى المهني.

س: هل تعلم الأمر التي أصدره هتلر في الثامن عشر من أكتوبر من عام 1942؟

ج: نعم.

س: هل تسلمتم الأمر؟

ج: نعم لقد تسلمناه من ضابط الاتصال في الصحراء بالقرب من سيدي براني.

س: كيف تصرف روميل عند تسليم هذا الأمر؟

ج: كنت أنا والمارشال روميل بجانب سيارتنا، واقترحت ألا ننشره فقمنا بحرقه، وعلى الفور حيثما كنا نقف، وكان الدافع ما ذكر في مقدمة الأمر، وهو كما يلي: "لقد انتهك العدو اتفاقيات جنيف بتبني أساليب غاية السوء في المعركة، فقد تعاملوا بوحشية مع من أُسر من جنودنا، فلم يكتفوا بتصفية الأسرى، ولكن قاموا بقتلهم، ولم يسلم من ذلك الأسرى العزَّل، وكان الدافع في قتل الأسرى أنهم اعتبروا أن هؤلاء الأسرى قد يشكِّلون عبئًا أو عائقًا عليهم مستقبلاً، وقد حصلنا على أوامر (مع الأسرى الإنجليز) كانت توحي نصوصها أن قتل الأسرى أصبح مبدأ عامًّا ومتَّبعًا عندهم، فقد علمنا بما نشر من شعارات ضد الألمان: "أقتلوا الألمان حيثما وجدتموهم وقد علمنا بالكثير مما يفاقم الحرب"، لقد حصلنا على أمر صادر عن لواء مدرع إنجليزي، حيث يمنع الأسير الألماني من الشراب، ورغم ما ذكرته فقد منعنا نشر هذا الأمر بين مرؤوسينا حتى لا تتفاقم الحرب أكثر مما هي عليه، وتصل أعلى درجة لا تحمد عقباها؛ ذلك هو سبب حرق الرسالة في عشر دقائق بعد

تسلمها، ولكن لم يكن روميل هو أول من رفض تنفيذ ذلك الأمر، فهناك بعض القيادات ممن رفضوا تنفيذ الأمر. وقد تم استجواب الجنرال ويستفال عن حالة ابن أخ الفيلد مارشال هارولد إلكسندر.

س: هل يمكنك أن تسرد بإيجاز حادثة معركة الكوماندوز التي اشترك فيها ابن أخ الفيلد مارشال البريطاني هارولد إلكسندر.

ج: في خريف عام 1942 أُسر أحد أقارب المارشال إلكسندر خلف الخطوط الألمانية، وكان على رأسه كاب الفيلق الأفريقي، وكان يحمل مسدسًا ألمانيًا، وهو بذلك كان قد تخطى القوانين العسكرية، وكان المارشال روميل في أعقاب ذلك الحادث قد أصدر أمرًا بأن يُعامل طبقًا للأحكام العسكرية كغيره من الأسرى، ولم يدرك المارشال روميل تبعات قراره، ولم يقبل المارشال روميل المساومة في هذا الشأن، ولكن نجاة قريبه كان سببها أنه طبقًا للعرف العسكري أنه لا يقتل جنرال أحد أقارب جنرال من جيش العدو.

ولقد سمعت ما أمتع سمعي من روائع الروايات عن معاملة روميل لأسرانا، مما يزيد من نقاء صحيفته العسكرية؛ منها ما سمعته من العميد كليفتون قائد لواء نيوزيلندي عندما تقابل مع المارشال روميل، فقد اشتهر بحادث هروبه من الأسر عندما لحق بنا أسيرًا، فقد خطط قصة هروب شجاعة جدًا، فعندما كان كليفتون معنا في سجن الأسرى خطط للهرب بذكاء شديد، ونجحت خطته حتى الخطوة قبل الأخيرة. نزل من شباك في الدور الثاني إلى أقرب بقعة ممكنة من الظل على زاوية من الحائط، حيث تقع هذه الزاوية في ممشى أحد الحراس، ووقف مستقبلاً الحائط في هذا المكان الظليل تحت سلك شائك، استطاع أن يفر من السجن، ثم ظل يمشي على أقصى سرعة حتى وصل أقرب محطة قطار بونت كو كليو، وركب أول (Ponte d'qlio) قطار في الصباح إلى ميلان، ومن المحطة الرئيسية انتقل بواسطة الترام إلى المحطة الشمالية، ووصل إلى كومو (Como). اعتزم عبور الطريق المار بفيلا دست (Villa d'este)، كما فعلت أنا فيما

بعد حتى يعبر جبل يقوده إلى سويسرا. استأجر سيارة لنقله إلى المحطة حيث اختلف مع السائق على أجرة الركوب، وشك فيه اثنين من المارة، فقُبض عليه وعاد إلينا، حيث انتقل إلى معسكر مخصَّص لمحترفي الهروب، وسمعنا بعد ذلك أن أحاط به عدد من الجنود، وأطلقوا عليه الرصاص من كل جانب، وقيل أنه حاول الهرب من حارسين كان يجلس بينهما في عربة قطار، حيث فاجئهم بالقفز من شباك القطار عندما بدأ القطار في السير، وقد أطلق عليه الرصاص حيث أصيب في فخذه، ونقل إلى مستشفى ألماني حيث عالجه طبيب ألماني، وهو يراسله حتى الآن عرفانًا بالجميل.

قصص واقعية عن قضية الفروسية في الحرب

كان الفيلد مارشال أوكنلك والجنرال مونتجومري يعتنقان فكرة استضافة الجنرال قائد العدو الأسير، والترحيب به بعد انتصارهما في المعركة، وهزيمة هذا القائد المهزوم، ففي معركة العلمين استضاف الجنرال مونتجومري قائد الفيلق الأفريقي الألماني الجنرال فون توما، وتناول العشاء معه في ميس الضباط البريطانيين، وقد تعرض مونتجومري بعد هذا العشاء مع القائد الألماني لموجة من النقد، وقد سجل الجنرال الألماني فون رافن ستين قائد فرقة البانزر 21 قصة لقائه مع الفيلد مارشال البريطاني أوكنلك في القاهرة بعد وقوعه في الأسر، فقال: "عندما وصلت القاهرة، وذهبت إلى معسكر الأسرى بالعباسية استدعاني المارشال أوكنلك إلى مكتبه، وقد صافحني بحرارة، وقال لي: (أنا أعرفك بالاسم أنت وفرقتك لقد قاتلتم بفروسية، وأنا أريد معاملتك بأفضل ما في إمكاني)"، وقد سجل الجنرال فون رافن ستين قصة أخرى تدل على مدى حرصه على التعامل مع الإنجليز بفروسية، فقد قال: "قبل أن أترك القاهرة سمعت أن الجنرال البريطاني كامبل قد أنعم عليه بوسام صليب فكتوريا، فنجح في الحصول من قائد معسكر الأسرى على تصريح بالكتابه إليه وهو كما يلي:

العباسة 10 فبراير 1942

عزيزي الجنرال كامبل:

لقد قرأت في الصحف أنك كنت خصمي الشجاع في معركة الدبابات في سيدي رزق في 21 نوفمبر 1941. لقد كانت فرقتي الألمانية 21 بانزر المدرعة هي التي قاتلت في تلك الأيام الحارة ضد الفرقة السابعة البريطانية المدرعة التي كانت موضع إعجابي الكبير، وإن وحدتكم السابعة المعاونة من المدفعية الملكية البريطانية قد جعلت القتال بالنسبة لنا غاية في الصعوبة، وأنا أذكر قذائف مدفعيتكم الحديدية التي كانت تطير حول آذاننا بالقرب من المطار. إن زملاءكم الألمان يهنئونكم من أعماق قلوبهم لحصولكم على وسام صليب فكتوريا خلال الحرب هم أعداؤكم، ولكن باحترام شديد.. "

فون رافن ستين

ملاحظة: الجنرال كامبل لسوء الحظ قُتل في حادث انقلاب سيارته في بلدة بق بق بجوار مرسى مطروح، ولكنه استلم الخطاب، وطبع منه نسخًا عديدة، ووزعها في استلام وسام صليب فكتوريا (أعلى وسام حربي بريطاني).

ثبت أن الفيلد مارشال الأمريكي إيزنهاور يعتنق المبدأ العكسي، وهو عدم لقاء أي جنرال ألماني أسير بصورة ودية، وقد حافظ على هذا المبدأ طوال مدة الحرب إلا لقاءه مع الجنرال جودل كي يوقَّع شروط استسلام ألمانيا للحلفاء في (RHEIMS) بلا قيد ولا شرط، وأسره عام 1945 قائد عام القوات الألمانية في تونس، والذي وقع في الأسر بعد هزيمة بريدة، وقد حاول ضباط أركانه إقناعه باستدعاء الجنرال الألماني فون أرنيم، وهو في طريقه إلى معسكر الأسرى وفقًا للعادة القديمة المتبعة، ولكن إيزنهاور رفض بشدة هذا اللقاء.

وفي الواقع أن مبدأ لقاء القادة الأسرى والمهزومة كان في الأصل يرجع إلى القرن الثامن عشر، فقد كان الجنود المرتزقة ليس بينهم وبين خصومهم أية عداوة، ولذا فهم يقاتلون حبًا في القتل، أو انتظاراً لما سيغدق عليهم من أموال، وكان القائد الأسير يبقى شهوراً أو أسابيع لدى أسره معززًا مكرمًا باعتباره ضيف شرف يستحق التكريم، ولا

شك في أن الفيلد مارشال إيزنهاور يمتاز بالذكاء والنبل، ولديه الاعتقاد أن المنتصرين والمهزومين ينبغي أن يعيشوا وأن يعملوا معًا في العالم نفسه.

وقبل أن يتوفى بقليل الفيلد مارشال الراحل ويفل أرسل إلى السيدة أرملة المارشال الراحل روميل نسخة من محاضراته في فن القيادة، مسجلاً أنه يقصد بها ذكرى قصة الشجاع مثال النبل والشهامة والعبقرية العسكرية الفيلد مارشال إروين روميل.

تجربة حياة

الفيلد مارشال إروين روميل

على مدار نحو نصف قرن من الزمان منذ انقضاء الحرب العالمية الثانية، وفي الوقت الذي أفل فيه نجم الكثيرين من القادة العظام الذين شاركوا في هذه الحرب، سطع نجم الفيلد مارشال إروين روميل وذاع صيته، وكيف لا وقد حاز روميل إعجاب أنصار الفريقين الحلفاء والمحور، لا لمجرد مهارته وقيادته التي راح يستلهمها مَن بعده فحسب، بل ولفروسيته وجاذبية شخصيته أيضًا. لقد كان روميل في سماته الشخصية بعثًا لأخلاق فرسان القرون الوسطى، كما كان في براعته ودرايته بفنون الحرب أستاذًا من أساتذة الحروب الحديثة.

ورغم أن هناك من المراقبين من لا يرون في روميل براعة هائلة في تنظيم القوى الحربية، وتحريكها أثناء القتال، وينظرون إليه على أنه قائد ميداني يفتقر إلى الحس الاستراتيجي العالي، والتقدير الصائب للإمدادات اللوجستية التي يحتاجها جيشه، وأنه لا يصلح لأكثر من قيادة إحدى فرق الجيش تتعاظم الآراء التي ترى في روميل الجندي ذا النظرة الاستراتيجية واللوجستية الواضحة التي ينقاد إليها من حوله في خضوع، والقيادة الحكيمة والمتَّزنة للعمليات العسكرية الكبرى، فهو الجندي الذي أظهر اختلافه مع قادته ومعارضةً لسياسات نعدها اليوم غير ملائمة، وكشف تشاؤمه في الأيام الأخيرة من الصراع عن بصيرة وصدق حدس بالنتيجة التي ستؤول إليها الحرب.

لقد تميزت قيادة روميل بالجرأة، واستغلال عامل المفاجأة، والاستعداد لخوض الأخطار، والإحساس البديهي بميدان الحرب، ورغم ما كان يقابله غالبًا من معوقات تتمثل في ضعف الموارد المتاحة مقارنة بخصومه، وافتقاره إلى السيادة الجوية وضعف أجهزة مخابراته مقارنة بأجهزة المخابرات السرية لقوات الحلفاء فقد كانت هجماته ناجحة بفضل دهائه، كما تميز في دفاعه بسعة الحيلة، غير أن الإخفاق الذي صادفه روميل في النهاية كان راجعًا إلى نَواحٍ سياسية واستراتيجية وخارجة عن دائرة

مسؤولياته، ورغم هزيمته التي كانت بسبب غياب الوسيلة إلى تحقيق النصر، ومثل غيره من القادة العظماء الذين صادفوا الهزيمة كهانيبال ونابليون وروبرت إدوارد لي[1] فقد حظي روميل بشهرة فاقت معظم معاصريه.

وقد كان روميل محظوظًا عندما ترك الخدمة كضابط شاب في حرب الخنادق الساكنة على الجبهة الغربية، حيث المواجهة المكانية الجامدة إلى جبهات تسمح بقدر أكبر من الحركة، وإذا كان تَمتُّعُه بالحظوة لدى هتلر قد حقق له قيادة إحدى فرق المدرعات في حملة 1940 على بريطانيا وفرنسا فقد كان يمتلك من الرؤية والقدرة ما جعله ينتقل برجاله إلى الجبهة الأمامية لشن الغارات، وكذلك ترك القتال في سهول روسيا مترامية الأطراف إلى جبهة أضيق نسبيًا، وذلك عندما عمل بشيء من الاستقلالية في منطقة شمال أفريقيا، وكان من حسن حظه أيضًا أن تجنب الحملة الإيطالية غير الحاسمة، وليكون في موقع حاسم حين كان الحلفاء يغزون نورماندي على أن سوء الحظ قد صادفه أيضًا كثيرًا، فبعد أن نجا من الموت مرات عديدة حين كان يقود في المواجهات المختلفة لقي روميل حتفه على يد أحد طياري جيوش الحلفاء، والذي هاجم سيارته التي كانت تسير وحيدة في طريق موحش بين ليفاروت وفيموتييرز، وجاءت إصابته البالغة في توقيت حرج، حيث سبقت محاولة الانقلاب على هتلر في 20 يوليو 1944، وأخرجته من الحركة السرية لإحالته مكان الفوهرر الذي خسر الحرب، وتسبب بحماقته من وجهة نظر روميل في تدمير ألمانيا. لقد كان من سوء حظ روميل، وهو المحارب الذي تمثلت فيه أسمى المبادئ والصفات العسكرية، أن يعمل تحت إمرة سيد بغيض.

وعلى عكس الكثيرين ممن خدموا في المناصب العليا ذات السلطات والمسؤوليات الواسعة بفضل انتمائهم لطبقات اجتماعية عليا، أو بفضل ما حظوا به من تعليم خاص لم يكن روميل ينتمي إلى الطبقة الارستقراطية الإقطاعية البروسية (اليانكرز)، كما أنه

(1) روبرت إدوارد لي قائد عسكري أمريكي قاد القوات الجنوبية في الحرب الأهلية الأمريكية.

لم ينتم إلى الدوائر الداخلية في هيئة الأركان العامة، وكان انتماؤه لأي منهم كفيلاً بأن يسهل له الترقي في مناصب الجيش، بل كان والده وجده مدرسين؛ مدرسي رياضيات في مقاطعة فيرتمبرج، في حين كانت والدته تنتمي إلى أصول نبيلة. ولد روميل في هيدنهايهم بالقرب من أولم، في الخامس عشر من نوفمبر 1891، في أسرة لها خمسة أطفال، وكان قليل الحجم بالنسبة لسنه هادئ الطباع، وقد تمكن من اجتياز كافة اختباراته رغم أن درجاته كانت مرتفعة، ورغم ما كان يتمتع به والداه من احترام وتقدير فإنهما لم يحظيا بأصدقاء واسعي النفوذ، ومع ذلك فقد دخل روميل الجيش في التاسع عشر من يوليو 1910، حيث التحق أولاً بالكتيبة 124 مشاه في فينجارتن كطالب مستجد يتم تدريبه ليصبح ضابطًا بالقوات المسلحة (كاديت)، وبعد ترقيته إلى رتبة عريف في أكتوبر، ثم إلى رتبة رقيب في ديسمبر تقلد منصب ضابط بالجيش في مارس من عام 1911 في الأكاديمية الحربية في دانزينج، حيث التقى بلوتشياماريا مولين التي أصبحت فيما بعد زوجته.

تلقى روميل تدريبه في كتيبته كملازم ثان، حيث أظهر اهتمامًا بكافة النواحي العسكرية، وجدية في أداء مهامه، وكفاءة عالية في التدريب، كما تميز بميله إلى الإنصات إلى الآخرين، وترك التعصب إلى وجهة نظر بعينها، وأقام علاقة تتسم بالسلاسة مع جنوده، دون تهاون مع أي إهمال أو لا مبالاة في أداء المهام المكلَّف بها. لقد كان روميل عسكريًا معتدل المزاج، محبًا للعمل، ملتزمًا بأدائه بعناية على خير وجه، ولقد التحق روميل بكتيبة المدفعية الميدانية 49 في أولم في الأول من مارس 1914، ثم عاد إلى المشاة إثر نشوب الحرب العالمية الأولى.

وقد كشف القتال عن صفات أصبحت علامات تميز أداء روميل العسكرية في أول عمل عسكري في الثاني والعشرين من أغسطس أثناء تقدم الألمان نحو مارن، وخرج روميل مع فصيلته في مهمة استطلاعية بالقرب من لونجوى، وكان الجو وقتها شديد الضباب.

وفي الرابع والعشرين من سبتمبر أصيب روميل في فخذه، وذلك بالقرب من فارن، عندما هاجم ثلاثة جنود فرنسيين في غابة رغم خلو بندقيته من الذخيرة، وتلقى نوط الصليب الحديدي من الفئة الثانية، وبعد شفائه قاد فصيلته في التاسع والعشرين من يناير 1915 خلال الأسلاك الشائكة إلى موقع فرنسي، حيث استولى على أربعة منازل، وتمكن من رد هجوم مضاد قامت به كتيبة فرنسية، ثم انسحب، ولم يخسر من رجاله سوى عدد يقل عن عدد أصابع اليد، ومرة أخرى تقوده جرأته على الاختراق واستقلاليته في اتخاذ قراراته إلى تحقيق نتائج ملموسة، واستحق روميل نوط الصليب الحديدي من الفئة الأولى عن أعماله.

وبعد ترقيته إلى رتبة ملازم أول أصيب روميل مرة أخرى في ساقه، وبعد شفائه نقل في العاشر من أبريل 1915 إلى فيتمبرج - وحدة جبلية في طور التكوين - وكانت الكتيبة تتألف من ست سرايا من حملة البنادق، وستة من حملة المدافع الرشاشة، والتي تم تجميعها في تشكيلات مختلفة كفرق مهام خاصة، وفي هذه المهمة تحقق لروميل الوعي التام بأساليب التحرك، ونقل ميدان القتال بين الجبهات المختلفة.

وبعد تدريبات مكثفة على منحدرات النمسا تم نقل الكتيبة إلى جبال فوج الفرنسية، والتي كانت جبهة هادئة نسبيًا، وفي نوفمبر 1916 حصل روميل على إجازة تزوج أثناءها من لوتشيامولين في دانزينج، ومع نهاية العام انتقلت الكتيبة إلى رومانيا، حيث انضمت إلى فيلق الألب، وهو الفيلق الذي يضم قوات الحرب الجبلية.

على أن أداء روميل تجسد أكثر ما تجسد في عمليتين هجوميتين حققتا نجاحًا رائعًا، ففي يناير 1917 تسلل مع رجاله على مواقع للعدو خلال المياه المثلجة ليلاً حتى وصل إلى قرية جاجستي، حيث فتح النار على القرية، وتمكن من أسر 400 شخص، وفي أغسطس وبرغم إصابته في ذراعه فقد قاد أربع سرايا من كتيبته في صف واحد عبر الغابة، حيث استطلع موقعًا للعدو بالغ التحصين في مونت كوسنا، وهاجمه، واستولى عليه.

وقد ظهرت أعظم مآثره وبطولاته في الحرب العالمية الأولى في إيطاليا، حيث تم نقل كتيبته كجزء من الجيش الرابع عشر الألماني لمساعدة النمساويين في هجوم الخريف على آيزوتتسو، لقد كانت مهارة روميل وجرأته عندما استولى على الموقع الإيطالي في مونت ماتجور في نهاية أكتوبر هي التي حوّلت معركة كابوريتو إلى كارثة إيطالية لقي فيها الإيطاليون هزيمة نكراء، حيث وقع منهم 250000 أسير.

ورغم أن روميل واصل تقدمه على مدى خمسين ساعة دون راحة فقد استسلم لجسارته على الإقدام 150 ضابطًا و9000 جندي، و81 مدفعًا، ولكل هذا استحق روميل نوط التميز، والذي يمنح لكبار الجنرالات، كما تمت ترقيته إلى رتبة كابتن أو نقيب.

وبعدها بفترة قصيرة قاد روميل ستة من رجاله، وسبح في نهر بياف خلال ساعات الليل، ثم قام رجاله الذين لم يزيدوا على عدد أصابع اليد بفتح النار على قرية لونجارون من مواقع متفرقة، بعدها سار روميل في جسارته في القرية مطالبًا حاميتها، والتي أذعنت له بالاستسلام.

كان هذا أخر ما قام به من نشاط على جبهة القتال، وبعد فترة إجازة غاب خلالها عن الساحة عاد روميل للخدمة في مهام متعلقة بأركان الحرب، وكان قبل هذا قد بنى شهرته كقائد عسكري بفضل جرأته وإقدامه، وقدرته على الاستفادة من عنصر المفاجأة، وهي القدرة التي أذاعت صيته وتفوقه رغم أنه لم يكن بعد سوى ضابط صغير.

وقد كان روميل أحد أربعة آلاف ضابط نظامي، وهو العدد الذي سمحت به معاهدة فرساي، كما ترقى في المنصب فيما بعد خلال عملية إعادة توسعة الجيش الألماني، وخلال سنوات ما بين الحربين تعلم روميل كافة الأعمال التدريبية والإدارية بالجيش، كما ترقى في سلم الرتب، وتولى مسئوليات متزايدة أداها جميعًا بكفاءة عالية،

وقد شهد له زملاؤه بالتفاني الشديد في أداء عمله، والتفوق في كافة النواحي المتعلقة بالحياة العسكرية، وقدرته على بعث التفاني في جنوده.

وفي 1 أكتوبر 1929 عُيِّن روميل مدرسًا في مدرسة المشاة في دريسون، وخلال رحلته التي استمرت أربعة أعوام ألَّف كتابًا بعنوان "هجمات المشاة"، وفيه بيان بملاحظاته وخبراته العملية، وقد طبع من هذا الكتاب 400000 نسخة بيعت جميعًا في ألمانيا قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية، والذي حقق له ظهوراً واسعًا في الدوائر العسكرية، واجتذاب إعجاب أدولف هتلر.

وفي العاشر من أكتوبر 1933 تَرقَّى إلى رتبة (ميجور)، حيث صار قائدًا للكتيبة الثالثة - الكتيبة 17 مشاة - إحدى الوحدات الجبلية التي كانت تتدرب في جوسلر وبعدها بسنتين، وبالتحديد من الخامس عشر من أكتوبر 1935، تَرقَّى إلى رتبة (ليفتنانت كولونيل) مقدم، وصار مدرسًا في الكلية الحربية في بوتسدام، وتَرقَّى في 1937 إلى رتبة عقيد (كولونيل)، وكانت مهمته التالية إدارة الكلية الحربية في فينرنستدات منذ التاسع من نوفمبر 1938، غير أنه كان ينشغل بين الحين والآخر بمهام مؤقتة يُكَلَّف فيها بقيادة كتيبة الأمن المعنية بحماية هتلر، وقد رافق الفوهرر في سودتنلاند في تشيكوسلوفاكيا في أكتوبر 1938 وبراغ في 19 مارس 1939.

وفي الثالث والعشرين من أغسطس تَرقَّى روميل إلى رتبة ميجور جنرال (لواء)، ونقل إلى مقر هتلر، حيث اضطلع بمسؤولية سلامة الفوهرر، وعندما غزت المانيا بولندا كان روميل في موقع مراقبة الحملة من مستوى القمة، ثم انتقل إلى وارسو في الخامس من أكتوبر بعد استسلام البولنديين بأسبوع واحد.

وبعد عودته إلى برلين، انضم روميل إلى حاشية هتلر، رغم عدم اهتمامه بالسياسة، وقد لقى روميل استحسان هتلر، وكان إنكار هتلر للبنود الواردة في اتفاقية فارساي، والتي تحول دون توسعة الجيش قد حولت فتور العلاقة بين أفراد الجيش وهتلر إلى

تعاطف هائل، كما كان لسعيه لاستعادة ألمانيا لقواتها ومكانتها في العالم دوره في توطيد الحب الجارف والثقة الهائلة التي أبداها الألمان تجاه هتلر، ورغم ذلك فقد كان روميل أحد القلائل من بين أولئك الذين آمنوا بهتلر، وكان لهم تحفظات شديدة بشأن النازيين المحيطين به.

أما من جانب هتلر فقد كان يكن له الإعجاب، وذلك لأن روميل لم يكن من طراز اليونكرز البروسي الأريستوقراطي الذي يثير القلق في نفس هتلر، إضافة لكفاءته وتفانيه في أداء المهام المكلف بها، ولما كان هتلر على دراية بسجل روميل العسكري والمواجهات الحربية التي خاضها في الحرب العالمية الأولى فقد سأله عن الوظيفة التي يريد توليها، فما كان من روميل ـ والذي قد رأى أن الحرب الخاطفة في بولندا تثبت فعاليتها ـ إلا أنه تمنى عليه بالعمل في فرقة مدرعات، فما كان من هتلر إلا أن يجيبه إلى طلبه.

وفي الخامس عشر من فبراير 1940، اضطلع روميل بقيادة فرقة البانزر (المدرعات الألمانية) السابعة، ومركزها في جودسبرج على نهر الراين، وكان قد بلغ من العمر حينها 48 عامًا، وقبل أن يمر عليه ثلاثة أشهر صار على دراية بأقسام وحداته العسكرية وأفراد فرقته، وكيفية استخدام ما تمتلك يده من أدوات، ولقد كان أكثر ما يشغل روميل هو تقنيات التحرك، وكان سعيدًا أيما سعادة بالسرعة الكبيرة والمدى الواسع الذي تتميز به الدبابات، وعندما انتهت الحرب الخاطفة في الغرب نهاية طاحنة في 10 مايو 1940 كانت فرقة روميل متأهبة لاجتياح خطوط الأعداء.

لقد كان روميل يرى في قيادة الفرقة أسمى درجات التنظيم والتوجيه، حيث يقيم القائد جسور الألفة في أثناء القتال، ولذا فبدلاً من توجيه القوات من مركز القيادة في مؤخرة الجيش كان روميل يفضل أن يقود قواته من المقدمة، وكما كتب فيما بعد: "هناك لحظات لا يكون مكان القائد فيها في الخلف مع أركانه، بل في المقدمة مع قواته، فمن الهراء أن نقول أن رفع الروح المعنوية للجنود هي مسؤولية قائد الكتيبة وحده، فكلما علت رتبة القائد كان الأثر الذي يحدثه في النفوس أبلغ، فالجنود لا تميل إلى

الارتباط بالقائد الذي تعرف عنه أنه يظل قابعًا في مكتبه، فهم إنما ينشدون ما يمكن أن نصطلح على تسميته بالاتصال المادي بالقائد، ففي لحظات الخوف أو الإرهاق الاضطراب، أو عندما يطلب من الجنود القيام بمهام خارقة يصبح للنموذج الشخصي للقائد مفعول السحر في نفوس الجنود، خاصة إذا كان يملك ملكة القدرة على صنع هالة أسطورية حول شخصيته".

لقد كان روميل دومًا في طليعة الجيش يخوض أغوار المعارك وسط جنده، حتى أنه ليصف في مذكراته عن حملة 1940 في صراحة لا تفتقر إلى التواضع المخاطر التي تعرض لها بشخصه، ومنها أنه كاد أن يقتل في دبابته مرتين على الأقل، وذلك أثناء دفعه وحدات فرقته لشن هجوم حاسم يضغط به على مؤخرة الجيوش المعادية، مستغلاً عنصر المفاجأة ليشيع فيهم الاضطراب، وهو ما يؤدي في النهاية إلى شل حركة أعدائه، وكان يرى أن الهجوم إذا فشل فإنما يعود الفشل إلى التراخي في تنفيذ المهام.

وهكذا وبفضل النجاحات الطاغية التي حققها والسرعة المذهلة التي تميز بها، ووجوده في ساحات المعارك وسط جنده من وقت لآخر على نحو غير متوقع صار التشكيل الذي يقوده روميل يعرف باسم "فرقة الشبح"، بل وعرف روميل نفسه باسم "فارس النبوءة"، وقد جعلت منه الحملة بطلاً شعبيًا في ألمانيا.

كما نجحت حملة سيشلشنت، والتي بدأت هجماتها في 10 مايو منطلقة عبر إقليم الأردن متجهة نحو البحر في دحر القوات الفرنسية والبريطانية في بلجيكا، وفيها كان روميل في طليعة جيشه متجهًا غربًا عبر الجزء الشمالي من حدود لوكسمبورج دون أن يعرقل مسيرته أحد، ثم مخترقًا الحدود البلجيكية على الحدود على بُعد حوالي 30 ميلاً جنوب ليج مكتسحًا مقاومة بسيطة اعترضت طريقه.

وفي صبيحة الحادي عشر من مايو عبر روميل نهر أورز، حيث شتت شمل المقاومة الفرنسية التي واجهته حتى صار على ضفة نهر موز بالقرب من دينو، وذلك بعد ظهر

يوم الثالث عشر من مايو، وقد واجه صعوبات جمة في اجتياز النهر، لكنه قبل صُبيحة يوم الثالث عشر من مايو تمكن من العثور بنفسه على طريق عبر أحد السدود، وهو ما ساعده على عبور النهر لتكون فرقته أولى الفرق التي تصل إلى الضفة الأخرى البعيدة من النهر، حيث أقام قاعدة عسكرية لتأمين تقدمه على بُعد ميلين، وذلك عند مطلع فجر يوم الرابع عشر من مايو، ثم أسرع بالتقدم نحو الجنوب الغربي في اتجاه فيليب فيل، فقد أزاح من طريقه حامية فرنسية صغيرة في الخامس عشر من مايو، ومن ثم تمكن من اختراق امتداد خط ماجنو بالقرب من سيفري، وبذلك بدأ في التوغل في الأراضي الفرنسية، حيث استولى على مدينة أفني، والتي كانت تبعد عنه اثنى عشر ميلاً مع الساعات الأولى ليوم السابع عشر من مايو.

ثم اتجه بقواته بدون توقف تجاه الغرب نحو لاندريسيز، حيث عبر نهر سامبر عبر أحد الكباري الذي لا يزال حتى الآن موجوداً، ثم واصل المسير لمسافة 8 أميال حتى وصل إلى لوكاتو، حيث استولى عليها في السابع عشر من مايو، وكان روميل قد قطع خلال يومين مسافة 50 ميلاً، ثم استمر في تقدمه تجاه الغرب، وحاصر كامبراي، واستولى عليها حتى وصل إلى أراس يوم 20 مايو، حيث دخل في معركة لمدة ثلاثة أيام للاستيلاء عليها.

وفي الحادي والعشرين من مايو قامت قوة بريطانية صغيرة من الدبابات وبعض جنود المشاة مدعومة مجموعة من القوات الفرنسية بمهاجمة القوات الألمانية بقيادة روميل، وتسببت في أزمة سرعان ما تغلب عليها بفضل قيادته الديناميكية، غير أن هذا الهجوم بث الإحساس بالخطر في قلب القيادة الألمانية، وهو أحد العوامل التي دفعت هتلر وراندستد إلى اتخاذ القرار بوقف تقدم فرقة المدرعات.

وعندما ألغى هتلر القرار في السادس والعشرين من نفس الشهر تقدم روميل بفرقته نحو الشمال، ثم التف باتجاه الشمال الشرقي، ووجه ضرباته باتجاه مدينة ليل الفرنسية

حتى وصل إلى الضواحي الغربية من المدينة، وأغلق الطرق المؤدية إليها، وهو ما عجَّل بسقوط المدينة، وبعد أن وقع في يد روميل أكثر من 10000 أسير ومائة دبابة و27 مدفعًا صدرت الأوامر بالتوقف، وإعادة تنظيم القوات، وبالفعل قام روميل بسحب قواته لالتقاط الأنفاس، وإعادة التنظيم وطلب الإمداد، ثم صدر الأمر بسفر روميل للقاء الفوهرر في الثاني من يونيو الذي قابله بترحاب وبشاشة، وهو يقول له: "روميل لقد كنا في غاية القلق والخوف عليك أثناء الهجوم الذي تعرضت له قواتك".

في ذلك الحين كان الجيش الألماني قد دار للإجهاز على الجيش الفرنسي الذي دب فيه الضعف، وفي الساعات الأولى من الخامس من يونيو عبر روميل وفرقته (الفرقة السابعة مدرعات) منطقة السوم بين آبفيل وأميون، حيث اجتاز في طريقه أحد الجسور الذي لا يزال قائمًا حتى الآن، وعلى مدار أربعة أيام غطى روميل مسافة 60 ميلاً حتى وصل إلى ضفة نهر السين عند إلوف بالقرب من روي، وهناك في العاشر من يونيو قطع مسافة 60 ميلاً باتجاه الشمال الغربي حتى وصل إلى الساحل بين فيكامب وسان فاليري أون كو، حيث أعد كمينًا لقوات بريطانية وفرنسية تقوم بعملية إنزال، وفي الثاني عشر من يونيو استسلم حوالي 20000 جندي من هذه القوات – على اختلاف في الروايات – وقد قال له جنرال فرنسي كان بين القوات المستسلمة: "إنك تباغتنا بسرعتك التي لا طاقة لنا بها".

وبعد مرور ثلاثة أيام عاد روميل ليعبر نهر السين، وليستأنف تقدمه تجاه الجنوب والغرب، وكان هدفه هذه المرة هو شوربورج، لذا فقد زحف بقواته خلال أيفرو وفالايز ومليز إلى كوتانسي قبل أن يدور باتجاه الشمال إلى لاهاي دوبوي، واقترب روميل من المدينة الساحلية، وكانت سرعة القوات تتراوح بين 20 : 30 ميلاً في الساعة لتغطي أكثر من 200 ميل في يومين، وكان تقدم مسافة 150 ميلاً في يوم واحد هو أقصى مسافة تمكن قائد عسكري من قطعها في يوم واحد حتى ذاك الحين.

وفي السابع عشر من يونيو وصل روميل إلى ضواحي شيربورج في الوقت الذي كان

المارشال فيليب بيتان يريد التوصل إلى هدنة، وقد قَبِلَ روميل استسلام 30000 شخص باستسلام الحكومة الفرنسية في 19 يونيو.

انتقل روميل بعد ذلك صوب الجنوب إلى رين، والتي وصلها في الحادي والعشرين من يونيو ليواصل سيرته إلى الحدود الإسبانية للاستيلاء على الساحل الفرنسي للمحيط الأطلسي، بعد ذلك تراجع بفرقته إلى منطقة بوردو لمهام احتلالية.

وفي حملة استمرت ستة أسابيع وقع في يد روميل عدد هائل من الأسرى وصل إلى إجمالي 100000 جندي، وأكثر من 450 دبابة، في حين لم تزد الخسائر عن 682 قتلى، و1646 جرحى، و296 مفقودين، و42 دبابة. إن قائدًا عسكريًّا لم يشن حربًا خاطفة بمثل هذا الاتزان وهذه السرعة، والتأكد من تحقيق النصر كما فعل روميل، لقد عمت صور روميل كل ربوع ألمانيا، وصار اسمه تتناقله الألسنة.

وعلى الرغم من الدور الكبير والملحوظ الذي لعبه روميل في الحرب فإنه تأخر ستة أشهر حتى تمت ترقيته في يناير 1941 إلى رتبة "ليفتنانت جنرال" فريق، بعدها توجه في مغامرته في شمال أفريقيا التي ارتبط بها اسمه إلى الأبد، فقد أظهر روميل قدرته على إحداث نتائج مذهلة وغير متوقعة في ظل بيئة قاسية، ومن بين صعوبات أخرى كالعواصف الرملية، والمساحات الشاسعة، وتباين شديد في درجات الحرارة، وظروف غذائية سيئة عانى منها جنوده كثيرًا، ونقص في الوقود والذخيرة، وقوة صغيرة نسبيًا، لقد غيرت المهمة الجديدة نظرة روميل من نظرة تكتيكية حربية إلى منظور استراتيجي أشمل.

لقد كانت الأحداث على النحو التالي: بعد الحملة الإعصارية في غرب أوروبا، وإجلاء قوات التحالف من القارة الأوروبية، لاسيما في دانكريك، واستسلام فرنسا شنَّ هتلر معركة بريطانيا في كل الميادين التي لها وجود بها استعدادًا لغزوها، ولما كانت مواجهة الخصم وجهًا لوجه تقترب فقد فتح بنيتو موسوليني الذي دخل الحرب إلى

جانب هتلر في الهجوم على فرنسا جبهة جديدة، فقد تقدم جيشه الذي يقارب المليون جندي في ليبيا نحو مصر في سبتمبر 1940 ليواجه نحو 30000 جندي بريطاني، وكان الهدف الواضح هو الاستيلاء على مجرى قناة السويس، وبعد نجاحات أولية غير حاسمة توقف الإيطاليون عن زحفهم، ومع نهاية أكتوبر فتح موسوليني جبهة جديدة للحرب بغزو اليونان التي واجه فيها مقاومة بالغة.

وفي شمال أفريقيا حقق الهجوم البريطاني المضاد في التاسع من ديسمبر نجاحات وانتصارات مذهلة أدت إلى طرد الإيطاليين من شرق ليبيا، وعندما استنجد موسوليني بهتلر أرسل إلى إيطاليا وحدات من البحرية لمساعدة القوات البرية الإيطالية، ولحماية قوافل المحور في البحر المتوسط، وفي فبراير وضع هتلر تحت تصرف موسوليني فيلق أفريقيا الذي يتألف من فرقتين ألمانيتين جاهزتين للوصول على مراحل، ولتصبح في كل قوتها وعتادها قبل نهاية شهر مايو، كان المسئول عن هذه القوة الألمانية هو الضابط المرقَّى حديثًا روميل، والذي كان مطلوبًا منه أن يعمل تحت إشراف إيطالي، وأن تعمل تحت إمرته فرقتا مدرعات إيطالية، كانت مهمة روميل دفاعية أساسًا للحيلولة دون طرد الإيطاليين من شمال أفريقيا، وهو ما كان يخالف ميول ونزعة روميل.

وعندما وصل روميل طرابلس في الثاني عشر من فبراير 1941 كانت ليبيا قد سقطت تقريبًا في يد البريطانيين، ففي أقل من شهرين استولى البريطانيون على طبرق ودرنة وبنغازي عاصمة النصف الشرقي لليبيا (سيرنيكا)، والعقيلة التي تمثل مدخل طرابلس لقد تقدم البريطانيون حوالي 400 ميل تقريبًا صوب الغرب من قواعدهم، وسقط في أيديهم خلالها 130000 جندي إيطالي، و1300 مدفع، و400 دبابة، وعلى الرغم من أنه كان بمقدور الجنرال سير أرشيبالد ويفل قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط التوغل صوب طرابلس والاستيلاء عليها فقد جاء قرار الحكومة البريطانية بالتدخل في اليونان ليحرمه من أحد فيالقه، وليجبره على وقف هجماته، وهو ما كان غائبًا عن المحور، ولذا فلقد استنجد الإيطاليون بروميل لإنقاذهم.

كان روميل يفكر في أمور أكبر من المهام المكلف بها، ونظرًا لإصراره فقد أفرغت الوحدات الألمانية الأولى القادمة إلى ليبيا حمولتها بسرعة في الظلام، وتحت أضواء الكشافات أمر روميل ضباطه بالحيلولة دون دخول الإنجليز طرابلس، غير أن الموقف ظل مستقرًا بفضل بقاء البريطانيين في مواقعهم دون تقدم.

وفي التاسع عشر من مارس سافر روميل إلى مقر الفوهور، حيث تلقى ميدالية ورق السنديان لصليب الفارس تقديرًا لأعماله في فرنسا، وعرف منه ظروف عمله، لم يكن روميل ينتظر الحصول على تعزيزات، كما أن هتلر لم يكن ينوي توجيه ضربة حاسمة في شمال أفريقيا في المستقبل القريب. بعد يومين تلقى روميل أوامر بإعداد خطة لغزو شرق ليبيا، ووفقًا لكافة التوقعات لم يكن من الممكن أن يقوم روميل بأي غزو حتى تصل الفرقتين الألمانيتين كاملتين قبل بداية يونيو، غير أن روميل مستغلاً عنصر المفاجأة كما قال هو نفسه فيما بعد في بيان له: "لقد خاطرت رغم الأوامر والتعليمات الصادرة؛ لأن الفرصة كانت سانحة حينها". لقد تنبأ روميل أن المشكلة العظمى التي تواجهه تكمن في التغذية المستمرة لقواته؛ لأن القوات البريطانية من خلال اعتراضها للإشارات الألمانية بالغة السرية ـ وهي الحقيقة التي لم يكن يدركها روميل ـ دأبت على تدمير الكثير من وسائل النقل الخاصة بالمحور في البحر المتوسط، ومع وجود المخزون الكافي من الإمدادات المتوافرة حينها شن روميل غاراته المباشرة.

بدأت هجمات روميل في الحادي والثلاثين من مارس 1941، وسرعان ما تحول ما بدأه كحملة استطلاع إلى هجوم شامل أجبر روميل الإنجليز على التخلي عن العقيلة وترك بنغازي، ومع حلول شهر أبريل كان روميل مسيطرًا على جميع مناطق شرق ليبيا باستثناء طبرق التي استعصت عليه، رغم أنه تمكن من عزلها، حيث صار على الحدود المصرية، غير أن روميل لم يعد بمقدوره التقدم؛ لأن إمدادات قواته قد نفدت، وبالنسبة للجنرال ويفل الذي كان قد شن هجمات في يونيو من غير طائل على قوات روميل بضغط من تشرشل رئيس وزراء بريطانيا، فقد كان يمكن القول أن القوات

البريطانية لم تكن متورطة فقط في شمال أفريقيا، بل وفي اليونان وسوريا وبقاع أخرى في أفريقيا.

أما روميل الذي ترك العالم يتحدث عن انتصاراته فقد صار الآن قائدًا لفيلق البانزر في أفريقيا، والذي يتالف من فرقتين ألمانيتين، وأربع فرق مشاة إيطالية، وفرقتي مدرعات إيطالية مصبوغة جميعًا بنزعة روميل وروحه الهجومية، ولقد فاقت سمعة روميل الأفق، حتى أن سير كلود أوكنلك الذي حل محل ويفل في يونيو 1941 نصح ضباطه قائلاً: "إننا نتحدث كثيراً عن الصديق روميل"، فقد كان يأمل أن يتحدث جنوده عن روميل لا كساحر أو جني، بل كمجرد جنرال ألماني عادي، وهو ما لم يكن عليه الأمر.

في 18 نوفمبر 1941 شن أوكنلك هجماته التي عرفت باسم (كروسيدر) أو (الصليبي)، والتي أجبرت روميل الذي كان لا يزال يعاني من نقص الإمدادات على التراجع قبل نهاية الشهر، لقد اختار روميل التخلي عما كسبه من أرض لإنقاذ أرواح جنوده، وبسبب افتقاره للذخيرة والتعيينات الأساسية، فقد تخلى عن بنغازي قرب أعياد الميلاد، ومع تراجعه وتخليه عن أرض كل فترة وصل روميل في الثاني عشر من يناير إلى خط دفاعي (مرسى البريقا)، وفي تقهقره الأخير لم يتعرض روميل لخسائر في الأرواح أو العتاد، لكن معركة "كروسيدر" ككل كبدته خسائر تصل إلى 340 دبابة، وحوالي 38000 جندي ما بين قتيل وجريح ومفقود.

ثم أرسل هتلر المارشال ألبرت كيسلرينج وقوة جوية كبيرة إلى إيطاليا، ونظرًا للتفوق الجوي الذي حازه كيسلرينج على أجواء البحر المتوسط فقد تزايدت أعداد سفن المحور القادمة إلى روميل، وفي الخامس من يناير 1942 وصلت قافلة إلى طرابلس تحمل دبابات ومدافع وإمدادات، وبعد أن صار تحت إمرته جميع فيلق أفريقيا، والذي يتألف من جميع القوات الألمانية في شمال أفريقيا وقوامها فرق 15 و21 مدرعات، والفرقة 90 الخفيفة، بالإضافة إلى القوات الإيطالية في شمال أفريقيا قرر روميل شن هجوم جديد

قبل أن يدرك أحد سواء من الإنجليز والألمان أنه صار مستعداً، ولذا فقد أصدر أوامره في اليوم السابق على الهجوم لدواعي السرية.

تحرك روميل بقواته عشية الثاني والعشرين من يناير متقدمًا مسافة 30 ميلاً صوب العقيلة وما بعدها، وخلال أسبوع كانت بنغازي قد سقطت، وأعقبها بيومين سقوط درنة، ومثلما كان الحال مع بداية العام السابق فقد قاد الهجوم الذي شنه إلى تدمير وحدات وتشكيلات القوات البريطانية التي كانت تعاني من وقوعها تحت قيادة متخلفة، وهو ما رفع من معنويات روميل ورجاله أكثر وأكثر في مقابل انهيار الروح المعنوية لأعدائه، وقبل نهاية شهر يناير 1942 استولت الحملة على نصف المنطقة الشرقية لليبيا، وأعادت للموقف اتزانه مرة أخرى، في الوقت الذي كان فيه الجيش الثامن البريطاني يقوم بأعمال الحفر على طول "خط الغزالة"، وهو عبارة عن منطقة حقول ألغام ومواقع تحصين ممتدة من البحر المتوسط وحتى بير حكيم.

كلا الفريقين الآن أعد خططًا هجومية، روميل دفع أوكنلك لمهاجمته في الصحراء دون تأخير من جهته للظفر بالمجال الجوي في غرب ليبيا، والتي منها يمكن للطائرات أن تغطي الطرق البحرية للقاعدة البريطانية الهامة في جزيرة مالطا، ومن جانب أوكنلك فكان يدرك تمامًا مدى ما تعانيه جيوشه المختلطة من بلدان الكومنولث البريطاني من الضعف التقني والافتقار إلى التدريب، ولذا فقد كان يتمنى المزيد من الوقت حتى يتحقق له بناء تفوق كاسح، وفي النهاية ونظرًا للأوامر المباشرة الصادرة من لندن فقد تحدد موعد الهجوم البريطاني ببداية شهر يونيو، غير أن روميل بادر بالهجوم في السادس والعشرين من مايو، لقد كانت استراتيجية المحور - حسب ما هو متفق عليه بين هتلر وموسوليني - قائمة على ضرورة أن يهزم روميل الجيش الثامن البريطاني، ويتقدم إلى الحدود المصرية، وذلك لتحييد الجيش البريطاني هناك، وهنا يجب أن يتوقف روميل، ولتتحول جهود المحور إلى جزيرة مالطة للاستيلاء عليها، وبالتالي إنهاء عمليات قطع الإمدادات المحمولة بحرًا إلى روميل التي تقوم بها البحرية الملكية والقوات

الجوية الملكية البريطانية عبر البحر المتوسط، ولكن لسوء حظ روميل تم تأجيل عملية الاستيلاء على مالطة.

ثم تأتي عملية فينيسيا، وهي الهجوم الذي وجَّهه روميل ضد الجيش الثامن في خط الغزالة، والتي شهدت قمة الأداء من قبل روميل كقائد ميداني يتمتع بجرأة وإقدام رغم الظروف بالغة الصعوبة، ولقد تحقق له النصر بفضل سرعة بداهته، وذكائه في استغلال الفرص، وقيادته لجيشه من المقدمة في مقابل البطء، وإطالة التفكير، ونظام القيادة البريطاني البعيد عن ميدان المعركة، وعندما فشلت خطته الأولى بالدوران جنوب بير حكيم والإغارة شمالاً باتجاه البحر، وبالتالي عزل الجيش الثامن أسرع بإنشاء "رأس كوبري" خلال حقول الألغام البريطانية في مركز خط الغزالة من جهة الشرق؛ أي من الجانب البريطاني، وبعد أن اتخذ ساترًا في رأس الكوبري الذي أقامه خلف حاجز مضاد للدبابات تمكن من ردع الهجمات المضادة البريطانية المفتقدة إلى التنسيق، ثم أغار على الحامية العسكرية للخط من جنود المشاة شيئًا فشيئًا حتى قضى عليها بما في ذلك الحامية التابعة لجيش فرنسا الحرة في بير حكيم.

وفي الحادي والثاني عشر من يونيو 1942 خاض معركة بالدبابات جنوب طبرق في موقع صحراوي (الغزالة) كان البريطانيون قد أغاروا عليه في هجوم غير محكم، إلا أن روميل تمكن من إنزال خسائر بهم وصلت إلى 260 دبابة، بما يعني أنه قضى تمامًا على الجيش الثامن البريطاني، وفي الحادي والعشرين من يونيو، وفي هجوم مفاجئ تمكن من الاستيلاء على قلعة طبرق شبه المهجورة، والتي كان أوكنلك قد بناها بإلحاح من تشرشل بعد أن سقط في يده أكثر من 30000 أسير، وقد وصلت الأخبار إلى تشرشل، بينما كان في ضيافة الرئيس الأمريكي روزفلت في البيت الأبيض في لحظة قاسية رسخت داخل تشرشل مخاوفه تجاه روميل التي طالما استبدت به وزادت من رغبته الشديدة في الإيقاع به، ثم أصدر هتلر أمره بترقية روميل ليصبح أصغر فيلد مارشال في الجيش الألماني.

والآن وبعد أن صار روميل قائد فيلق مدرعات أفريقيا على الحدود المصرية، وطبقًا للاستراتيجية العامة المتفق عليها فإن هذه الحدود هي المكان الذي ينبغي عليه التوقف عنده كي تتركز كافة الموارد على مالطا، إلا أن النصر المذهل الذي حققه روميل في معارك خط الغزالة أغرته ـ وهتلر وموسوليني ـ بمحاولة احتلال مصر، ومن ثم باقي بلدان الشرق الأوسط، وبدأت تظهر على الأفق رؤى ربط القوات الألمانية في شمال أفريقيا بتلك التي في جنوب روسيا، أو التوغل شرقًا إلى الهند، ولذا قاد روميل جيشه المنهك والذي فقد منه الكثير في مطاردة صوب الإسكندرية، غير أن روميل اندفع وراء الجيش الثامن البريطاني الذي وصلته مؤخرًا تعزيزات تحت قيادة فيلد مارشال أوكنلك قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط، وذلك في الأول من يوليو 1942 في المنطقة بين العلمين ومنخفض القطارة، لكن هجمات روميل أخفقت أمام نيران المدفعية البريطانية المركزة، وفي التاسع من يوليو كرَّر أوكنلك هجومه المضاد والمدمر بطول الطريق الساحلي من خلال الفرقة التاسعة الإسترالية التي كانت قد أقصت فرقة صبراته الإيطالية وهزمتها هزيمة نكراء، بعدها شن أوكنلك هجمات مضادة متكررة موجهة بالضبط إلى التشكيلات الإيطالية والألمانية تحت قيادة روميل، وذلك بفضل نجاح الإنجليز في فك شفرة إشارات جيوش المحور، وقبل منتصف يوليو كان على روميل أن يستخدم قواته الهجومية جميعًا لمحاولة توحيد وإعادة التمسك إلى جبهته، وقد كتب روميل إلى زوجته: " لا يمكن للأمر أن يستمر على هذا النحو طويلاً وإلا انهارت الجبهة، لقد كانت هذه الفترة أقسى فترة خضتها في حياتي العسكرية " .

لذا لم يكن بوسع روميل اختتام انتصاراته العظيمة التي أحرزها في الصيف بنصر حاسم، وفي سبتمبر حيث وصلت الجيش الثامن تعزيزات كبيرة حاول مرة أخرى، لكنه لقي هزيمة ساحقة في معركة علم حلفا على يد القائد الجديد للجيش الثامن الفريق سير برنارد مونتجومري الذي رفض التورط في معركة متحركة بالدبابات والمدرعات، وفضل الدخول في معركة برية ثابتة بقواته التي أحسنت اتخاذ مواقعها، ويحميها التفوق

الجوي للقوات الجوية الملكية، وفي هذا الوقت أحبطَت جهود روميل بسبب احتياجه الشديد للوقود والضروريات الأخرى، وقد لخص فيما بعد الموقف في عبارته المليئة بالإحباط: "إنما تكمن المشكلة في التخبط، والمبالغة في التنظيم الذي اتسمت به أركان الإمدادات الإيطالية".

وبسبب الإرهاق البدني الشديد، وإحساسه بالضعف الذي بدأ ينهك قواه، ومعاناته من صعوبات في المعدة، وتضخم الكبد، ومشاكل بالجهاز الدوري، فضلاً عن شعوره بالإحباط الشديد نتيجة عدم القدرة على حل مشكلة ضمان وصول إمدادات بصفة ثابتة إلى قواته، وتطرق الشك إلى نفسه في إمكانية تحقيق نصر حاسم لصالح قوات المحور، فقد غادر روميل شمال أفريقيا في الثاني والعشرين من سبتمبر 1942 طلبًا للراحة والعلاج، حيث التقى بموسوليني في روما، واقترح عليه تقديم المزيد من الإمدادات، أو إجلاء القوات من شمال أفريقيا؛ حفاظًا عليها من أجل الدفاع عن أوروبا، غير أن موسوليني كان يرى أن هذه مسالة استراتيجية وسياسية لا شأن لروميل بها، ولما التقى بهتلر شرق بروسيا حاول مناقشته في الأمر، لكن بدلاً من الدخول في المناقشة وجد نفسه يصغى لمناقشات هتلر بشأن الدبابات الجديدة من طراز (تايجر)، والصواريخ (نيبلورفر)، ومن ثم لم يجد روميل سوى التقاعد في مستشفى سيمرينج بالقرب من فيينا لعلاج كبده وضغط دمه الشديد، وبينما هو خالد للراحة واستعادة صحته أسرَّ إلى زوجته تحفظاته التي فارقت صدره للمرة الأولى بشأن هتلر وسياسته واستراتيجيته الخرقاء ـ حسب وجهة نظر روميل ـ والتي ستكون السبب في خسارة ألمانيا الحرب.

في هذه الأثناء كان جنرال سيرهارولد ألكسندر الذي حل محل أوكنلك كقائد عام لقوات الحلفاء في الشرق الأوسط ومونتجومري يخططان لشن هجوم ضار، وضخم على العلمين، وذلك بفضل التعزيزات التي تقدر بـ40000 جندي، و300 دبابة شيرمان جديدة، وفي الثالث والعشرين من أكتوبر 1942 أطلق مونتجومري الجيش

الثامن لخوض معركة العلمين الثانية، وذلك بهدف ـ كما يقول مونتجومري ـ القضاء على روميل.

وفي مساء اليوم التالي اتصل أحد مسئولي مقر هتلر هاتفيًا بروميل في مستشفى سمرينج ليبلغه أن قائد الفيلق الأفريقي الذي خلفه في شمال أفريقيا مفقود، وأنه في الغالب إما لقي مصرعه، أو وقع أسيرًا في يد الأعداء، فهل تعافى روميل تمامًا كي يعود إلى موقعه إذا اقتضى الأمر؟ ثم جاءته مكالمة هتلر نفسه في مساء نفس اليوم ليسأله إن كان بوسعه التجهز للسفر إلى شمال أفريقيا إذا تطلب الأمر؟ بالطبع، ثم اتصل هتلر مرة أخرى في نفس الليلة طالبًا منه السفر في الحال، فما كان من روميل إلا أن أجابه: "بكل تأكيد".

في الخامس والعشرين من أكتوبر سافر روميل إلى روما، حيث علم أن إمدادات هزيلة قد اجتازت البحر المتوسط، ووصلت طرابلس هذا المساء. أخذ روميل جولة على الجبهة في الساعات الأولى من يوم 26 أكتوبر تسرَّب فيها الخوف إلى نفسه، حيث كان للحلفاء السيادة على البحر والجو، بل وكانوا يقصون جيوش المحور عن ميدان القتال، لذا فقد وجه تحذيره إلى هتلر وموسوليني وكيسلرينج كي ينتظروا الكارثة.

لقد كان أول ما يشغل روميل هو إعادة بناء المواقع الدفاعية، لكن السيادة البريطانية كانت طاغية، لذا فقد فشلت هجماته المضادة، بل إنه لقي فيها خسائر فادحة.

وقبل ظهر يوم الثالث من نوفمبر، وفي الوقت الذي فقد فيه الفيلق الأفريقي الإيطالي الألماني 50000 رجل (نصفهم وقع أسيرًا)، و400 دبابة، و1000 مدفع، وتساقطت التشكيلات الإيطالية، ونفد الوقود والذخيرة، جاءت رسالة هتلر تطلب من روميل "الثبات"، وهو الموقف الذي أذهل روميل لما فيه تعنّت، وعدم إدراك للموقف من جانب هتلر، فقد كان ما يطلبه هتلر مستحيلاً، وفي اليوم التالي عندما تمكن البريطانيون أخيرًا من اختراق دفاعاته أصدر أمرًا بالانسحاب العام، والذي كان بداية

النهاية لوجود قوات المحور في شمال أفريقيا، وبعدها بأربعة أيام وبالتحديد في الثامن من نوفمبر وفي الوقت الذي كانت فيه قواته تنسحب من مصر جاءت الأخبار عن عملية "تورش"، والتي تم فيها إنزال القوات الأنجلو أمريكية في المغرب الفرنسية والجزائر، وأقرب منطقة منها تبعد عنه حوالي 2500كم غربًا.

وفي الوقت الذي صدرت فيه أوامر هتلر وموسوليني بعدم الانسحاب أجرى روميل إحدى أبدع مراوغاته التي قام فيها بالانسحاب محافظًا على معظم ما تبقى من قواته، معطِّلاً تقدم قوات مونتجومري رغم النقص الدائم في الذخيرة والوقود، حيث لم يتمكن مونتجومري من الإيقاع بروميل، أو تطويق قواته رغم التفوق الذي تمتع به مونتجومري من جانب الموارد، لاسيما الغطاء الجوي البريطاني الذي كان له السيادة، ومعرفة مونتجومري بنوايا روميل وخططه من خلال اعتراض الإشارات السرية الخاصة بقوات المحور، ولقد عزز هذا الانسحاب شهرة وصيت روميل كقائد عسكري بارز في المناورات الميدانية، وقبل انتهاء نوفمبر كان روميل على الخط الدفاعي لمرسى البريقا، والذي يبعد 950كم غرب العلمين، 800كم شرق تونس، وهناك توقف روميل بقواته.

سارع هتلر وموسوليني بإرسال قوات ألمانية وإيطالية إلى ما يسمى برأس الكوبري التونسي ـ الركن الشمالي الغربي من تونس ـ حيث تونس العاصمة، وميناء بنزرت لمواجهة القوات الأنجلوأمريكية، وذلك في التاسع من نوفمبر، وفي العشرين من نفس الشهر قرَّرا تركيز جهودهما في تونس ضد الأنجلو أمريكيين والفرنسيين الذين انضموا إلى الحلفاء، وفي الوقت الذي كان ينشد فيه المحور طرد الحلفاء من تونس ودفع إسبانيا إلى الدخول في الحرب إلى جانب المحور كان على روميل الدفاع عن ليبيا بأقصى ما بوسعه، غير أن روميل كان قد أدرك منذ معركة العلمين الثانية وعملية تورش أن المحور قد خسر قضية شمال أفريقيا.

وفي الثامن والعشرين من نوفمبر سافر روميل إلى شرق بروسيا للاجتماع مع هتلر، حيث دخل معه في نقاش حاد، وكان رأي روميل أنه طالما لم يكن من المتوقع تحقيق أي تحسُّن على عملية نقل المؤن والذخيرة عبر البحر الأبيض المتوسط فإنه يجب التخلي عن مخطط المحور وسياسته على المدى البعيد بالنسبة لشمال أفريقيا، وإلا فإنه من المؤكد أن جيش المحور سيُدَمَّر، غير أن هتلر الذي كان في أشد غضبه لم يسمع له، وهو ما زاد من غضب روميل هو الآخر، وزاد من شعوره بالسخط على هتلر، وعدم قدرته على الفهم، وهكذا عاد إلى روما هرمان جورنج الذي وعد بتحسين ظروف نقل المؤن والإمدادات بحرًا، غير أنه لم يكن في الواقع مهتمًا سوى بالكنوز الفنية والآثار الإيطالية.

وبعد أن عاد روميل إلى شمال أفريقيا قرر سحب قواته من ليبيا، ونقلها إلى تونس، حيث يقوم بعمل غارات تجاه الغرب على أمل أن يتمكن من طرد الحلفاء من تونس قبل أن يعاود الهجوم المضاد على مونتجومري في الشرق، ولإقامة حوار بين وحداته والقوات الإيطالية الألمانية في شرق تونس أرسل روميل عدة آلاف من القوات الإيطالية إلى جنوب تونس، غير أنه لم يكن يدرك الصعوبات التي سوف تواجهه مع الجنرال الألماني فون أرنيم الذي عُيِّن قائدًا على رأس الكوبري التونسي في التاسع من ديسمبر 1942.

كان أرنيم يهدف إلى إغلاق المعابر في السلاسل الشرقية لجبال أطلس، والموازية للساحل التونسي، وبالتالي يقيم طريقًا محميًا بطول ساحل البحر بين قواته في الشمال وقوات روميل بمجرد دخوله جنوب تونس، وبعد استيلائه على معبر بيكون والفندق في الشمال مد الجنرال فون أرنيم جنوبًا باستيلائه على معبر فايد في 30 يناير 1943، وهو ما كان يمثل ضربة البداية فيما يعرف بعدها بمعركة معبر قصرين.

في هـذه الأثنـاء وفي اليـوم الأخـير مـن سـنة 1942 وافـق موسـوليني روميـل علـى الانسحاب ببطء من ليبيا إلى تونس.

وبالفعل بدأ روميل بسحب قوات من المشاة غير المزودة بمركبات عبر الحدود في الثاني من يناير 1943، وأجلى بقية القـوات عـن طـرابلس الـتي دخلـها الإنجليـز في الثالـث والعشرين من يناير بعد تقدمهم من العلمين على بعد 2500كم، بعدها بثلاثة أيام نقـل روميل مقره إلى تونس، وهكذا نجح روميـل في إجـراء أطـول عمليـة انـسحاب عرفهـا التاريخ، ولم يكن هناك تواريخ قد تم تحديدها، ولكن بعـد أن اسـتقر بقواتـه والفيلـق الأفريقي الإيطالي الألماني في دفاعات خط مارث كان عليه أن يـسلم قيادتـه إلى الجنـرال الإيطالي جيوفاني ميس قائد الجيش الأول الإيطالي.

ورغم إصابته بصداع وأرق شديدين، ومعاناته من الضغوط العصبية، والمشاكل في جهازه الدوري إلا أنه كان سعيداً بالآمال التي ارتآها في تونس، كان روميل قـد أحكـم سيطرته على جيشه جيداً خلال إحدى مناورات التقهقر بالغـة الـصعوبة، والـتي تمثـل إنجازاً عسكرياً جديداً لهذا القائد، بعدها صار يتطلع إلى الفرصة التي يقوم فيها بغارات جديدة، وكان أرنيم قد واجه في 100.000 من رجاله مجموعة من قوات الحفاء المتجهـة إلى بنزرت وتونس في الـشمال، في حـين اعـترض روميـل في 7000 مـن رجالـه قـوات أمريكية مشتتة ضئيلة الخبرة، وأخرى فرنسية فقيرة التسليح في الجنوب، وعلى الجانـب الآخر لم يكن أمام مونتجومري سوى بضعة أيام يعيد فيها تجميع قواتـه للقيـام بهجـوم على خط مارث، في هذه الفترة كان أمام روميل فسحة من الوقت يمكنـه خلالهـا إيقـاع الفوضى بالقوات الأمريكية والفرنسية وإضعاف معنوياتها.

في التاسع من فبراير وصل كيسلرينج تونس للتنسيق مع أرنيم وروميل للإغارة علـى غرب جبال أطلس الشرقية، كانت الخطة أن يقوم أرنيم بالتقـدم لمـا وراء فايـد في اتجـاه مدينة سبيطة، في حين كان على روميل التقدم جنوباً صنوب الجفـسة، ومـع ذلـك كـان

هناك نقاط غامضة تكتنف الخطة ؛ أهمها على الإطلاق عدم وجود قائد عام للقوات جميعًا ، وبالتالي كان على كل من روميل وأرنيم العمل المستقل كلاً عن الآخر .

وهكذا دون أن ينسق جهوده مع روميل هاجم أرنيم تشكيلات فرنسية وأمريكية هامة في الرابع عشر من فبراير ، حيث سحقها وأجبرها على التقهقر صوب سبيطة ، أما روميل فبعد أن علم بطريق المصادفة أن الأمريكيين والفرنسيين قد انسحبا من الجفسة فقد أرسل وحدات من جيشه لاحتلال المدينة ، ثم اتجه بعدها إلى فيريانا ومطار شيلبت ، وبالفعل نجحت قوات روميل في الاستيلاء على هذه المواقع في السابع عشر من فبراير ، ثم فاجأت الأنباء روميل بأن أرنيم قد فشل في الضغط على سبيطة والاستيلاء عليها ، في الوقت الذي كان يوطد مؤخرة جيشه في خط مارث من أجل المزيد من الفوضى في جيوش الأمريكيين والفرنسيين .

طالب روميل بالمزيد من الصلاحيات للاستمرار في هجماته ، حيث كان يضع عينه على (تبيسة) أحد أهم مراكز إمدادات الحلفاء عبر الحدود مع الجزائر ، ويتطلع إلى القيام بعملية تطويق شاملة لجيوش الحلفاء ، وفي الثامن عشر من فبراير وصلته الموافقة على القيام بعدد محدود من الهجمات على معبري (شبيبة) و(قصرين) غرب جبال أطلس على أساس أنه لو تمكن من اختراق هذه الثغرات سيهدد الحلفاء ، ويؤدي بهم إلى الجلاء عن تونس .

بدأت عمليات روميل في التاسع عشر من فبراير ، واستمرت ثلاثة أيام من الهجوم العنيف على موقع القوات البريطانية والفرنسية والأمريكية في شبيبة ، والذي لم يؤد إلى شيء ، حيث دخلت وحدات من قوات المحور المعبر حتى أوشكت على اختراقه ، إلا أن القوات البريطانية والفرنسية والأمريكية استماتت في الدفاع عنه ، مما أدى بروميل - الذي كان قد أصيب بإحباط ويأس شديدين بعدما رأى إلى أي مدى تتفوق أسلحة الحلفاء قوة وعدداً ، بالإضافة لعدم قدرة قواته على الاستيلاء على المعبر - إلى وقف محاولاته ، والتقهقر إلى خط مارث في الثاني والعشرين من فبراير ، لقد تمكن روميل من

إقصاء الجيوش الأمريكية والفرنسية 50 ميلاً عبر سهل سبيطلة من شرق إلى غرب الأطلسي منزلاً خسائر بالأمريكيين وحدهم وصلت 6000 جندي (نصفهم أسرى)، و2000 قطعة مدفعية، و183 دبابة في مقابل أقل من 1000 جندي، و20 دبابة من جيشه، وهكذا وجه روميل ضربة قاصمة، إلا أنها غير قاتلة، وكان فشل روميل في تحقيق المزيد من النجاح يرجع إلى رفض أرنيم دعم هجماته، فقد حال تنافس أرنيم معه دون توحيد الجيشين معًا تحت قيادة واحدة للعمل في اتجاه واحد، وهو ما كان من شأنه أن يهدد بكارثة للحفاء.

وفي الثالث والعشرين من فبراير سلم روميل قيادة جيشه إلى ميس، وتَرَقَّى لمنصب قائد مجموعة جيوش أفريقيا بسلطات فوق كل من أرنيم وميس، غير أن التغيير جاء متأخرًا جدًا، فلو كانت سلطة إصدار الأوامر في يد روميل في وقت مبكر ربما كان بوسعه تحقيق نصر يضمن له التفوق في تونس، وفي السادس من مارس هاجم ميس مونتجومري في مدنين، حيث كان يجمع قواته للهجوم على خط مارث، إلا أنه هُزِم هزيمة ساحقة، وهكذا بات واضحًا أن قوات المحور لم تعد قادرة على عرقلة استعدادات مونتجومري الهجومية.

بعدها بثلاثة أيام طار روميل إلى روما حيث قابل موسوليني وكيسلرينج، وأخبرهما أنه لا فائدة من الاستمرار في المقاومة في شمال أفريقيا، حيث قال إن البقاء هناك "انتحار واضح"، فما كان منهم إلا أن أرسلاه إلى هتلر، حيث كرر عليه أمنيته بإجلاء قوات المحور عن أفريقيا، وتركيز الدفاعات على أوروبا، وراح يرجوه أن ينقذ أرواح القوات هناك، غير أن هتلر بدلاً من الإصغاء له راح يقلده أنواط أوراق السنديان والسيوف والألماس، وطلب منه القيام بإجازة مرضية طويلة.

وبعد أن خاب أمله في هتلر راح يشاهد في حزن نهاية حملة تونس محبَطًا للنتيجة الحتمية التي انتهت إليها الحرب، وكما تنبأ فقد أجهز الحلفاء على ما تبقى من قوات المحور، وزادوا في خسائرهم بعد أن أخذوا منهم 250000 أسير، وهو نفس العدد من

الجنود الذي خسرته ألمانيا منذ أشهر قليلة في ستالنجراد، حتى أن هتلر قال لروميل بعدها: "ليتني كنت أصغيت لك".

وبعد أن صار الساحل الجنوبي لأوروبا من تركيا إلى أسبانيا معرَّضًا لهجوم الحلفاء في أي وقت كان هتلر يرى تداعيات الموقف أمام المجهود الحربي الألماني، وكما قيل: "ما أن تطأ قدم أول جندي من قوات الحلفاء إيطاليا.. يكون موسوليني قد انتهى"، والأسوأ من ذلك أن نجم ألمانيا بدأ يأفل؛ إذ لم تعد القيادة العليا قادرة على مواصلة محاولاتها الدفاعية المتكررة، هتلر نفسه - كما يرى روميل - لم يعد يرى هناك أملاً في النصر، بل تسرَّبت إلى قلبه الرغبة في الموت له ولألمانيا التي جرَّها إلى الدمار معه.

وسرَّب الإنجليز معلومات عن طريق وضع ورقة في ملابس لجسد نقلته مياه البحر إلى الساحل الإسباني أقنعت هتلر بأن الحلفاء نزلوا إلى اليونان، وقام هتلر بتعيين روميل قائدًا عامًا للمنطقة الجنوبية الشرقية، وفي الحال سافر روميل إلى سالونيكا في الخامس والعشرين من يوليو، لكنه استُدعى بسرعة؛ لأن موسوليني قد أطيح به في هذا اليوم.

وفي يوم 26 يوليو التقى روميل بهتلر الذي تحدث إليه عن إحلاله مكان كيسلرينج قائد عام لمسرح العمليات في إيطاليا، غير أنه لم يتخذ خطوات مباشرة للقيام بهذا، وذهب روميل إلى ميونخ لتحمُّل قيادة المجموعة الحربية (B)، وفي حالة انسحاب الإيطاليين من الحرب يقوم روميل باحتلال المعابر والطرق والسكك الحديدية شمال إيطاليا، في حين ينسحب كيسلرينج بقواته من الجنوب إلى الشمال.

وعندما انضمت قوات كيسلرينج إلى روميل في شمالي الأبنين اضطلع روميل بقيادة القوات الألمانية في إيطاليا جميعًا، وكانت قوات ألمانية كافية قد عبرت الحدود الألمانية إلى إيطاليا بحجة الدفاع عن إيطاليا ضد الغزو المحتل، لكنها في الحقيقة جاءت لمساعدة روميل للسيطرة على شمال إيطاليا في الخامس عشر من أغسطس 1943.

وبعد أن طوق الحلفاء جزيرة صقلية في منتصف أغسطس بدؤوا في غزو شبه الجزيرة

الإيطالية في أوائل سبتمبر، وعندما أعلنت حكومة بوداليو الذي خلف موسوليني الانسحاب من الحرب وقفت القوات البريطانية بمحاذاة الشاطئ الإيطالي، في حين نزلت وحدات بريطانية وأمريكية إلى ساليرنو، وانصياعًا لاستراتيجية هتلر فقد حارب كيسلرينج في ساليرنو فترة طويلة لسحب القوات الألمانية جنوبًا بعدها بدأ الانسحاب في بطء ومهارة من البلاد كلها، في حين شدد روميل سيطرته على شمال إيطاليا، وقد ساعدت تحركاته السريعة في حماية ظهر كيسلرينج، وفتح روميل مقر مجموعته الحربية في ليك جرادا في 12 سبتمبر.

ولكن سرعان ما دبَّ الخلاف بين روميل وكيسلرينج، حيث رأى كيسلرينج الدفاع عن إيطاليا جنوب روما، حيث الأرضية الرائعة التي تساعد على الدخول في حرب من مواقع ثابتة، وذلك لمنع الحلفاء من الاستيلاء على وادي بو، وعبور البحر الإدرياتيكي إلى دول البلقان، أما روميل فقد تمسك باستراتيجية هتلر لما رأى أن الخطوط الدفاعية جنوب إيطاليا لن تصمد طويلاً أمام العمليات البرمائية لقوات الحلفاء، في حين تتعرض خطوط الإمدادات الألمانية للتدمير على يد القوات غير النظامية المشاركة في الحرب وهجمات السلاح الجوي للحلفاء؛ لذا فقد قرر روميل الانسحاب الفوري إلى خط الأبنين الشمالي.

لقد كان هتلر يرى روميل متشائمًا، بل وانهزاميًا، في حين كان يرى كيسلرينج متفائلاً، وقد أمر هتلر كيسلرينج في 17 سبتمبر، ومع انتهاء معركة ساليرنو، بالانسحاب ببطء إلى خط جوستاف جنوب كاتسينو، وهناك يتوقف، ثم اجتمع هتلر مع كيسلرينج وروميل في 30 سبتمبر، حيث صرح روميل بارتيابه في القدرة على الدفاع في الجنوب، في حين كان موقف كيسلرينج إيجابيًا، بعدها بأربعة أيام، وفي 4 أكتوبر أمر هتلر كيسلرينج بالدفاع عن خط جوستاف ومواقعه القوية المتقدمة، في حين أمر روميل ببناء استحكامات وتحصينات في الشمال، وإرسال فرقتين من قواته مع بعض المدفعية إلى كيسلرينج، وفي نفس الشهر اتصل هتلر بكيسلرينج الذي أكد له أن الحلفاء لن يتمكَّنوا من دخول روما، وفي أوائل نوفمبر اتصل هتلر بروميل، فكرر عليه شكوكه.

وبعد أن رتب هتلر أوراقه عيَّن كيسلرينج قائدًا أعلى في إيطاليا في 6 نوفمبر، في حين أخبر روميل بالقيام بمهمة أخرى مهمة.

لقد كان على روميل القيام بعدة جولات لفحص الدفاعات الساحلية بطول بحر الشمال والقنال الإنجليزي والمحيط الأطلنطي، وذلك أن روميل كان يتوقع غزوًا من قوات التحالف عن طريق القنال الإنجليزي في ربيع أول صيف 1944، وفي 21 نوفمبر سلَّم روميل القيادة إلى كيسلرينج الذي اضطلع قبل ذلك بمسئولية الحملة الإيطالية.

وسافر روميل إلى فرنسا في عدد قليل من رجاله، حيث زار التحصينات الساحلية في الدنمارك وهولندا، وبطول بادوكلاى في نورماندي وبريتاني، وفي كل مكان يذهب إليه يستحث معنويات الرجال للدفاع عن الشاطئ، كما عمل على إصلاح الدفاعات، وفي 15 يناير 1944 تم تدعيم مقر المجموعة الحربية (B)، وأعيد تشكيلها ليكون روميل مسئولاً عن الجيشين السابع والخامس عشر في فرنسا وحول الجيوب المحيطة، وقد منح هذا روميل مسئولية إدارة الدفاع في الغرب، رغم أن الترتيبات من القيادة ظلت غامضة بعض الشيء، حيث كان يعمل تحت قيادة فيلد مارشال جيردفون راندستد القائم العام للقوات الألمانية جميعًا، ومع ذلك وكما يعلق المؤرخ الأمريكي جوردون هاريسون: "لقد كانت شخصية روميل هي الشخصية المهيمنة في الغرب، وكان نفوذه واسعًا يفوق كثيرًا السلطة الرسمية المخوَّلة إليه"، وفي اجتماع لكبار القادة في الغرب مع هتلر في مارس 1944 مُنح روميل المزيد من السلطات.

وفي مايو عندما تم تشكيل المجموعة الحربية (جي) المنفصلة تحت قيادة جنرال بلاسكو فيتس للدفاع عن جنوب فرنسا أصبح روميل قائدًا لقوات المواجهات الميدانية التي كانت بصدد استقبال كامل قوة غزو نورماندي.

وخلال الأشهر الستة الأولى من عام 1944 ضاعف روميل أعداد الألغام في المنطقة الدفاعية الساحلية إلى 5 أو 6 ملايين، وأشرف على بناء حصون، واستحكامات،

ومواقع للمقاومة، ودروع للقوات، كما أسَّس ما عرف بـ" هليون روميل " لمواجهة أي عمليات إنزال لقوات الحلفاء، وزرع الألغام والحواجز على الشواطئ، بل وزرع مواد تعرقل حركة القوات البرمائية، وعلى الرغم مما بذله من طاقات هائلة وابتكاراته الرائعة وجولاته التفقدية التي لم تكن تتوقف إلا أنه لم يستطع إكمال الدفاعات الثابتة لحائط الأطلسي على الوجه الذي يرضيه؛ وذلك لنقص المواد اللازمة ومن بينها مواد البناء، وضيق الوقت، وهو ما سلبه القدرة على إيقاف عملية إنزال قوات الحلفاء على حافة مياه ما عرف باسم " حزام روميل " .

ولما كان روميل مؤمنًا أنه ما لم يمنع الألمان قوات الحلفاء من الوصول إلى الشاطئ فلن يكون هناك سبيل إلى هزيمة الغزو، فقد أصر روميل على جعل الشاطئ خط المعركة الأساسي، وهو ما كان يتوقعه مونتجومري قائد القوات البرية للحلفاء ويخافه، لقد كان روميل يفضل في خطط الدفاع عن الساحل الدفاع الخطي على الدفاع من العمق، والحرب الثابتة على العمليات المتحركة، وامتلاك أرض على شن معركة تدمير، والمواقع المحصنة على الغارات، وعلى العكس منه كان الفيلد مارشال رندستد الذي تبنى مفهومًا أكثر تقليدية والذي يعتمد على امتلاك قوة متحركة قوية ذات احتياطي استراتيجي حتى يتم تحديد اتجاه الهجوم الرئيسي للحلفاء لتشن هجمات مضادة تقليدية في العمق حتى يتم القضاء على رأس الشاطئ الذي يرتكز فيه الحلفاء. لقد كان روميل يرى أن الحلفاء يملكون سيادة جوية تحول دون وصول الاحتياطي الاستراتيجي إلى ميدان المعركة، ولم يفضل هتلر قط استراتيجية على الأخرى، بل كانت الاستراتيجية المختارة خليطًا من الفكرتين، وهو ما أدى إلى عواقب مأساوية، وقد جمع راندستد احتياطيًا مزودًا بقوات مدرعة في موقع مركزي استعدادًا لإطلاقه بمجرد الكشف عن اتجاه الهجوم الرئيسي الذي سوف يشنه الحلفاء، بينما نشر روميل معظم قواته، ومعظمهم قوات بدون مركبات؛ بمعنى أنهم بدون وسائل مواصلات، بالقرب من المواقع المرجح نزول الحلفاء إليها عند الهجوم.

في الخامس من يونيو 1944، وفي يوم عاصف بدا معه استحالة قيام الحلفاء بعملية إنزال للقوات غادر روميل إلى منزله في هيرلينجن ليقضي مع زوجته عيد ميلادها، ثم ليذهب إلى هتلر في أوبرز البورج؛ كي يوضح له النقص الذي يعانيه في العتاد والأفراد، خاصة مع اقتراب غزو الحلفاء، كذلك كان روميل يأمل في ضم فرقتين مدرعتين وفيلق مضاد للطائرات، ولذا كان روميل غائبًا عندما نزلت عناصر الحلفاء بمحاذاة الشاطئ في صبيحة يوم 6 يونيو؛ البعض من السماء في طائرات ومظلات، ومعظمهم عن طريق البحر في طوافات، وفي المساء عاد روميل إلى نورماندي، حيث حاول تدمير القاعدة التي يرتكز عليها جنود الحلفاء حتى يحشد راندستد احتياطيه المدرع في الهجوم على رأس الشاطئ، لكن كما توقع روميل، فقد تحرشت القوات الجوية للحلفاء بتحركات الألمان، وأغارت على مواقع احتياطي المدرعات، ورغم أن استراتيجية روميل نجحت مع افتقارها للعتاد والأعداد الكافية من المقاتلين في حبس قوات الحلفاء في رأس شاطئ ضيق نسبيًا إلا أنه قبل أن ينتصف يونيو تأكد أن الحلفاء يمتلكون نقطة تمركز بالغة القوة في فرنسا، ورغم أن الألمان قد وجدوا أنه من المستحيل شن هجوم مضاد وقوي. فقد كان روميل متأكدًا أن في ظل هجوم مثل هذا ستَدُكُّ مدافع أساطيل الحلفاء في القنال الإنجليزي عناصرُ المقدمة الألمانية، وبالتالي تحرم الألمان القدرة على استعادة الشواطئ، وكان رأي روميل أن الوقت قد حان للانسحاب من نورماندي، والعودة إلى الخطوط الدفاعية لإيقاف زحف الحلفاء إلى ألمانيا.

واستدعى هتلر كلاً من رانستد وروميل للالتقاء به، ولكليهما وجهة نظر متقاربتان تتعلقان بالأسلوب الذي سيواجه به الألمان الحلفاء، وكان ذلك الاجتماع في سويسونز في 17 يونيو، وفي الغرفة المحصنة تحت الأرض والتي أنشئت لهتلر منذ أربعة أعوام للمساعدة في إدارة غزو إنجلترا، وطلب كلا القائدين المزيد من حرية التصرف في ميدان المعركة، خاصة الإذن بسحب قوات من الاحتياطي حسبما يريدان، وكذلك تضييق خطوطهما الدفاعية، غير أن هتلر رفض مطلبهما بعد أن وبَّخهما بعنف لتقصيرهما،

والأخطاء التي وقعا فيها في قيادتهما للعمليات، وأمرهما بالالتزام بالدفاع الصلب، وأن تلتزم حامية قلعة شيربورج بالدفاع حتى آخر رجل، ومواكبة ذلك بإجراء هجوم مضاد وكاسح خلال بايو.

وبعد أن عاد القائدان إلى مقارِّهما حاولا تنفيذ تعليمات هتلر، غير أن هجوم بايو المضاد في يوم 26 يونيو فشل أمام الدفاع البريطاني القوى، ورغم أن الألمان منعوا الحلفاء من توسعة رأس الشاطئ الذي تمركزوا عنده فقد كانوا غير قادرين على وقف نزيف الخسائر الألمانية في الرجال والعتاد، وما أن خارت قوة الألمان حتى بدا للفريقين أن مسألة انتصار الألمان باتت خيالاً، وأنه لا فائدة من مواصلة الدفاع.

وبعد أن طلب هتلر قائدي جيشه للالتقاء بهما مرة أخرى في بريخت جاردين يوم 29 يونيو أصغيا له وهو يعيد عليهما ضرورة الثبات، ورفض أن يجيبهما إلى اللجوء إلى أسلوب الدفاع المرن، فقد كان المطلوب منهما محاصرة الحلفاء، وحبسهم عند رأس الشاطئ، ولقد طرح روميل على هتلر سؤالاً افتراضيًا فيه قدر كبير من الجرأة والخطورة عندما قال له: كيف تظن أنك ستنتصر في الحرب؟ وعندما عاد إليه مرة أخرى قادتهما حالة الإحباط التي عانيا منها إلى طلب الانسحاب الجزئي، وفي الأول من يوليو جاء رد هتلر بأن تبقى كافة القوات في مواقعها، وتسريح راندستد القائد العام لجميع القوات الألمانية، وكذلك قائد احتياطي المدرعات الجنرال جيرفون شوبنبرج الذي سبق أن انتقد ما أسماه "الدفع التكتيكي" للعمليات الألمانية، وعندما علم روميل بأمر التسريحات هذه قال: "الدور عليَّ".

إلا أن هتلر نقل روميل إلى قيادة المجموعة العسكرية (B)، وعيَّن فيلد مارشال هانزفون كلوج مكان راندستد، ورغم أن هتلر كان قد حذر كلوج من اليأس الواضح على روميل، وميله إلى مخالفة الأوامر إلا أن كلوج سرعان ما جاء يعرض الموقف على روميل ويطلب رأيه، وكان رأي روميل ـ وقد انتصف شهر يوليو ـ أن ألمانيا التي فقدت

100.000 من رجالها وشهدت 6000 إحلال واستبدال للقوات لن يكون بوسعها الصمود لأكثر من أسابيع قليلة في أفضل الأحوال .

لقد زاد من استحالة تحقيق نصر للألمان عجزهم عن استكمال التحصينات الساحلية التي بدأوها ، والدعم الجوي والبحري الأقل كثيراً مما قدّروا ، والموقع الذي اتخذته فرق المدفعية بعيداً عن الساحل ، ومع ذلك فقد منعت معركة روميل الدفاعية الحلفاء من توسعة رأس الشاطئ الذي تمركزوا عنده ، لكنه ما إن غاب روميل عن مسرح العمليات حتى تمكن الحلفاء من سحق الجناح الأيسر للجيش الألماني ، واختراق قاعدة التقدم الألمانية القارية ، وتوجيه عمليات عسكرية سرعان ما دمرت الجيشين الألمانيين في نورماندي ، وتم تحرير فرنسا .

في السابع عشر من يوليو أصيب روميل إصابة بالغة عندما هاجمت سيارتَه طائرتان من طائرات الحلفاء ، حيث أصيب السائق بجرح عميق تسبَّب بعدها في وفاته ، بعد أن فقد السيطرة على السيارة ، وما إن اصطدمت السيارة حتى أُلقيَ بروميل فاقد الوعي خارجها ، وبعد أن عالجه طبيب فرنسي تم نقله إلى المستشفى في برناي ، حيث استعاد وعيه وبدأ في التعافي ، وكان قد أصيب بكسر في الجمجمة ، وثلاثة كسور أخرى ، بالإضافة إلى جروح في الوجه نتيجة لشظايا أصابته فيه .

وبعد الحادث الذي تعرض له روميل بثلاثة أيام وصلت حالة التمرد ضد هتلر في شرق بروسيا أوجها حين انفجرت قنبلة في مقر الفوهرر الذي نجا من الحادث بأعجوبة رغم إصاباته الطفيفة ، وسرعان مع أكد على أنه لا يزال في موقع السلطة ، وقرر التخلص من المتآمرين في وحشية ، غير أن أحد واضعي خطة اغتيال هتلر ، وهو الجنرال فون شتولبناجل حاكم فرنسا ورَّط روميل في الحادث عندما ذكر اسمه في نوبة هذيان .

ورغم أن روميل كان يرفض اغتيال الفوهرر إلا أنه كان موافقًا على عزله وسجنه ، لقد استشعر روميل أن مواصلة الحرب سيكون أمراً لا معنى له ، بل سيمثل تدميراً

لألمانيا، ولذا فقد وافق على أنه في حالة الإطاحة بالفوهرر فإنه سيترأس حكومة تسعى في الحال إلى التوصل إلى هدنة مع الحلفاء الغربيين.

في يوم 24 يوليو تم نقل روميل إلى مستشفى عسكري في لوفينزنييه إحدى ضواحي باريس، وفي بداية أغسطس كان قد أكمل علاجه وبدأ فترة النقاهة في منزله في هيرلينجن، وفي 7 أكتوبر دُعيَ إلى اجتماع في برلين، لكنه اعتذر عنه لأسباب صحية، بعدها بأسبوع وصل جنرالان في الرابع عشر من أكتوبر إلى منزل روميل يحملان له خيارين إما أن يقدم للمحاكمة ويواجه تهمة الخيانة العظمى، أو ينتحر، وإذا اختار الثانية فلن تُمس زوجته وابنه بأذى.

لذا فقد دخل روميل سيارة مع الجنرالين وابتلع كبسولة للانتحار، وبعد نصف ساعة وصل تليفون من مستشفى في أولم معلنا إصابة روميل بانسداد في الأوعية الدموية، لقد لاحظ أولئك الذين رأوا جسده بعد وفاته نظرة الازدراء التي علت وجهه، لقد تخلص هتلر من الشخص الوحيد في ألمانيا الذي يتمتع بالشعبية الكافية والاحترام العسكري، والذي يستطيع أن يعمل على إنهاء الحرب، وتم إحراق الجسد تجنبًا لأية إدانة محتملة مستقبلاً فيما يتعلق بتسمم جسده، وعقدت جنازة رسمية لنقل جثمانه، ودفن في هيرلنجن في 7 مارس 1945، ورغم حالة التفكك التي صار إليها الرايخ الثالث على يد هتلر، والذي صار في طريقه إلى الزوال تلقت زوجة روميل رسالة من هتلر لإقامة نصب تذكاري على قبر زوجها، وبالطبع لم تهتم بالرد على هذه الرسالة.

لقد حظي روميل بكل ثناء هو مستحق له، فقد كان تكريسه لعمله الحربي خير مثال يُحتذَى به، فقد حارب بقوة وقسوة في الحرب الشاملة، لكنه استحق الاحترام والإعجاب لمعاملته الطيبة للأسرى.

ولم يتعلم روميل في مدارس النازية، بل لقد كان لديه رغبة في إنقاذ بلاده من المزيد من الدمار، وهو ما جعله يتورط مع حركة ضد هتلر دفع ثمنها حياته، وهو ما يجعلنا كذلك نتعاطف معه. لقد كان أحد أولئك الذين يدركون المعاني الهامشية البسيطة

للواجب والحاجة للاختيار في بعض الأحوال بين ما تمليه واجبات الطاعة وما تمليه الأخلاقيات، ومع جنوده حَظِيَ روميل بعلاقة طيبة عميقة، فقد كان يعتني بهم، ويهتم لشأنهم، ولا يلقي بهم إلى التهلكة رغم أنه كان يطلب منهم أفضل ما لديهم وأكثر، إلا أنه لم يُشَتِّتهم، أو يلق بهم في هلاك بطيش ولا مبالاة، وكان يؤدي مهام عمله في شفافية نشاط وحكمة وتواضع لا تظاهر فيه، وكان يستغل عامل المفاجأة، ولم يتردد قط في الارتحال لتطوير موقف ما، وكان مستعداً دائمًا للاستفادة من النجاح.

ولأنه كان يضع دومًا النصر نصب عينيه فإنه رفض أن تثنيه عنه أية معوقات قد يرى فيها غيره من الرجال الذين يتحلون بالمنطق عقبات كؤود لا سبيل للتغلب عليها، إلا أن عيبه الوحيد هو ميله لنسبة إخفاقه إلى عدم كفاءة الآخرين، ولعل أعظم إنجازاته على الإطلاق ـ كما يقول كوريلي بارنت ـ هو تحويله ما كان يراه هتلر والقيادة العليا في ألمانيا عملاً دفاعيًا بسيطًا في شمال أفريقيا إلى حملة رائعة ظلت مصدر إزعاج ورعب لرئيس الوزراء البريطاني تشرشل، وجذبت مدار عامين معظم المجهود الحربي البري للإمبراطورية البريطانية.

لقد عُقدت مقارنات بين روميل والجنرال جورج إس. باتون (جونيور) القائد الأمريكي الشهير والخبير في شن الحرب المتحركة، رغم أنهما لم يلتقيا قط في معركة، فقد ظهر باتون على مسرح الأحداث في تونس بعد رحيل روميل عنها، ثم في نورماندي بعد إصابة روميل، لقد كانا متشابهين في النواحي الكاريزمية، تلك المتعلقة بالجرأة والشجاعة، والقيادة، وقوة الإرادة، والخبرة التقنية، وإرادة المقامرة، والتأثير على الرأي العام، ومثل باتون الذي كان يؤمن أيضًا بنهايته المحتومة كان لدى روميل إيمان عميق بعلو نجمه، لقد كان كلا القائدين منفذين وليسا منظرين أو مفكرين، لكن روميل كان يتميز بخبرة ميدانية في المعارك أكبر، حيث خدم في الحربين، في حين تتمثل أعلى درجات قيادة باتون للجيش في دوره في الرقابة والتكتيكية والعملية، فقد سطع نجم روميل كقائد مجموعة حربية ليعمل على المستويات السياسية والاستراتيجية، ولم يظهر باتون سوى في الحروب الهجومية، في حين أظهر روميل براعة في أوجه كثيرة لأدواره

القتالية، وكلاهما كان ولاشك عبقرية عسكرية وقائداً عظيمًا ارتقى بدور القيادة العسكرية في ميدان المعركة إلى الذروة.

مأساة مصرع الفيلد مارشال روميل

كـــان روميل بالنسبة لاقتناعه التام بأن ألمانيا خسرت الحرب قد عرض على هتلر محاولة الاتصال بالحلفاء لعقد هدنة بين الطرفين لإنقاذ ملايين الضحايا.

هذه الصراحة لابد أنها فاجأت هتلر، وربما استمع هيملر لما أبلغه هتلر باقتراح روميل، ومن الغريب أن الزعيم استمع لروميل، وتناقش معه بإسهاب، ولكنه لم يترك أدنى شك لدى روميل أنه ليس لديه أية نية في الرجوع عن رأيه.

وقضى روميل بداية الصيف متأملاً هذه الأمور، ولأول مرة في حياته أصبح سياسيًّا، وأيقن روميل أن هتلر سيقود ألمانيا إلى الجحيم، ولذا من الواجب كبحه، وكيف يحدث ذلك وهو يترأس الحزب والجيستابو وقوات الأمن الخاصة، فمن المستحيل إزاحته عن منصبه، فيكفي إحالة مستشاريه، والإبقاء عليه كرئيس صوري بدون أي سلطة، وقبل أن يحاول تنفيذ ذلك كان روميل قد تولى قيادة المجموعة (B)، وكان عليه أن يسافر إلى إيطاليا، ثم إلى فرنسا، وأجَّل التفكير في ذلك الأمر لمتابعة عمله.

وهناك من كانت خططهم أكثر تقدمًا، بل وكان روميل نصب أعينهم، كان من بين هؤلاء الدكتور جوردكلف Goerdclef عمدة ليبزج Leipzig ، والعميد بيك الرئيس السابق للأركان، فقد كانا طرفي مؤامرة ضد هتلر، واتفقا على ضرورة الاعتماد على شخصية ذات شعبية تحظى بثقة الشعب الألماني لتقديمها كطرف أول في ذلك الانقلاب، تلك الشخصية يجب أن تحظى بثقة الجيش، وهذا لا ينطبق على الجنرال بيك رغم قدراته، حيث إنه غير معروف لدى الشعب، وحيث فُصلَ من الجيش عام 1938، ولا ينطبق هذا إلا على روميل، وبالإضافة إلى ذلك فإن روميل الذي يعد خير من يمثل النازية هو أيضًا متقبَّلاً لدى الإنجليز، ويحظى بتقديرهم، ويوافقون على التعامل معه، ولا أحد يعرف الخلاف الدائر بين روميل وهتلر إلا في إطار ضيق؛ لذا كان من الواضح أن روميل دون غيره هو أكثر من تنطبق عليه الشروط السابق ذكرها.

ولحسن الحظ فإن المتآمرين كانوا على اتصال جيد مع الدكتور كارل سترولين عمدة شتوتجارت Dr. Karl Strolin, Oberbiirgermeister or. Mayor of Stuttgart منذ عام 1933، والمعروف في الخارج قبل عام 1933 كرئيس الاجتماع الأخير للاتحاد الدولي للإسكان وتخطيط المدن، وهو رجل ذو شعبية في شتوتجارت، ويحسب لهذه الشخصية النازية أنها لم تنحرف، كما انحرف الآخرون من الحزب النازي. هذا ما شهد به القنصل الأمريكي في شتوتجارت الذي كان يعرفه لسبع سنوات منذ 1934 حتى 1941، فهو رجل صاحب مبادئ إنسانية، وموضع احترام من الأمريكيين والألمان، فنُبْلُ شخصيته ومواقفه التي يعكسها جهده الكبير في مساعدة من تحاصرهم المحنة جعلته مستحقًا لكل تقدير من قبل الشعب الألماني، وكذلك الذين ساعدهم بإخلاص، ومما يذكر له موقفه من احتلال الألمان لتشيكوسلوفاكيا حيث عارض هتلر بشدة، ورغم إصراره على أن يستمر كعمدة لمدينة شتوتجارت حتى نهاية الحرب فقد ظل على مواقفه ضد النازيين، حيث بدأ خلافه معهم منذ عام 1939، ويحسب له أنه أنقذ إحدى وعشرين عضواً من المقاومة الفرنسية كان قد حُكِمَ عليهم بالإعدام في الألزاس، مما يرفع من رصيد حكمته وشجاعته.

وقد خدم سترولين مع روميل من خلال الخدمة العسكرية كنقيب في سلاح المشاة، حيث قاتلا معًا في الخط الأول من المقدمة في الحرب العالمية الأولى عام 1918، وحيث جُرِحَ لأكثر من مرة حينما كان في الفيلق 64. هنالك بدأت صداقته مع روميل، ورغم اختلاف اهتمامات سترولين كانت أوسع من اهتمامات روميل إلا أن هذه الصداقة قُدِّرَ لها أن تمتد، وتقوى حتى أنه ساعد أسرة روميل على نقل محل إقامتها من مدينة Wiener Neustadt to Wurttcmberg.

وبدأ سترولين العمل السياسي من خلال فراو روميل[1]، وذلك في شهر أغسطس من عام 1943، فقد كان من الشجاعة أن يكتب اسمه على رسالة كان قد كتبها، حيث

(1) كلمة فراو تعني حرم أو زوجة.

طلب الكف عن اضطهاد اليهود والكنائس، وعودة الحقوق المدنية، واستقلال القضاء عن الحزب النازي، وقد أُرسلت هذه الرسالة إلى وزارة الداخلية التي حذَّرت سترولين على الفور بمحاكمته بتهمة الخيانة لو لم يتراجع عن مطلبه. . . . . ، وقد سلَّم سترولين نسخة من الرسالة إلى فراو روميل في نهاية نوفمبر قبل إجازة الكريسماس، حيث سلَّمتها لزوجها. كان الانطباع الذي تركته هذه الرسالة على روميل عميق، فقد وُجِدَ من يتبع نفس الفكر الذي حدثته به نفسه قبل سفره الأخير، وكان سترولين قد تقابل مع فراو روميل في هيرلينجين لتتيح له إمكانية مقابلة روميل، حيث كان على موعد مع الجنرال Gausi رئيس أركان روميل. تبيَّن لسترولين أن Gausi كان أيضًا ضد هتلر. وفي بيت روميل هيرلينغ في نهاية فبراير 1944 كان اللقاء المصيري، حيث ذهب سترولين هناك سرًا، وبعد ذلك تلقَّى سترولين تحذيرًا آخر من مصدر أمني كان روميل على علم أنه مدرج على قائمة المطلوب تصفيتهم بشكل فوري في حالة حدوث مقاومة عسكرية في ألمانيا، وقد علم أيضًا أن تليفونه مراقب، ومكالماته التليفونية كانت تُسجَّل من قبل أجهزة الأمن.

وانعقد الحوار السرِّي الذي استغرق ما بين خمس إلى ست ساعات، ولا يزال سترولين يذكر ما حدث، حيث قال: "لقد بدأ الحوار بمناقشة الموقف السياسي والعسكري في ألمانيا وكنا على اتفاق تام". عندئذ قلت لروميل: "إذا كنت على اتفاق معي على الموقف فيجب أن ترى ما يجب القيام به". أخبرته أيضًا أن بعض ضباط الجيش في الشرق اقترحوا اعتقال هتلر، وإجباره على أن يعلن من خلال الإذاعة تخلِّيه عن الحكم، وأيد روميل هذه الفكرة، ولم يكن روميل أبدا من قبل أو من بعد على علم بوجود خطة لقتل هتلر.

وقال سترولين: "أبلغت روميل أنه يعد في نظرنا الجنرال الأكثر شعبية، والأوْلى بكل احترام وتبجيل، وهو كذلك على المستوى الدولي". قلت له: "أنك الأمل الوحيد في منع نشوب حرب أهلية في ألمانيا، عليك أن تعيد لاسمك الحركة".

أضاف سترولين: "إني لم أبلغ روميل بأن هناك اقتراح بأن يكون رئيسًا للرايخ، واعتقد أن روميل لم يعلم بهذا إلا في آخر يوم قبل مصرعه".

"فتردد، فسألته ما إذا كان يرى أية فرصة للنصر في الحرب الدائرة بالأسلحة السرية، فقال إنه لا يعلم عن تلك الأسلحة إلا ما سمعه من خلال الدعاية، وأضاف أنه لا يرى أية فرصة للنصر، فعلى المستوى العسكري ضاع النصر".

سألته: "هل ترى ما إذا كان هتلر يعلم ذلك؟" قال: "أشك في هذا، وأعتقد أنه على أي حال يقوده الوهم"، وعندما سُئِلَ روميل عن أية وسيلة للحوار مع هتلر قال له إنه حاول كثيرًا وفشل في ذلك، حيث إن الحاشية تشك فيه؛ ولذا فإنهم دائمًا يحبطوا أية محاولة لحوار مع هتلر فبورمان دائمًا هناك.

وانتهت المقابلة السرية بالاتفاق مع روميل بأن يحاول مقابلة هتلر، ومحاولة إخضاعه للعقل والحكمة، وفي حالة الفشل في ذلك سيرسل إليه خطابًا موضحًا الموقف، وموضحًا استحالة النصر سائلاً إياه قبول تبعاته، واتفق سترولين وروميل أنه في حالة فشل المحاولات الثلاث فليس هناك إلا اتخاذ إجراء مباشر. فكَّر في ذلك روميل، وقال: "أعتقد أنه من واجبي تجاه ألمانيا حمايتها"، واطمأن سترولين إلى أن روميل لن يخلف وعده، فقد كان رمزًا للشرف والأمانة، وعلاوة على ذلك فإن روميل اختلف عن كثير من الجنرالات بأن شجاعته لا تضاهَى.

وفي إبريل وجد سترولين حليفًا جديدًا عندما عين الجنرال سبيدل رئيسًا للأركان الفيلد مارشال روميل، حيث أصبح على اتصال مباشر مع المتآمرين، وبذلك فقد أصبح على اتصال دائم معه ومع روميل، وقد أجرى سبيدل مناقشات مع رئيس الأركان السابق ستيبناجل والحاكم العسكري في فرنسا، وكذلك الحاكم العسكري في بلجيكا، حيث شارك روميل في جانب من هذه المناقشات، وأصبح في المؤامرة، وكان روميل وسبيدل يأملان في إجراء تفاوض مع إيزنهاور ومونتجومري، وكان في الحسبان

أن تتم هذه الهدنة حتى لو لم يتم إقصاء هتلر عن الحكم ولو بشكل مستقل، وكان ذلك هو السبيل إلى إخلاء الأراضي المحتلة في غرب أوروبا.

لم يكن في استطاعة الحلفاء الموافقة على التفاوض مع ألمانيا دون موافقة روسيا، حيث إنه فيما بينهم لم يكن لأحدهم أن يتفاوض مع قوات المحور منفردًا؛ إلا أن الظروف المحيطة قد تجبرهم على قبول العرض الألماني دون شروط، حيث كبَّدت الحرب الآلاف من الجنود البريطانيين والأمريكيين، فقد توقعا موافقة تشرشل وروزفلت بلا شروط، وذلك للتخلص من خطر الجيش الأحمر.

وقد انعقد اجتماع آخر في منزل سبيدل بناءً على طلب روميل، وكتب الجنرال سبيدل مذكرة توضح الوضع القائم في ألمانيا، وأن ألمانيا في طريقها للدمار على يد هتلر. تخلَّص روميل ونجله مانفريد بعد ذلك من النسخة الأصلية التي تشتمل على الملاحظات الخاصة بالاجتماع التي أراد (سكرتير روميل) الاحتفاظ بها طبقًا لروتين الشعب الألماني الذي يولي اهتمامًا غير عادي في تدوين كل شيء مما قاد الكثير من المتآمرين إلى المشانق، فالمستند جد خطير رسم فيه الجنرال سبيدل صورة الموقف العسكري، وعندما فرغ من الاجتماع قال فون نوراث: "لو نفذت فرصتنا في التفاهم مع هتلر يجب إبلاغ روميل أن يستعد لاتخاذ إجراء على مسؤوليته"؛ كان ذلك ما يشعر به الآخرون. هذه هي الرسالة التي حملها الجنرال سبيدل.

استندت رغبة روميل في التصرف على نحو يخالف الحزب النازي من زاوية غريبة، فقد قرأ روايات إرنست جونجر الذي شارك في الحرب العالمية الأولى 1914ـ 1918 في مقدمة الجيش؛ أي أنه تجرَّع ويلاتها، ورغم ذلك كانت له مقولة شهيرة: "إن الحرب أنبل مهمة قام بها الإنسان"، إلا أنه بعد ذلك كتب ضد النازيين من خلال روايته الرمزية "على رخام كليفس"، والتي مُنع نشرها في ذلك الحين. لقد رسم أرنست جونجر مشروع معاهدة سلام أراد أن يؤسسها على وحدة الفكر، حيث يمكن تحقيق ذلك من خلال التفاف شعوب أوروبا حول الفلسفة المسيحية، والقضاء على الجبهات

والصراعات، وهذه الفكرة من الممكن أن تكون وسيلة للقضاء على تهديد البلشيفية أثارت هذه الأفكار روميل، وأراد أن تتاح له الفرصة لنشر تلك الرواية.

ومنذ شهر فبراير كان روميل في موقع يحسد عليه، فقد كلَّفه هتلر ليتولى مسؤلية جدار الأطلنطي؛ للقضاء على الغزو على الشواطئ قبل التوغل للداخل، وكانت الصحافة الألمانية تتحدث عنه بكل تبجيل، وعلاوة على ذلك كان روميل يحظى بشعبية كبيرة ليس فقط على مستوى الجيش الألماني والشعب الألماني، ولكن أيضًا على مستوى جيوش الحلفاء، وذلك أن روميل كان على قناعة بأنه من الصعب هزيمة قوات الغزو؛ لذا ما كان أمامه إلا اقتراح هدنة مع الجنرالين إيزنهاور ومونتجومري.

ناقش روميل الأمر مع الأدميرال روجRuge قائلاً: "ليس من الحكمة أن نستمر في الحرب، فنحن نخسر مدينة كل يوم إذن فما الهدف؟ فالشيوعية في اجتياح لأوروبا، وانتصار على القوى الغربية"، وفي نفس الوقت رأى روميل أنه لا جدوى في اتفاقية سلام دون موافقة هتلر، إلا إذا نجح الغزو. "في أفريقيا كنت سيد قراري، كانت القوات تحتكم إليَّ أما هنا أتلقى أوامري من هتلر. هنا أتعرض لضغوط إعلامية. هنا لابد أن تصدق فكرة الأسلحة السرية الغامضة. هنا من يتحدث عن الاستسلام، ينظر إليه على أنه خائن من قبل مرؤوسيه، ولن يُتَّبع".

كان لابد من عمل محاولة للانتصار، وفي الوقت نفسه كان لابد من استعدادات للتفاوض مع الحلفاء، واستطاع روميل بمهاراته أن يسير في الاتجاهين كما لو كان فارسًا ممتطيًا لجوادين في اتجاهين مختلفين؛ أي مهارة هذه! فهو كقائد عسكري كان يبذل قصارى جهده؛ لرفع القوة المعنوية للجيش، ولبث العزيمة، والإصرار على النصر في نفوس جنوده لمنع هبوط قوات العدو. إلى جانب ذلك كان عليه تقوية المواقع الدفاعية الضعيفة، وتحصين جدار الأطلنطي إلى الحد الذي خدع الأعداء، فكان تصور قيادات الحلفاء لدرجة تحصين الجدار مبالغ فيها، وعندما نجحت قوات العدو في الهبوط قاتل بقوة، ولقى الغزاة قبالة الشواطئ لو اتبع روميل اتجاهًا واحدًا، وامتطى جوادًا واحدًا لكان موقفه أسهل بكثير.

وليس في الإمكان أفضل مما كان، فليس في استطاعة أي جنرال أن يفعل أكثر من ذلك، قياسًا على ظروف المعركة، فقد أبلى روميل بلاءً حسنًا، ليس ذلك فحسب، فقد أثبت ولاءه على المستوى العسكري لقائده ولجنوده على السواء، لقد كان حاسمًا في قراراته، ولكنها الظروف الطاحنة والسياسة الغاشمة التي كَّبدته الخسائر في الأرواح، فهو ليس ممن يقبلون الدفع بالجنود إلى موت محقَّق، ولكنها السياسة.

تطورت الأمور من سيء إلى أسوأ، وما كان أمام روميل إلا أن يرسل الخطاب إلى هتلر طبقًا لما أتفق عليه في اجتماعه مع دكتور سترولين في شهر فبراير، فقد وضَّح في الخطاب مدى تفوق الحلفاء خاصة في القوات الجوية، مما لم يترك بصيصًا من الأمل في الانتصار، وقد عرض روميل البدائل على هتلر، حيث إنه أمام خيارين إما السلام وإما الدفاع، واستعد روميل للتفاوض مع الحلفاء إن لم يصرح له من قبل هتلر، ولكنه أصيب إصابة بالغة قبل أن يتلقى أي رد من هتلر.

إنها الهزيمة! هذا ما قد آلت إليه الأمور، فالموقف جَدُّ خطير، والإصابة بالغة، ليتها إصابة مميتة، لو كان الأمر كذلك لكان روميل أفضل حظًا، ولو علم روميل الغيب لتمنى ذلك. نُقل روميل إلى المستشفى، وفي المستشفى كان العناد والصراع مع المرض، وانتصر روميل، فسرعان ما أظهر حيويته وقوته، واستهانته بالإصابة. كان في زيارته البارون فون أسبيك، وجلس بجانب فراو روميل، فسعد لأنه تصور في بادئ الأمر أنه الطبيب، حيث لا مفر من النوم أو الرقاد كما أمره لشدة الإصابة، وحيث إن ذلك بلا شك لا يلقى قبولاً لدى روميل الذي تأبى نفسه النوم، وقد أحاطت الكوارث بجيشه ووطنه من كل جانب. وقف روميل وارتدى ملابسه، ثم طلب إلى صديقه أن يصوره من الجانب غير المصاب من وجهه، وطلب نشر الصورة، وبعد ذلك كتب روميل تقريراً إلى هتلر معلنًا له هزيمة ألمانيا.

وبعد إصابته ببضعة أيام زاره سبيدل وروج، وقد استطاع أن يحلق لحيته، مما أثار

خوف وغضب الطبيب الذي أمره بألا يتحرك، وأن يلزم الهدوء. أثار ذلك غضب روميل الثائر لوطنه، فكان ردُّه أشد لهجة، حيث قال: "لا تخبرني بما يجب أن أفعله، فأنا أعرف ما يجب أن أفعله"، وظل روج يزوره كل يوم ليقرأ له. قرأ له يومًا عن مشروع نفق يصل ما بين أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية مما أسعد روميل. كان روميل يسعد للسماع عن مثل هذه المشروعات، فقد كان روميل يأمل باستخدام المد والجزر في توليد الطاقة في بريتاني، فقد كان يأمل روميل بأن يقيم مشروعًا تكنولوجيًّا وعمليًّا. تحدث روميل بحرية مع الأميرال روج عن الخطة، فقد حان الوقت لأن يعرف الشعب الحقيقة، وقد حان الوقت لتقديم الخائن للمحاكمة. إنه الشيطان بعينه، آن الأوان لمحاكمته، والكف عن تصويره للشعب كبطل قومي، لقد حان الوقت لتحطيم الصنم، ولن تتحطم أسطورة هتلر حتى يعلم الشعب الحقيقة.

"انتابني الخوف على روميل" هذا ما قاله روج متمنيًّا لو كان روميل في أيدي الإنجليز، ولأنه يعرف مَن روميل، ولقوة أواصر الصداقة بينهما لم يجرؤ على اقتراح ذلك، وذهب روميل إلى بيته معارضًا رغبة الأطباء الذين أدركوا الخطر المحيط به، حيث قال كبير جراحي المخ عند فحص روميل أنه سيعيد النظر فيما علمه لتلاميذه، قال ذلك غير مصدق أن روميل على قيد الحياة بعد هذه الإصابة البالغة، وأمام إصرار روميل على أن يبرح المستشفى أمر كبير الجراحين أن يظل في بيته تحت رعاية مركزة، وعلى عكس ما كان متوقَّعًا لم تمر فترة قصيرة حتى ضُمِّدَت جراحه الجسدية، وتماثل للشفاء، ولكن مما لاحظت فراو روميل أنها لم تتلق مكالمة تليفونية قط ممن وجب عليهم الاطمئنان على صحة روميل من كبار الشخصيات في ألمانيا.

كانت فراو روميل تعلم أن قبضة هتلر اشتدت على زوجها، فهو خائن في رأي هتلر لمجرد صراحته، لقد توقع الهزيمة التي حدثت بالفعل رغم استبساله واستبسال جنوده، وفي مساء 20 يوليو حدثت محاولة اغتيال هتلر التي لم يقدر لها النجاح، فكان على أثر محاولة اغتيال هتلر الفاشلة أن سامت أجهزة الأمن الألمانية الكثير من الوطنيين الأبرياء

سوء العذاب، تعذيبًا واعتقالاً وقتلاً، ومن حاول النجاة منهم لم يكن أمامه إلا الانتحار، ولو فشل الانتحار لتجرَّع صنوفًا من العذاب.

في هبرلينجن حيث يقضي روميل فترة النقاهة في بيته سعد طبيب روميل لتماثله للشفاء، كان روميل في الحديقة حيث الشمس ساطعة يستعد للتمشية، وفي منتصف أغسطس حدث شيء يثير الشك، فقد حاول رجل الدخول للمنزل من خلال نفق يقود إلى المأوى المجهز ضد الغارات الجوية، ولكنه هرب عندما أطلق عليه الحرس الرصاص، ولم يُولِي أي انتباه لهذا الحادث، حيث كان في ذلك الوقت في ألمانيا الفارُّون من أسرى الحرب والعمال الأجانب، وفي السادس من سبتمبر عام 1945 زار روميل الجنرال سبيدل، وهي زيارة غير متوقَّعة في ذلك الحين، حيث أخبره سبيدل بتنحيته عن الخدمة العسكرية كرئيس للأركان للمجموعة (B)، وأن عليه المثول أمام الجنرال جوديفيان رئيس أركان الجيش. حسبما تقول فراو روميل إن سبيدل أخبرها بما تردد في تلك الأيام على لسان أعداء روميل الجنرالين كيتيل وجودلز أنه انهزامي، ولم يزد سبيدل على ذلك، حيث إنه كان يعلم الظروف الصحية الصعبة التي يمر بها روميل، وكان تعليق روميل أنهم يريدون كبش الفداء الذي يتحمل وزر موقفهم العسكري المتعسر في الغرب. أضاف روميل أن هذا ما يفسر لماذا تحدثت الصحافة والإذاعات في ألمانيا عن إصابة روميل، ولم يتحدثوا عن هجوم العدو، ويفسر ذلك أيضًا التباطؤ في نشر هذه الأنباء مقارنة بالصحف الأجنبية التي نشرت تلك الأنباء قبل ذلك بأيام.

فيما يخص الجنرال سبيدل لم يُعطَ فرصة للحضور إلى برلين؛ ربما لأنهم لم يدرسوا شخصيته جيدًا، فقد ظنوا أنه من الممكن أن يكرر ما حدث من المارشال فون كلوج، والجنرالين بيك وستيبناجل وغيرهم، فقد هجمت قوات الأمن على منزله في السادسة صباحًا، وقاموا بتفتيش البيت رغمًا عنه، وتمكنت فراو سبيدل من نزع صورة للجنرال بيك من على الحائط في غرفة المعيشة، حيث يوحي ذلك بأن الجنرال بيك كان موضع تبجيل واحترام. استطاعت فراو سبيدل إخفاء بعض المستندات. تم القبض على

الجنرال سبيدل وقاده رجال الأمن إلى شتوتجارت، ومنها إلى برلين تحت حراسة مشددة بالقطار، حيث أُودع في سجن الجويستابو. أبلغ مساعده الشخصي روميل بما حدث، أرسل روميل إلى هتلر خطابًا احتج فيه على ما حدث، أرسل روميل الخطاب إلى سيب ديتريش ليسلّمه لهتلر شخصيًّا، ولم يعلم ما إذا كان هتلر قد تسلم الخطاب أم لا.

وفي نفس اليوم أبلغ بعض الأصدقاء فراو روميل أنهم رأوا رجلين مريبين يحاولان دخول المنزل، وكان الرجلان يحملان مستندات توضح أنهما مهندسان من ريجينز بيرد. قال الرجلان أن أعمالهما تتصل بالجيش.

في المساء فور علمه بالقبض على سبيدل حضر سترولين من شتوتجارت إلى هيرلينجين مخاطرًا بحياته، وجد سترولين بيت روميل محاطًا بحراسته، كما وجد روميل مكتئبًا، وإلى حد ما في حالة من الرعب، أشار إليه أن يتحدث همسًا، حيث إنه من الممكن وجود أجهزة تنُّصت، وكان على مكتب روميل مسدس سأله سترولين لماذا تريده؟ فأجاب روميل قائلاً: "إنـي لا أخاف الإنجليز والأمريكيين، ولكني أخاف الألمان والروس"، وبعد ذلك أطلع سترولين على الخطاب الذي أرسله إلى هتلر، وتناقش الرجلان في إمكانية مساعدة سبيدل، حيث أوضح روميل أنه اتصل تليفونيًّا بقيادة الجيش، ولم يتوصل إلى رد مفيد، ولم يخبروه بسبب القبض على رئيس أركانه. كانت هذه هي المرة الأخيرة يتقابل فيها سترولين مع روميل حيًا، حيث اتصلت به فراو روميل بعد هذه المقابلة لتطلب إليه بألا يأتي إلى بيت روميل مرة أخرى، حيث إنها تخشى على زوجها من الجيستابو.

وبعد بضعة أيام استقبل روميل في منزله السيد ماثير Maier رئيس الحزب المحلي من أولم Ulm. حضر ظاهريًا بدافع الصداقة، وبينما كان الصديقان يتناولان الشاي وجّه الزائر سؤالاً إلى روميل ما إذا كان يثق بخَدَمه. أوضح الزائر سبب سؤاله، وهو ما صرح به رئيس قوات الأمن الخاصة (S.S) أن روميل لم يعد يؤمن بإمكانية تحقيق النصر،

وأنه أكْثَرَ من انتقاد هتلر والقيادة العليا للجيش. تواجد مانفريد أثناء ذلك الحوار، وشعر أن أبيه تحدث بصراحة شديدة، حيث قال لضيفه متعجبًا: "لماذا لا تنظر إلى الخريطة؟ الأمريكيون هنا والإنجليز هنا والروس هنا! فما جدوى الحوار عن النصر"، وعندما ذكر الزائر هتلر قاطعه روميل مشيرًا إلى اسم هتلر "بالأحمق الملعون". تواصل إليه الزائر قائلاً: "كن أشد حرصًا، ما كان لك أن تقول ما قلت. ستجلب على نفسك مراقبة الجيستابو إن لم تكن تحت رقابتهم بالفعل". وبعد هذه الزيارة ذكر صحفي إيطالي قصة تفيد بأن مائير Maier بعد أن عاد إلى منزله كتب تقريرًا مكونًا من ثلاثين صفحة تشتمل على الحوار الذي حدث بينه وبين روميل، وذهب إلى بيرلين في اليوم التالي، حيث قام بتسليم التقرير إلى بورمان شخصيًا.

لم تصدِّق عائلة روميل هذا، فمائير الذي جاء من هايدنهام (Heidenheim) قضى بعض الأشهر مع مانفريد روميل في معسكر اعتقال في لينداو (Lindau)، حيث أكد له أنه ليس لديه أدنى شك في أن والده مات مقتولاً، وبعد ذلك مات مائير في معسكر اعتقال، ولم يتم استجوابه.

مر شهر لازم فيه روميل المنزل استطاع بعد انقضائه أن يذهب بالسيارة على توبينجن (Tubingen) للعلاج. كان ذلك في العاشر من أكتوبر، وكان المارشال كيتيل (Keitel) قد أرسل برسالة يطلب فيها حضور روميل إلى بيرلين يوم العاشر من أكتوبر لمقابلة هامة معلمًا إياه بأن قطارًا خاصًا سيحمله في مساء التاسع من أكتوبر. لذلك طلب روميل من البروفيسير ألبير (Albrecht) بأن يؤجل استكمال علاجه، حيث تم استدعاؤه إلى بيرلين، ونصحه الطبيبان ألبير وستوك بألا يشرع في القيام بهذه الرحلة، حيث لا يتناسب ذلك مع علاجه. طلب روميل من سكرتيره الدينجر أن يبلغ كيتل بصفة شخصية بعدم سماح الأطباء له بالقيام بهذه الرحلة، وتحدث روميل - على حد قول فراو روميل - في التليفون إلى رئيس فرع الأفراد في الجيش الجنرال بيرجدورف (Burgdorf)، أبلغة روميل بما حدث، وطالب روميل بإبلاغ المارشال كيتيل بأن

الأطباء لن يسمحوا بسفره وهو في حالة صحية متدهورة. اقترح روميل إرسال مندوب من طرفهم إليه. أجاب بيرجدورف بأن هتلر استدعى المارشال كيتيل لمناقشة مستقبل روميل العسكري، بينما لم يتوقع روميل أي منصب عسكري بعدما حدث بينه وبين هتلر، وعلى أيَّة حال فإن روميل لم يكن مؤهَّلاً لأي منصب عسكري لشهور في ظل ظروفه الصحية، وعاد مانفريد ذلك اليوم إلى الوحدة.

ومرت خمسة أيام ولم يأتِ أخبار من بيرلين ـ والحديث لفراو روميل ـ، وفي الحادي عشر من أكتوبر أتى الأميرالَ روج (Ruge)، وتناول العشاء، وقضى تلك الليلة معهم، واستمر الحديث حتى بعد منتصف الليل. أخبره روميل عن خبر استدعائه إلى بيرلين، وأنه رفض الذهاب لسوء حالته الصحية، وأضاف قائلاً: "لن أذهب إلى بيرلين حيًا، أعلم أنهم سيقتلونني في الطريق، ويعلنون أنني لقيت مصرعي على إثر حادث" اعتقد ـ والحديث لفراو روميل ـ أن ذلك الاعتقاد هيمن عليه ليومين.

وفي الثالث عشر من أكتوبر بينما كان روميل وألدينجر خارج المنزل استقبل أحد الجنود العاملين في منزل روميل مكالمة تليفونية من قيادة الجيش في شتوتجارت تفيد الرسالة بأن الجنرال برجدورف سيصل إلى هيرليجين اليوم التالي في فترة الظهيرة، وفي صحبته الجنرال مايزل من فرع الأفراد، حيث إنه ـ أي الجنرال مايزل ـ مكلَّف رسميًا منذ 20 يوليو بالتحقيق في قضايا الضباط المشتبه في تورطهم في محاولة اغتيال هتلر. عندما تسلَّم روميل الرسالة كاد ألا يتكلم، قال لألدينجر أن الجنرالين قادمان بلا شك للتحدث معه بشأن الغزو، أو عن منصب جديد، وظل ليومه صامتًا.

وفي السادسة من صباح اليوم التالي وصل مانفريد في إجازة. وجد مانفريد أباه مستيقظًا، فتناولا الإفطار معًا، ثم ذهبا للتمشية أخبر روميل ابنه بالزيارة المنتظرة. سأل مانفريد أباه: "لماذا سيأتيان؟ هل هو منصب جديد ينتظرك؟". أجاب روميل قائلاً: "هذا ما قيل".

ولاحظ مانفريد علامات القلق على وجه والده. تحدث روميل إلى ابنه عن مستقبله. أعرب له عن أمله بأن يكون طبيبًا وليس ضابطًا، وعاد روميل ومانفريد إلى المنزل في الحادية عشرة، وفي تمام الثانية عشرة ظهراً وصل الجنرال برجدورف ومعه الجنرال مايزل والرائدين إيرينبرجر وأوردونانز فيزير حضرا في سيارة خضراء صغيرة يرتدي سائقها الزى الأسود الخاص بقوات الأمن الخاصة (S.S)، صافح الجنرالان روميل، حيث قدم لهما فراو روميل ومانفريد وكابتين ألدينجر، وبعد لحظة قال برجدورف إنه يود أن يتحدث مع المارشال روميل منفرداً. ذهبت فراو روميل إلى حجرتها في الدور الأعلى، وقاد روميل برجدورف ومايزل إلى الحجرات السفلية. أمر روميل ألدينجر وطلب منه أن يحضر أوراقا كان قد أمره من قبل بإعداد ملف منها، حيث تشتمل ما أصدره روميل من أوامر وتقارير أثناء معارك نورماندي. شك روميل أنه سيتم استجوابه بشأن الغزو. كان الملف بلا شك منظّمًا، واستمر ألدينجر في حديث مع الرائد إيرينبرجر خارج البوابة الأمامية، بينما ذهب مانفريد لتلوين بعض الخرائط لوالده. بعد ساعة خرج الجنرال مايزل وتبعه الجنرال برجدورف. لم يكن روميل معهم، حيث صعد السلم متجهًا إلى زوجته.

وعندما دخل روميل حجرتي - الحديث لفراو روميل - كان وجهه معبراً عن شدة الاضطراب والأسى، فسألته ماذا حدث؟ ماذا بك؟ هل أنت مرهق؟ فنظر إليّ وأجاب قائلاً: "لقد جئت لأودعك سأموت في ربع ساعة يتهمونني بالمشاركة في محاولة اغتيال هتلر. يبدو أن اسمي كان متضمنًا في قائمة جورديلر كرئيس للرايخ، فأنا لم أر جورديلر في حياتي، ولكنهم يقولون إن هذا ما اعترف به ستيلبنجال، والجنرال سبيدل والعقيد فون هو فاكور. إنها الخطة المتبعة لكني أخبرتهما أني لا أصدق ذلك. . خيّرني هتلر بين الانتحار بالسم والمحاكمة أمام محكمة الشعب، وقد أحضروا السم معهم، وأخبروني أن مفعوله يسري في خلال ثلاث ثواني".

حاولت فراو روميل أن تقنع زوجها بقبول المحاكمة، حيث إنه لم يكن أبدًا طرفًا في

محاولة اغتيال هتلر، ولم يكن أبدًا ليوافق على اغتياله، ولكن روميل أصر على الانتحار قائلاً: "لن أخف من المحاكمة أمام الشعب؛ لأني استطيع الدفاع عن نفسي، ولكني على يقين أني لن أصل بيرلين حيًا".

وبينما كان روميل يودِّع زوجته دخل عليه مانفريد مبتهجًا ومتشوقًا، كان يتطلع إلى منصب أبيه الجديد، كان متشوقًا ليرى أبيه مكرَّمًا في ذلك الحين، كان الجنرالان ينتظران روميل، ودع روميل ابنه، واستدار، فدخل الحجرة المجاورة حيث تبعه مانفريد. طلب روميل من خادمه ليبحث عن ألدينجر، حيث أوضح له ما كان استعاد روميل شيئًا من الهدوء وضبط النفس، سمع ألدينجر فراو روميل وهي تبكي بمرارة في حجرتها. قال ألدينجر إنه أشار عليه بالفرار، أو التخلص من الجنرالين بالرصاص، ولكنه رفض حيث إنهما ينفذان أوامر. اقتنع روميل بالانتحار حماية لأسرته. فقد وعداه بأن تعيش أسرته مكرَّمة من بعده، وأن تقام له جنازة عسكرية تكريمًا له، ومن جانب آخر فقد هُدِّدَ بالإعدام شنقًا بعد محاكمة أمام الشعب، ولا يقبل روميل أن يعدم شنقًا بسبب هتلر. عبر عن ذلك بقوة قائلاً: "لقد اتخذت قراري، فلن أسمح لنفسي أن أعدم شنقًا بسبب هتلر، فأنا لم أخطط لجريمة، وكل ما فعلته كان لخدمة وطني، ولكن ليس أمامي إلا ذلك. ففي خلال نصف ساعة سيتصل أحدهم تليفونيًا لإخبارهم بأني لقيت مصرعي على إثر حادث، وليس هناك مجال للجدل في ذلك الشأن".

شعر بعض المتآمرين الذين نجوا أن روميل كان يجب أن يصر على المحاكمة أمام محكمة الشعب، حيث كان في استطاعته أن يضرب المفسدين الضربة القاضية، كان من الممكن أن يفضح هتلر، إن وقوف روميل في قفص الاتهام وحده كفيل أن يهز ثقة الشعب في النظام، ولكنها الظروف القاسية، كان من السهل أن يفعل ذلك روميل لو كان متعصبًا، ولو كان مستعدًا للتضحية بزوجته وابنه، ولو كان في صحة جيدة، ولو كان في استطاعته الوصول إلى بيرلين حيًا، ولو كان مستعدًا بأن يتهم بالخيانة، ولو كان مستعدًا لتنفيذ حكم الإعدام.

وبعد أن اتخذ قراره نزل روميل مع مانفريد وألدينجر. كان الجنرالان ينظران إلى الحديقة، دخل روميل السيارة وتبعه الجنرالان والرائدان، وبعد ذلك بعشرين دقيقة استقبل ألدينجر مكالمة تليفونية كان الرائد إيرينبرجر يتحدث من مدينة أولم، حيث أبلغ ألدينجر بأن شيئًا مفزعًا قد حدث. لقد لقى المارشال روميل مصرعه على إثر نزيف في المخ فاجأه وهو في السيارة، وكلف ألدينجر بأن يخبر فراو روميل بذلك، واندفع ألدينجر إلى فراو روميل، ولم يكن في حاجة بأن يخبرها بما سمع، وبعد مرور نصف ساعة سمع صوت سيارة خارج المنزل، ذهب ألدينجر إلى الباب، حيث حضر إيرينبرجر وقد أراد مقابلة فراو روميل. بعدها صعد إليها ألدينجر وعاد أبلغه ألدينجر بأنها لم تكن لتستطع مقابلته، فلم يصر على مقابلتها.

وبينما كان ألدينجر في المستشفى حضر العقيد كوزماني (Kuzmany) قائد القوات في أولم إلى منزل روميل في هيرلينجين. رآته فراو روميل كان متأثرًا على حد بعيد بمصرع روميل. قال إن الجنرالين برجدورف ومايزل أعلنا مصرع المارشال روميل، وأمرا بإقامة جنازة عسكرية له، وبعد الظهر اصطحب ألدينجر فراو روميل ومانفريد إلى المستشفى. قال كبير الأطباء إن الجنرالين برجدورف ومايزل أحضرا المارشال روميل ميتًا في الساعة الواحدة وخمس وعشرين دقيقة، وبناءًا على أوامرهما فقد حقنته بحقنة منشطة للقلب، وللأسف لم يجدي ذلك. فقد فارق الماشال الحياة بالفعل. كان صوت الطبيب خافتًا. كان الطبيب يريد أن يضيف شيئًا، ولكن شيئًا ما منعه من ذلك. قالت فراو روميل: "رأيت على وجه زوجي تعبيرات لم أرها من قبل، ولم تزل على قناع موته. كانت تعبيرات ازدراء ما رأينا قط على روميل هذه الدرجة من الازدراء"، وفي الخامس عشر من مايو ذهبوا لاستقبال شقيقة روميل في محطة السكة الحديد، حيث تم استدعاؤها لحضور الجنازة العسكرية، وقد أُمِرَ ألدينجر بالحضور في مقر القيادة العسكرية في مدينة أولم، وقد أخذوه معهم إلى هناك، "وبينما كنا في الخارج - والحديث لفراو روميل - حضر الجنرال مايزل الذي تظاهر بتعاطفه معي وجاءني لمواساتي،

فابتعدت عنه متجاهلة إياه، ولم أتكلم قط" ، وكان مايزال قد استفسر من ألدينجر عن موقفي تجاه ما حدث، وعندما حضرت شقيقة المارشال روميل لاحظت ما لاحظت ـ والحديث لفراو روميل ـ، فقد رأت تعبيرات الازدراء على وجهه، ولم تكن قد أُعْلِمَت حتى رأته بما حدث له.

نُقلَ جثمان روميل إلى البيت، ووضع راقداً تحت راية الصليب المعقوف، وقد كُشِفَ وجهه. كان ذلك في نفس الغرفة التي كان قد قابل بها الجنرالين وبرجدورف ومايزل، وقد وقف ضابطان كحراسة على الجثمان طبقًا للأوامر العسكرية من قبل قيادة الجيش في مدينة أولم، وبعد ذلك قُتِلَ الجنرال برجدورف في الأيام الأخيرة في القتال في برلين.

وفي إطار تحقيق تم مع مايزل أمام محكمة أقيمت في أعقاب القضاء على الحكم النازي، وانتهاء الحرب ذكر الجنرال مايزل بعض التفاصيل عن مصرع روميل، حيث قال: "إن السيارة التي استقلت روميل وبرجدورف وأنا ابتعدت حوالي بضع مئات من الأميال عن منزل المارشال روميل، وهناك أمرني برجدورف أنا والسائق بأن نخرج من السيارة، وانفرد بروميل لخمس دقائق، ثم خرج من السيارة وظل يتحرك أمام السيارة لمدة خمس دقائق ثم أشار لنا. عندما ذهبنا كان المارشال روميل في أنفاسه الأخيرة". أخبر مايزل المحكمة أنه لا يصدق أن يتورط روميل في مؤامرة قتل هتلر، بينما كان من المقربين إليه.

وقد تم استدعاء فراو روميل إلى المحكمة لتدلي بشهادتها في المحكمة، ولكنها رفضت المثول أمام المحكمة؛ معللة ذلك بأنها لا تقبل رؤية مايزل، ولو في قفص الاتهام. أُدين الجنرال مايزل، وحُكِمَ عليه بسنتين سجن، ولكن أطلق سراحه، حيث كان قد قضى مدة السجن محتجزاً على ذمة القضية قبل المحاكمة.

وعند الاستفسار عن شخصيتي برجدورف ومايزل فلم نسمع عن أحدهما خيراً قط. أما برجدورف فهناك من أوجز شخصيته بأنه "جزار سليط اللسان، وأنه سِكِّير لا

تتناسب أخلاقه مع الجيش، ولا يجب بأي حال من الأحوال أن يحسب على الجيش جنرال" ، وأما مايزل فقد قال عنه أحد ممن يعرفونه جيداً من جنرالات الجيش الألماني أنه : "ليس هناك من هو أدنأ منه خلقًا، وأنه إن كانت للدناءة درجات فتأكد أنه في الدرك الأسفل منها" ، بل إن الجنرال جوهان كرامر تمنى لو تمكن من قتل مايزل.

وبإعلان وفاة روميل تدفقت البرقيات وخطابات العزاء، وكان هتلر قد أرسل إلى فراو روميل رسالة عزاء ومواساة موجزة في السابع عشر من أكتوبر، هذا نصها : " أرجو أن تتقبلي عزائي وأسفي العميق لوفاة المارشال روميل الذي سيظل اسمه مرتبطًا بالبطولة والشجاعة" .

وأرسل الدكتور جوبلز وزير دعاية هتلر والسيدة قرينته عميق أسفهما لفقد المارشال روميل.

وفي نَعْي روميل قال جوهيم ريبينتروب (Joachim von Ribbentrop) أنه حزن حزنًا شديداً لفقده كنتيجة لما أصابه من جراح خطيرة في المعركة في فرنسا.

وقال الجنرال كسرينج كنت أختلف مع روميل، ولكني أحترمه وأقدِّره، وكم كنت سعيداً عندما سمعت بتعينه كقائد للعمليات الحربية في الغرب، كان سبب سعادتي بذلك أني أعلم جسارة روميل، وامتيازه في القتال مع الإنجليز والأمريكان، وأن ذلك سيضاف كرصيد لقواتنا المسلحة. كان روميل رمزًا للشجاعة والإقدام، وكان ذو شخصية ملهمة.

وكتب ليوكرال كامبرا وهو جنرال إيطالي يقول: "كان روميل مثلاً يُحتذَى في الشجاعة والإقدام في المعركة. سوف يعيش روميل في قلب وعقل كل من شرفوا بمعرفته مثلي" .

كما نعى روميل المارشال موديل (Model) الذي خلف فون كلوج (Von Klug)

كرئيس للأركان، حيث وصف روميل قائلاً: "إنه كان مثلاً أعلى في الشجاعة والجسارة والحكمة، وكان دائمًا في مقدمة جنوده، وكان مدرسة في القتال تعلم منه جنوده الكثير عمليًا في المعركة، وكان سلوكه العسكري نموذجًا يحتذى به".

أما كيتيل وجودلز وبرجمان فلم يرسل أحد منهم ببرقية عزاء في ذلك الحين أو بعد ذلك.

أما هيملر (Himmler) رئيس الجستابو فقد أرسل تعزيته بشكل مختلف، حيث أوفد مساعده الشخصي بيرندت (Berndt) حاملاً رسالة منه، وكانت محتوى الرسالة أنه علم القصة كاملة، وكان ذلك مما أرعبه، وكان بيرندت قد عمل مع جهاز الأمن الخاص، ثم نقل إلى وزارة الإعلام حيث كان يعمل من قبل، ثم طرده جوبلز (Goebbels) بسبب ترديده لكلمة روميل بأن النصر "قد ضاع". أضاف بيرندت لرسالة هيملر أن هتلر ـ كان بريئًا ـ ما حدث كان من كيد ومن فعل كيتيل وجودلز، وبعد ذلك أرسل هيملر خطابًا آخر، ثم أقدم على الانتحار قبل أن يسقط في إيدي الحلفاء حتى لا يحاسب على جرائمه الكبرى ضد الإنسانية. فقد أوضح أنه كان هناك هدف خطير من موت روميل، ولم يكن هتلر على علم بذلك الهدف، ولكن من المعروف أن كيتيل وجودلز لن يقدما على أمر خطير بدون الرجوع إلى قائدهما، ولم تكن كثير من عمليات القتل لتتم دون الرجوع إليه، وفي تلك الحالات ـ أي في حالات الاغتيالات الكبرى على مستوى المارشالات ـ لم تكن المسؤولية محددة، حيث تكون الاتفاقات شفهية ولم تكن مدونة، وفي حالة روميل فإن عائلته وأصدقاءه لم يكونوا ليجهلوا شخصية من أصدر إشارة البدء.

شُيِّعَت الجنازة في الثامن عشر من أكتوبر كانت الجنازة منظمة ومفصلة. حضر الجنازة شخصيات عسكرية هامة منهم من شارك في قتله قبل المشاركة في تشيع جنازته. يا له من موقف ساخر! . أقيم الحداد بناءً على أوامر الزعيم هتلر الذي كان قد أصدر أمرًا أيضًا من قبل بأن تقام جنازة عسكرية على أعلى مستوى، واصطف الجنود خلف

نعش روميل، وقد اتشح بالعلم الألماني ذي الصليب المعقوف. حُملَ النعش من بيت روميل إلى قاعة في مدينة أوتين (Uitn)، حيث انشح المبني بالرايات. حُملت العصا المارشالية والخوذة والسيف على منصة النعش. كما حملت النياشين التي مُنحت لروميل لجهوده المشكورة في الحربين العالميتين الأولى والثانية، كم كانت متألقة. اصطفت ساحة الجنازة بالجنود والضباط من كافة الأسلحة، ومعهم فرقة الموسيقى العسكرية. لم تقتصر تلك الجنازة المهيبة والعجيبة أيضًا على العسكريين فقط، فقد تبع الجنازة أطفال ضرب لهم روميل مثلاً يحتذى، فقد كان بطلاً قوميًا قلما يتكرر عبر التاريخ، ولم تَخْلُ الجنازة من أعضاء الحزب النازي. ألقى المارشال فون راندستيد (Von Rundstedt) كلمة نيابة عن الزعيم، موضحًا أن الفقيد مات مكافحًا في ساحة الجهاد والشرف، وقد أوضح كم المعاناة التي مر بها روميل، وما أصابه من جراح في أثناء العمليات العسكرية في نورماندي، فقد اختطفه القدر القاسي من بيننا، بينما كان يقاتل ببسالة وجسارة. كما أشار إلى تاريخ روميل العسكري، وما قدم لوطنه في الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية، وإلى حملات روميل في أفريقيا ضد العدو، كما أشار المارشال فون راندستيد أيضًا إلى حقيقة أن روميل لم يَحْظَ بالتقدير والاحترام والتبجيل في وطنه فقط، بل كان ولا يزال محل احترام وتقدير وتبجيل عند الأعداء، ومر المارشال فون راندستيد على نورماندي مرور الكرام. فقد اختزل أحداث نورماندي قائلاً إن روميل قاتل في نورماندي بجسارة ومثابرة ضد الغزو، ولم يبال بنفسه، فقد كان يؤثر الوطن وأمنه على نفسه، ولم ينتبه إلى ما أحاط به من أخطار.

استطاع المارشال أو الكاتب المجهول لهذا الخطاب أن يوازن بين الخطابة والسخرية عندما قال عبارة: "إن هذا المقاتل الذي لا يمل ولا يتعب من أجل الزعيم ومن أجل الوطن كان متشبعًا بالروح الوطنية الاشتراكية، هذه الروح هي التي منحته القوة وهي الباعث الحقيقي لأعماله البطولية"، واختتم المتحدث خطابه بكلمات خالدة "لقد وهب قلبه للزعيم".

وباسم هتلر وضع إكليلا من الورود، بينما عزفت الموسيقى العسكرية، وأدى الجنود التحية العسكرية، وحمل جثمان روميل على عربة مدفع إلى مثواه الأخير وسط جماهير غفيرة، وودَّعه شعب ألمانيا بكل الحزن والأسف، لقد كان علمًا من أعلام العسكرية الألمانية ومدرسة في الفروسية والنبل وقلبًا شجاعًا قلما يجود تاريخ ألمانيا بمثله، وحضر الأميرال روج من بيرلين في قطار خاص ليمثل سلاح البحرية الألماني. فلم يعرف الحقيقة، ولكنه كان يشك في شيء تنبه إليه من أسلوب الخطاب الذي ألقاه المارشال فون راندستيد في مبنى البلدية، ومن عدم حضور المارشال فون راندستيد إلى المحرقة، وكان ممن شاركن في توديع روميل فراو سبيدل، وفراو سترولين، وفراو فون نوراث. لم تتوقع فراو سبيدل أن يطلق سراح زوجها، حيث قلما تفتح أبواب السجون الألمانية لغير استقبال النزلاء الجدد، فأطفالها في خطر شديد. أما سترولين فقد رسم خياله الحقيقة فور إعلام فراو روميل إياه بوفاة روميل. ألم يكن هو الذي استدرج روميل إلى هذا السبيل، كان فون نوراث أيضًا متورطًا في المؤامرة. الجيستابو أعينهم متيقظة ومنتشرة في كل مكان مستترين في الملابس المدنية، كانت عين الجستابو تراقب حتى ما يحدث داخل البيوت؛ لذا تخوَّفت فراو سبيدل أن ترد على تحية سترولين.

نعم إن القبض على أحد المشاركين في الجنازة غير وارد في مثل ذلك المشهد التمثيلي الرائع. كان الفصل الأخير مأساويًا بكل ما تحمله الكلمة من معنى احتاج إلى كثير من التضحية، وأسفا على روميل تتجه إليه الآن أعين المشاهدين بحزن وأسى ومرارة.

وفي اليوم التالي حُمل رفات روميل إلى هيرلينجين حيث مثواه الأخير في واد ضيق فوق مرتفع خشبي منحدر. هيرلينجين قرية جميلة بيوتها بيضاء ذو أسقف حمراء ونوافذها جميلة، يمر بين هذه البيوت الجميلة جدول مائي تجري به الماء بانسيابية، تلك القرية تتجمل أكثر ما تتجمل في الربيع، حيث تغطي الزهور الحدائق، وتتجمل أيضًا في الخريف. تتحول أوراق الشجر إلى لون بني ذهبي، وهناك أيضًا كنيسة أثرية ساحرة من حيث البناء واللون رمَّمها الملك فيرتيمبرج (Wiirttemberg) الأول. تحتوي تلك

الكنيسة على آثار ترجع إلى القرن الرابع عشر الميلادي، ومدافن الكنيسة مشتركة بين الكاثوليك والبروتوستانت رغم أن الكنيسة كاثوليكية هي الأصل، وفي الربيع تغطي المقابر بأنواع الزهور: زهرة الثالوث والمنثور، وأمام كل مقبرة يوجد صليب صغير. بعض هذه المدافن تحوي بعض من ماتوا في شمال أفريقيا من شباب ألمانيا، وتحاط تلك المدافن بجدار زرعت أمامه شجيرات مزهرة. هنا دفن روميل.. هناك وقفت فراو روميل، وقفت على قبر زوجها الذي قُتل غدراً لا لخيانته لوطنه، بل لعشقه لوطنه. كان لي سؤال أتمنى لو تجيبه، ولكني ظننت أنه من الصعوبة أن تجيبه. أردت أن أسألها وأعلم أنها من تقف على قبر ذلك الزوج. سألتها ألم يغرها الانتقام لأن تفضح المتآمرين على زوجها. سألتها وأعلم أنها من الشجاعة ومن قوة الجأش والحكمة أن ترد على مثل ذلك السؤال. فقد علمت البعض عن شخصيتها، فأجابتني "كان من الصعب أن أفعل ذلك، ففي مبنى البلدية حينما كان يتحدث المارشال فون راندستيد أردت وحاولت أن أعلن على الملأ أمام الجماهير الغفيرة أنهم ممثلون أفَّاكون مخادعون، ولكن هل يجدي ذلك؟ كان في إمكانهم أن يكتموا صراخي، وأن يفضحوا زوجي، لقد مات روميل، وأصبح من واجبي أن أحمي ابني مانفريد من كيد الخائنين وإفك الأفاكين. أنا لا أبالي بنفسي، ولكني لا أقبل أن أرى مصير ابني كمصير أقارب من تورط في أحداث العشرين من يوليو رغم أنهم لم يكونوا أقارب من الدرجة الأولى. لن أتحمل أن تدور الدائرة على ابني كما دارت على أبيه، إنهم يعلمون وقد أعلنوا ذلك لروميل، فقد هدده بما نحذر ونخاف. كان ذلك قرار زوجي، ولن أخالفه بعدما غُدِرَ به، ورحل عن عالمنا".

وهكذا كان كل شيء يمشي تبعًا لخطة مرسومة، ولعل أحد المراقبين المنافقين يسأل لماذا تلعثم المارشال فون راندستيد في قراءته للخطاب كما لو كان قد تسلمه قبيل تلاوته بخمس دقائق؟ ولماذا لم يحاول أن يتحدث إلى فراو روميل؟ لماذا رفع المارشال فون راندستيد عينيه ونظر بمرارة إلى سترولين وفون نوراث عندما مر أمامهم؟ قال سترولين:

"لعله تفهَّم الدور الذي أُكره على أن يلعبه، كما أنه يكره أسلوب حياتهم"، فهو رجل عسكري يمتاز بالنبل والشهامة، ولا تتفق مبادئه مع هتلر أو أعضاء الحزب النازي ويتشاءم من رؤيتهم.

تساءل أحد العاملين في قوات الأمن الخاص وهو من فريق سترولين: ماذا جرى بهذه الجنازة؟ لقد شعرت بشيء غريب يخيِّم عليها. إنني أشعر بذلك، ولم تكن هذه الشكوك عامة، كان ذلك فقط في دائرة الحزب النازي والقيادة العليا للقوات المسلحة. أما عامة الشعب الألماني فكانوا على يقين أن روميل مات متأثراً بجراحه التي حدثت له في ساحة القتال، وقد حضروا جنازته، وقد أُغرقوا في وهمهم، كما أحاط بهم الحزن على روميل.

طغى حزن الشعب الألماني على روميل على حزنهم لما تمر به بلادهم من ظروف صعبة، شعروا به أكثر من شعورهم بأنفسهم. سألت كابتن (Hartmann) هارتمان من هايدينهايم (Heidenheim) ما إذا كانت لدية أية شكوك تدور بخاطره فيما يخص موت المارشال روميل. أجابني سلبًا في بادئ الأمر، ولم تمر ثلاثة أيام على يوم الجنازة حيث كنت قد خرجت للتمشية مع صديق، فوجَّه لي سؤالاً. سألني ما إذا كنت أعرف شيئًا، حيث تبدو الأمور غريبة. بدأت أفكر فيما أوحى إليَّ السؤال بشيء من الشك. تحقَّقت بقدر ما استطعت، وثبت أنه لم تبد على روميل قبل موته علامات العنف. لقد كان هادئًا تمامًا. لم ير عليه آثار إصابة من طلق ناري أو أي شيء من هذا القبيل، ومما يثير الشك أنه عندما كان في هيرلينجين منذ ثلاثة أسابيع كان في ذلك الوقت قد شُفِيَ تمامًا مما أصابه من جروح، وكان أيضًا قد شُفِيَ مما أصابه من ألم نفسي، وكان صافي الذهن، حتى أنه كان يتحدث عن الحرب العالمية الأولى وقد ذكر الكثير من الأسماء، وكل تاريخ تعلق بما تحدث عنه، ولم يبدُ عليه أن يتوقع عودته إلى الجيش لممارسة عمله العسكري مرة أخرى؛ ذلك لأن جورينج وأعضاء القيادة العليا للجيش (O.K.H) كانوا ضده، وكان روميل قد أكد أن ألمانيا قد خسرت الحرب تمامًا. لم يذكر روميل أي شيء

يعبر عن مخاوف لديه من أي شيء يخص أمنه الشخصي.

واستمر هارتمان في تساؤلاته عن روميل، وعما إذا كان هناك شيء غريب قد حدث له، كان الشك ينتابه حتى عام 1945 حينما أبلغته فراو روميل بالحقيقة.

وبدأت الحياة تدب من جديد في المنزل المنعزل، فهو منعزل فوق مرتفع، وبدأت فراو روميل تستعيد بعض شجاعتها. كان هناك بعض المتغيرات، فقد استُبْدلَ الخدم العسكريون الذين كانوا يعملون في بيت روميل بفرد واحد كبير السن معتل الصحة، كان يعرج على إحدى ساقيه، حيث إنه كان مصابًا إصابة بالغة في ساقه، ودُمِّرَ صدره على أثر شظايا في أثناء العمليات الحربية، فكان كالقعيد؛ لذا كانت فراو روميل تكلفه بمهام بسيطة من بين هذه المهام أن يرد على التليفون، وفي يوم من أيام شهر أكتوبر استقبل مكالمة تليفونية من بيرجدورف ومايزل، أخبراه بأنهما قادمان، وبعد ذلك ـ أي بعد الجنازة بفترة قصيرة ـ تم استدعاء الخادم مرة أخرى للعمل بالخدمة العسكرية رغم اعتلال صحته، مما أحزن فراو روميل حزنًا شديدًا على ذلك الخادم بدافع إنساني فقط، فاعترضت؛ لأن الرجل كان في حالة صحية حرجة لا تؤهله للعودة للخدمة العسكرية وتبعاتها، وقد طلبت وساطة أحد أصدقائها في قيادة الجيش، فعاد الخادم إلى منزلها، ولكن سرعان ما طلب للخدمة العسكرية مرة أخرى، واستُدْعى للعمل الحربي في كتيبته حيث قُتل بعد فترة قصيرة. فما سبب قتل الرجل؟ ربما قُتل؛ لأنه كان مريضًا، فلا منفعة منه للجيش، وربما قُتل، لأن أرملة المارشال روميل الذي كان في خدمة الجيش لم يكن لها الحق بعد موت زوجها في أن يعمل معها مجند من الجيش. من العجيب في هذا الموقف أن يهتم جنرالان في الجيش بهذا الشأن، وأن يستخدما إنسانًا مريضًا، ويمتهناه بهذه الوحشية حتى القتل من أجل تصفية حسابات. كان ذلك الموقف إحدى وسائل المضايقات التي كان يبتدعها أعداء روميل بعد موته. كانت هناك مضايقات أخرى من جانب قوات الأمن الخاصة. كان هناك من يستفز فراو روميل ومانفريد من خلال المراقبة والمتابعة، فقد اعترضت رجلين من قوات الأمن الخاصة، حيث وجدتهما بحديقة منزلها في الليل، وعلى إثر اعتراضها، ومواجهتها تركا الحديقة. قالت فراو

روميل إنها كانت في غاية القلق ليس على نفسها فقط، بل أيضًا على ابنها مانفريد. قالت إنها في غاية الخوف أن يقتل ابنها، ويلقى ما لقي أباه. ولم يكن ذلك صعبًا في ظل تلك الظروف المتعسرة، وكان مانفريد كذلك قد بَقِيَ قلقًا على أمه وعلى نفسه.

قال: "ربما كان سبب هذه المضايقات أنهم يعرفون أني من الممكن أن أتكلم، حيث إني صغير، حتى في عملي العسكري أجد كثيرًا من المضايقات من قائد الكتيبة، فهو نازي متشدد، ودائمًا ما يحاول إيذائي. أتمنى لو كان ذلك مجرد سوء ظن مني، وعلى أي حال فقد اعددت نفسي للسجن في إبريل، حيث يأتي الأمريكان إلى أولم".

لكنه كان محظوظًا حينما كان في طريقه إلى الفرنسيين في رايدلينجين (Riedlingen) في منطقة الدانوب (Danube)، حيث فوجئ بأحد أفراد قوات الأمن الخاصة التي كانت تؤدي آخر مهام لها في ذلك الحين. كان من المهام المكلفين بها، ومما يسرهم بلا شك أن يعتقلوا أي جندي ألماني يجدونه خارج المنطقة المحددة له بدون سبب مناسب. فلم يكن وجودهم تأمينًا للجيش بقدر ما كان إهانة للجنود الألمان؛ إذ كانت قوات الأمن الخاصة أخر شعار من شعارات النازية. عورض مانفريد واستُجوب، وكان قد استعد، ولكنه سرعان ما فرَّ. كان في ذلك الوقت يحاول أن يجد السرية التابع لها. سمحت له قوات الأمن الخاصة بالمرور، وبعد ذلك مباشرة وقع مانفريد في أسر الفرنسيين، وعندما علم الجنرال دو لتر دو تاسيني (de Lattre de Tassigny) أنه ابن المارشال روميل أحسن معاملته، وكلفه بمهمة الترجمة، وسأله عن أحوال فراو روميل بعد رحيل زوجها.

كان هروب الجنرال سبيدل معجزة، ونتج ذلك عن ذكائه الخارق، ورباطة جأشه، والقدرة على ضبط النفس. لقد أثبت هروبه أن الصراع بين العقل والوحشية يُحْسَم للعقل، وأن الصراع بين الحكماء والجلادين بلا شك يحسم لحساب الحكماء. عندما قبض عليه رجال الجيستابو كانوا على يقين بأنه مذنب، فقد كان في قائمة الدكتور جوير ديلر الذي اعترف بسبب التعذيب، وذكر كل أسماء المتآمرين، قال الجنرال سبيدل:

"لقد ظللت هادئًا تمامًا أثناء التحقيقات، وجادلتهم بالمنطق، وحكمت عقلي، وسيطرت على مشاعري، وكانت لحظة عصيبة حينما واجهوني بالعقيد فون هوفاكور (Von Hofackcr) التابع لمجموعة الجنرال فون ستيبناجيل (Von Stiilpnage)، حيث استطعت أن أسيطر عليه، وأواجهه حتى قال لي إنهم لم يدونوا ما قد شهد به بدقة. استطاع الجنرال سبيدل بأسلوبه أن ينجو من استجوابين، بالإضافة لاستجوابات أخرى لم يستطع إقناع الجيستابو ببراءته تمامًا، .ولكنه تفوق عليهم وأقنعهم بقدر حماقتهم، وبذلك استطاع إنقاذ حياته، كما استطاع أيضًا أن يقنعهم بأن روميل لم يكن من المتآمرين ضد هتلر في مؤامرة 20 يوليو، فقد جادلهم بالحكمة لا بالمشاعر، ولكن الخطورة على روميل كانت تكمن في إثارة غضب هتلر ضده. ثار هتلر ليس لخطأ ارتكبه روميل، ولكن لأنه ثبت أن روميل كان محقًا، بينما كان هتلر وكيتيل وجودلز على خطأ في مواقفهم في أفريقيا وفي نورماندي. كانت الكراهية والحقد سبب ما حدث لروميل، وهذه هي وسيلتهم في التعبير عن الحقد والكراهية. الموقف مع سبيدل كان مختلفًا تمامًا، وكان من الممكن أيضًا أن يُتخذ إعدام رئيس أركان روميل كسبب للشك في مصرع روميل.

إذن فقد استطاع الجنرال سبيدل، أو الدكتور سبيدل، أو الفيلسوف سبيدل أن يضرب أهداف القضاء النازي، ولم يطلق سراحه، فالجيستابو لا يمكن أن يستسلموا لضحاياهم بسهولة، فهم يحتجزون ضحاياهم لحين الحصول على أدلة لا جدال فيها، وظل سبيدل في الاعتقال حتى الأسابيع التي سبقت نهاية الحرب.

أعمل سبيدل فكره العسكري، فبمساعدة من قائد السجن الذي كان متعاطفًا معه قام بتزوير برقية يدّعى أنها من هيملر، حيث يأمر قوات الأمن الخاصة بنقل النزلاء إلى مكان آمن، وعلى ضابط قوات الأمن الخاصة أن يتصل بمكتب هيملر لتلقى أوامر أخرى. كان تليفون السجن معطّلاً، فذهب ضابط الأمن خارج السجن للاتصال بمكتب هيملر، في ذلك الحين ساعد قائد السجن الجنرال سبيدل أكثر من عشرين نزيلاً

على الهرب. لجأ الفارُّون إلى قس في الكنيسة الكاثوليكية، حيث ساعدهم، وتستَّر عليهم، وقبل القبض عليهم كانت قوات الحلفاء قد دخلت المنطقة. هكذا انتهت تقريبًا نهاية قصة روميل، ولكني رغم ذلك يجب أن أرجع بضع أسابيع لأسرد أغرب فصل فيها. سنرجع إلى النصف الأول من شهر مارس 1945، حيث تسلَّمت فراو روميل خطابًا مؤرخًا 7 مارس كان هذا الخطاب من إدارة مقابر الحرب.

لقد أُسند إلى الزعيم بأن يقيم تمثالاً لإحياء ذكرى المارشال روميل، ولقد سألت كثيرًا من النحاتين لتصميم نموذجًا للتمثال، وتسليمه لي شخصيًا، وقد أرفقت بالخطاب صورًا لبعض هذه النماذج، أعتقد أن المارشل روميل يتناسب معه تمثال على شكل أسد. هكذا قدم أحد الفنانين تصميمه على شكل أسد ميت، وآخر على شكل أسد باكي، وثالث على شكل أسد يقفز. أنا أفضِّل الأخير، إذا كنت تفضلين الأسد الميت فأرجو أن تخبريني بذلك، فمن الممكن أن نبدأ في التنفيذ فورًا، حيث إن معي تصريح خاص من السيد الوزير، حيث إن الآثار لا يمكن أن تصنع الآن من الصخور، ولكن يعد تمثال روميل استثناءً، فيمكن بناؤه فورًا.

ولم ترد فراو روميل على هذا الخطاب.

بعد ربع قرن من معركة العلمين:

زيارة مونتجومري لميدان القتال

عبد الناصر يستقبل مونتجومري
في مصر بعد ربع قرن من معركة العلمين

قبل النكسة بشهر واحد، وتحديداً في 4 مايو 1967 كان القائد البريطاني الشهير الفيلد مارشال مونتجومري يهبط في مطار القاهرة ليجد في استقباله عدداً من كبار رجال الدولة والجيش. جاء إلى مصر بعد 25 عامًا من انتهاء الحرب العالمية الثانية، وإلحاقه أول هزيمة بثعلب الصحراء الألماني روميل بعد ربع قرن من معركة العلمين. عاد الفيلد مارشال إلى مصر ليجدها قد تحولت 180 درجة، فمن مملكة تضم السودان إلى جمهورية تلتزم بحدود مصر، ومن مستعمرة قديمة إلى دولة محورية في العلاقات الدولية. زار مونتجومري القاهرة التي تحولت من "مزار سياحي" إلى "مركز ثوري" تتطلع إلى زيارته حركات التحرر الوطني في آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية.

ففي أواخر عام 1966 تبادل الرئيس الراحل جمال عبد الناصر والفيلد مارشال مونتجومري 3 رسائل ممتعة؛ طلب مونتجومري من عبد الناصر في الرسالة الأولى أن يسمح له ولبعض رفاقه بزيارة أرض معركة العلمين بمناسبة مرور 25 عامًا عليها، وكان مونتجومري على ما يبدو غير واثق من إمكانية حصوله على هذا الإذن؛ بسبب انقطاع العلاقات السياسية مع بريطانيا وفرنسا على إثر اشتراكهما مع إسرائيل في العدوان الثلاثي على مصر عام 1956، وعلى الرغم من ذلك يتلقى مونتجومري ردًا من الرئيس الراحل عبد الناصر يدعوه ورفاقه إلى أن يكونوا ضيوفًا على مصر في هذه الزيارة، وعاد مونتجومري، فكتب إلى عبد الناصر خطابًا بخط يده يشكره فيه على الدعوة التي وجَّهها إليه، وفيما يلي نصوص الرسائل الثلاثة:

- **الخطاب الأول من مونتجومري:**

من الفيلد مارشال لورد مونتجومري أوف علمين ـ إنسجتون ميل ـ التون ـ هانتس في 9 نوفمبر 1966 .

سيدي الرئيس العزيز :

هناك جميل أريد أن أسألكم فيه : في العام القادم 1967 ستحل الذكرى الخامسة والعشرون لمعركة العلمين ، فهل تسمح لي يا صاحب الفخامة بأن أزور ميدان المعركة مع بعض زملائي في السلاح خلال تلك الأيام ، إننا نرغب في دراسة بعض المناطق الرئيسية ، والتقاط بعض الصور ، وربما لأنك أنت نفسك جندي فإنك ستدرك مدى الغبطة التي تتيحها لنا مثل هذه الزيارة ، إننا نريد أن نجيء في الأسبوع الأول من مايو 1967 ، وأن نجعل من الإسكندرية قاعدة لنا ، كما أن فريقنا مكوَّن من 5 أفراد فقط ، وسنطير من لندن إلى القاهرة رأسًا ، وأخشى حين يُعرَف أنني في الصحراء أن ينقض على صحفيون يمثلون عدة أمم ، ومن ثم فإننا سنكون في حاجة إلى بعض الحماية ، وسيقدم الجيش المصري خدمة كبيرة جدًا إذا أتاح لي مساعدة من ضابط يتكلم الإنجليزية ، وبعض الجنود ليبعدوا عني الناس ، كذلك أرجو أن يتمكَّن الجيش المصري من مَدِّنَا بسيارتين من طراز لاندروفر أو جيب ؛ لنستعملها في الصحراء بعيدًا عن طريق الساحل ، ولعلك تتكرم يا صاحب الفخامة بأن توافيني باسم ممثلكم في لندن الذي استطيع أن أتقدم إليه بطلب تأشيرة دخولي . .

المخلص جدًا لك

إمضاء مونتجومري أوف علمين .

- **رد من الرئيس جمال عبد الناصر:**

عزيزي المارشال مونتجومري: لقد تلقيت باهتمام وبتقدير خطابك إلى المعركة ومعك عدد من رفاقك في السلاح تتذاكرون وتتدارسون، وتطوفون ببعض المواقع التي عاشت مشاهد تلك المعركة الحاسمة.

ويسعدني أن أرحب بك وبرفاقك في مصر، وإني واثق أن الشعب المصري يسرُّه أن تكونوا ضيوفًا عليه أثناء الزيارة، وبصرف النظر عن كل الخلافات السياسية بين حكومتَيْنَا فإن كثيرين هنا يقدرون الأهمية التاريخية لمعركة العلمين، ولدورك الممتاز في قيادتها، والآثار بعيدة المدى التي ترتبت على النصر فيها، ولقد طلبت إلى رئيس هيئة أركان حرب القوات البرية للقوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة أن يتخذ الترتيبات اللازمة لهذه الزيارة على ضوء ما طلبت في خطابك إليَّ، وسوف تُخْطَر سفارة الجمهورية العراقية القائمة بأعمال سفارة الجمهورية العربية المتحدة في لندن بأن تمنح تأشيرات دخول لكل من يتقدمون إليها للسفر معك بتزكية منك، وتقبل أصدق التحية مع خالص أمنياتي لك بالصحة والسعادة.

إمضاء

" جمال عبد الناصر "

القاهرة في 10 ديسمبر 1966

- **الخطاب الثاني من مونتجومري:**

من الفيلد مارشال مونتجومري أوف علمين في 15 ديسمبر 1966.

عزيزي الرئيس:

لقد جاء قنصلكم في لندن السيد فوزي محبوب لمقابلتي أمس، وحمل إليَّ خطابكم الودِّي الكريم بتاريخ 10 ديسمبر 1966، إنه لكرم منكم يا سيدي الرئيس أن تقبلوا طلبي، وإني لمتأثر جدًا بالدعوة الموجَّهة لِيِّ لأكون ضيفكم خلال زيارة مجموعتنا، ولست أستطيع إلا أن أقول على الفور إننا سنطير إلى القاهرة يوم 4 مايو، ونبقى فيها

تلك الليلة، ثم نذهب إلى الإسكندرية، وسوف تكون مجموعتنا مكونة من أربعة ضباط بمن فيهم أنا، واثنان من المصورين، وآمل مساء يوم 4 مايو أن أقدم لكم احترامي بنفسي في القاهرة. إنني غير سعيد بما يحدث في العالم الآن، وهناك مسائل كثيرة أتمنى لو استطعت مناقشتها معكم، مع أعمق التحية.

إمضاء مونتجومري أوف علمين

استقبل الرئيس جمال عبد الناصر مونتجومري مساء 4 مايو بالفعل، ومن المفارقات الطريفة في هذا الاستقبال أن المشير عبد الحكيم عامر كان بصحبة عبد الناصر في استقبال الفيلد مارشال، وعندما رأى مونتجومري رتبة المشير عامر والنياشين المعلقة على صدره أخذه الذهول طويلاً لكن الرئيس عبد الناصر قدَّمه له من جديد قائلاً: أعرفك بـ "فيلد مارشال" عبد الحكيم عامر، فسأله مونتجومري على الفور: في أي حرب حصلت على اللقب؟! وساد صمت طويل لم تقطعه إلا كلمات الترحيب بالضيف الإنجليزي، وكذلك الحديث عن انطباعاته حول مصر بعد 25 عامًا من انتهاء الحرب العالمية الثانية.

- **زيارة مونتجومري لأرض المعركة:**

بدأ المارشال مونتجومري زيارته لمصر مساء يوم 3 مايو 1967 عقب وصوله من لندن بطائرة الخطوط الجوية البريطانية، وكان في استقباله في مطار القاهرة الفريق أول عبدالمحسن كامل مرتجي قائد القوات البرية وقتئذ الذي عيَّنته القيادة العليا للقوات المسلحة المصرية لمرافقة المارشال مونتجومري خلال زيارته لمصر التي استغرقت 10 أيام، كما حضر استقباله بمطار القاهرة لفيف من قادة القوات المسلحة وقتئذ كان على رأسهم الفريق أول محمد فوزي رئيس أركان حرب الجيش، والفريق أول صدقي محمود قائد القوات الجوية، والفريق أنور القاضي رئيس هيئة العمليات، والفريق صلاح الحديدي مدير أكاديمية ناصر العسكرية العليا، وكذا عدد كبير من ضباط القوات المسلحة.

وقد هبط مونتجومري من الطائرة وهو يرتدي ملابسه العسكرية، برغم أنه في

التقاعد، وكان عمره وقتئذ 79 عامًا، وصحبه الفريق أول مرتجي إلى المنصة الرئيسية، حيث عزفت الموسيقى "عظيم سلام"، وتفقد حرس الشرف من طلبة الكلية الحربية، وتوجه بعد ذلك إلى استراحة كبار الزوار بالمطار لفترة قصيرة سأل خلالها عن الجو في مصر وعن توقيت القاهرة، ثم استقل السيارة مع الفريق أول مرتجي إلى القصر الجمهوري، حيث قيَّد اسمه في سجل التشريفات.

وقد صحب المارشال مونتجومري خلال زيارته لمصر الجنرال السير أوليفر ليز (72 عامًا) الذي خلفه في قيادة الجيش الثامن البريطاني، والبريجادير "العميد" هيومان رينج رئيس العمليات في الجيش الثامن.

وقضى مونتجومري ليلته بالقاهرة في فندق مينا هاوس في الغرفة رقم 36 التي سبق لونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية النزول فيها، وفي الصباح يوم 4 مايو 1967 غادر مونتجومري القاهرة بطائرة خاصة إلى الإسكندرية، وانتقل منها بطائرة هيليكوبتر إلى سيدي عبد الرحمن التي أقام في فندقها المطل على البحر طوال فترة جولته في المنطقة التي استمرت أسبوعًا واحدًا.

وفي صباح يوم 7 مايو بدأ مونتجومري جولته الميدانية متوجهًا بالسيارة التي خُصِّصَت له وبرفقته الفريق أول مرتجي إلى المتحف الحربي بالعلمين، وقضى ساعة في مشاهدة الأسلحة والعتاد التي خلَّفها الإنجليز والألمان والإيطاليون.

وشاهد إحدى الدبابات الأمريكية من طراز شيرمان التي وصلت المئات منها قبيل المعركة، واستطاعت أن تقلب ميزان القوة في المدرعات لصالح مونتجومري.

وتوجَّه مونتجومري ومرافقوه بعد ذلك إلى مقابر قتلى الحرب البريطانيين في العلمين، حيث وضع عليهم إكليلاً كبيرًا من الزهور، ولم يستطع أن يحبس دموعه وهو يمر على قدميه وسط جنوده الذين جادوا بأرواحهم في سبيل أن يحرز النصر في المعركة، وأنهى زيارته لمقابر البريطانيين بإلقائه كلمة وهو في حالة شديدة من التأثر.

وانتقل مونتجومري بعد ذلك إلى استراحة العلمين، حيث عقد مؤتمره الصحفي الذي حضره حوالي مائة من الصحفيين ومراسلي وكالات الأنباء، وفي بداية المؤتمر ألقى مونتجومري كلمة قال فيها إنه قرر أن يحج إلى العلمين في مناسبة مرور 25 عامًا على معركتها، وأنه كتب إلى الرئيس جمال عبد الناصر خطابًا بهذا المعنى، فرد بخطاب غاية في الرقة، وترك في نفسه أثرًا بالغًا.

وأشاد مونتجومري بالحفاوة التي لقيها من السلطات المصرية منذ وصوله إلى القاهرة، فكانت سيارته تقطع شوارع القاهرة وعليها علم الفيلد مارشال وسط شعب صديق للغاية مما أثّر جدًا في نفسه.

وأجاب مونتجومري عن سؤال عن حرب السويس عام 1956، فقال: "لقد تعلمت أن الحكومات حينما تفكر في القيام بأعمال عسكرية فإنها تضع نصب عينيها ثلاث حقائق، وهي: (هل العمل العسكري مرغوب فيه سياسيًا، وهل هو ضرورة عسكرية، وهل هو عمل أخلاقي أم غير أخلاقي؟). لقد كان هتلر يعتقد أن السيطرة الألمانية على العالم ضرورة سياسية وضرورة عسكرية على السواء، ولكنه لم يكن يهتم بالناحية الأخلاقية، وأنا شخصيًا أعتقد أن العامل الأخلاقي غاية في الأهمية، كما أنني أعتقد أن العمل العسكري الذي قامت به بريطانيا ضد مصر عام 1956 كان عملاً غير أخلاقي".

وعن سؤال حول السياسة البريطانية المستقبلية في شرق السويس أجاب مونتجومري قائلاً: "إنني بصفتي جنديًا خدم نحو 50 عامًا في الجيش البريطاني أعرف منطقة الشرق الأوسط معرفة جيدة جدًا، وعلينا أن نواجه الحقائق، وأولى هذه الحقائق أن القوات المسلحة الغربية لا تتمتع بأي شعبية وسط شعوب الشرقي الأوسط والأقصى، وإذا كان لزامًا على الغرب أن يكون له وجود في شرق السويس فإن هذا الوجود يجب أن يقتصر على البحار أو تحت المياه، وقد سبق أن قلت هذا الكلام أمام مجلس اللوردات البريطاني الذي انتمي لعضويته".

وحول احتمالات قيام حرب عالمية ثالثة قال مونتجومري: "لا أرى أدنى احتمال لنشوب نزاع عالمي مسلح، وليس هناك تهديد من جانب المعسكر الشرقي ضد العالم الغربي، بالرغم من وجود حروب محدودة في بعض المناطق في العالم".

وعندما سأل أحد الصحفيين مونتجومري لماذا لم يضع باقات من الزهور على قبور القتلى الألمان والإيطاليين، كما فعل في مقابر البريطانيين؟ قال إنه لا يعتقد أن هذا ضروري، وأنه كلما مر بجوار مقابر الألمان والإيطاليين فإنه يهدئ من سرعة سيارته.

واختتم مونتجومري زيارته الميدانية للعلمين قائلاً: "إن هناك حوالي سبعة آلاف جندي قتلوا أثناء معركة العلمين، وقد تم لنا النصر بفضل بطولتهم وإقدامهم على إحراز النصر أو الموت، إنني أعتقد أننا لو أنصتنا لأمكننا أن نستمع إلى أصوات قادمة عبر الزمن، أعتقد أنها تقول: نحن الموتى نقدم الشعلة إليك فارفعها عاليًا، وإذا حنثت بوعودك فلن نستطيع النوم جيدًا، وأن هذه الشعلة هي شعلة الحرية والعدالة، ولن نفرط فيها أبدًا، ويجب علينا ألا نسمح لهذه الشعلة أن تخبو".

وتعد معركة العلمين واحدة من المعارك الفاصلة في تاريخ الحرب العالمية الثانية، فقد انتقلت الدفة بعدها نهائيًا على مسرح شمال أفريقيا إلى بريطانيا وحلفائها، وكانت بمثابة نقطة التحول في حرب البحر الأبيض المتوسط، فلم تمض حوالي سبعة شهور على المعركة حتى تم تدمير قوات المحور في شمال أفريقيا تدميرًا تامًا، واضطر الجنرال فون أرنيم الذي خلف روميل في قيادة قوات المحور في تونس إلى الاستسلام لقوات الحلفاء هو وجميع قواته في حوالي منتصف مايو 1943، وبذا وقع ما يزيد على 90 ألف مقاتل من قوات المحور في الأسر بكامل أسلحتهم ومعداتهم، وهو حدث يعد من الحوادث الفريدة في تاريخ الحروب، ولذا كانت معركة العلمين كما وصفها ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطاني وقتئذ بحق هي "نهاية البداية".

لقد خسرت قوات المحور في معركة العلمين ما يزيد على عشرة آلاف من القتلى

والجرحى، فضلاً عن ثلاثين ألفًا من الأسرى، ونحو خمسمائة دبابة، بينما خسر الجيش الثامن البريطاني ثلاثة عشر ألفًا من القتلى والجرحى، ونحو أربعمائة وخمسين دبابة.

وقد حظيت معركة العلمين باهتمامات رجال الحرب والسياسة والمؤرخين على اختلاف جنسياتهم وأهوائهم ومشاربهم، فسجلوا أحداثها ووقائعها في كتبهم ومؤلفاتهم، وفي التقارير الرسمية ودوائر المعارف، كما دونوا شروحهم وتحاليلهم للمعركة، وأهم الدروس المستفادة منها ونتائجها بالنسبة للحرب العالمية الثانية، وقد ظهر ما يشبه الإجماع على أن معركة العلمين تدخل في عداد المعارك الكبرى في التاريخ؛ وذلك نظرًا لما اجتمع لها من حشود هائلة من المقاتلين والأسلحة والعتاد، وما ظهر فيها من صور جديدة للحرب، وخاصة في حرب الصحراء كزرع مساحات ضخمة من حقول الألغام في مواجهة المدرعات والمشاة، وضرب الطائرات لخطوط المواصلات، سواء البرية أو البحرية، والتركيز الشديد لنيران المدفعية على المواقع الدفاعية قبل بدء اقتحامها بالمدرعات والمشاة.

المراجع

1. وزارة الحربية، الجيش المصري، العمليات الحربية في شمال أفريقيا في الحرب العالمية الثانية 1940ـ1943، إدارة تدريب الجيش، القاهرة 1957، الجزء الثاني والجزء الثالث.

2. وزارة الحربية القوات المسلحة المصرية، التاريخ العسكري، هيئة البحوث العسكرية، القاهرة، 1972، طبعة مؤقتة.

3. شوقي بدران، "معركة العلمين وقادتها"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1967.

4. دزموند يونج، "الفيلد مرشال روميل ومذكرات السرية"، ترجمة سليم طه التكريتي، مكتبة النهضة العربية، بغداد، 1987، الطبعة الثانية.

5. ليدل هارت، "القادة الألمان يتكلمون"، دار القاهرة، القاهرة، 1948.

6. فيلد مارشال روميل ثعلب الصحراء ـ علي الجوهري.

7. مذكرات روميل ـ فتحي النمر.

8. THE COUSES OF THE SECOND WORLD WAR – AMDREU J. CROZIER
9. ROMMEL THE DESERT FOX – DESMOND YOUNG
10. ROMMEL – DESMOND YOUNG
11. MEETING THE FOX – ORR KELLY
12. ROMMEL'S PANZERS – CHRISTER JORGENSEN
13. HITLER'S GENERALS – CORRELLI BARNETT

السيرة الذاتية الخاصة باللواء أركان حرب جمال حماد المؤرخ العسكري

أولاً: الشهادات العليا الحاصل عليها:

1. ماجستير في العلوم العسكرية من كلية أركان الحرب بالقاهرة عام 1950 (كلية القادة والأركان حاليًا).
2. بعثة قادة الألوية من كلية الحرب بالاتحاد السوفيتي عام 1959.

ثانيًا: الأوسمة والجوائز الحاصل عليها:

1. نوط الشجاعة من الطبقة الأولى.
2. وسام الخدمة الطويلة والقدوة الحسنة.
3. وسام الاستحقاق السوري.
4. وسام الإخلاص السوري.
5. وسام الأرز اللبناني.
6. وسام الاستقلال الأردني.
7. وسام الرافدين العراقي.
8. وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى.
9. جائزة الدولة التشجيعية عن كتاب "المعارك الحربية على الجبهة المصرية حرب أكتوبر 1973".
10. جائزة أحسن كتاب عن حرب أكتوبر 1973 من إدارة الشئون المعنوية للقوات المسلحة بمناسبة الاحتفال باليوبيل الفضي لحرب أكتوبر 1973 الذي تم الاحتفال به.

ثالثا: المؤلفات التاريخية:	جهة الإصدار
1. معارك الإسلام الكبرى	مكتبة النهضة
2. غزوة بدر الكبرى	المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
3. 22يوليو أطول يوم في تاريخ مصر	دار الهلال
4. الحكومة الخفية	دار الزهراء للإعلام العربي
5. من سيناء إلى الجولان	دار الزهراء للإعلام العربي
6. المعارك الحربية على الجبة المصرية (حرب أكتوبر 1973ـ العاشر من رمضان)	دار الزهراء للإعلام العربي (الطبعتان الأولى والثانية) (الطبعة الثالثة إصدار دار الشروق)
7. أعلام الصحابة	القاهرة الحديثة للطباعة
8. أسرار ثورة 23يوليو (الجزء الأول والثاني)	دار الزهراء للإعلام العربي الطبعة الأولى دار العلوم للنشر والتوزيع الطبعة الثانية
9. الحكومة الخفية وأسرار مصرع المشير عبد الحكيم عامر	الشركة المتحدة للطباعة والنشر والتوزيع
10. الحرب في شمال أفريقيا ـ روميل ومونتجومري ـ الصدام الرهيب	دار العلوم للنشر والتوزيع الطبعة الأولى
رابعًا: المؤلفات الروائية:	
1. غروب وشروق	دار القلم (دار الشروق حاليًا) وتم إخراجها في فيلم سينمائي (اعتبر أحد أفضل مائة فيلم مصري في القرن العشرين)
2. وثالثهم الشيطان	دار الهلال وتم إخراجها في فيلم سينمائي

خامسًا: المناصب العسكرية والمدنية الكبرى التي تولاها:

1. أركان حرب سلاح المشاة (قبل قيام ثورة 23يوليو 1952).
2. الملحق العسكري بالدول العربية (سوريا ـ لبنان ـ الأردن ـ العراق).
3. مدير القيادة المصرية السورية المشتركة بدمشق.
4. كبير معلمي الكلية الحربية.
5. قائد اللواء 18 المشاة وقائد منطقة العريش العسكرية.
6. رئيس هيئة الاتصال بقوات الأمم المتحدة (سيناء وقطاع غزة).
7. قائد معهد المشاة.
8. رئيس هيئة الخبراء باليمن.
9. محافظ كفر الشيخ.
10. محافظ المنوفية.

سادسًا: الحروب التي اشترك فيها:

1. حرب فلسطين عام 1948 (أركان حرب الكتيبة السابعة مشاة).
2. العدوان الثلاثي عام 1956 (مدير القيادة المصرية السورية المشتركة بدمشق).
3. حرب اليمن (رئيس هيئة الخبراء).

سابعًا: دوره في ثورة 23يوليو لسنة 1952:

1. انتخبته الجمعية العمومية للضباط في 31 ديسمبر سنة 1951 عضواً بمجلس إدارة نادي الضباط عن سلاح المشاة، وهو المجلس الذي كان يرأسه اللواء محمد نجيب والذي تحدى الملك السابق حتى صدور القرار بحله في 16 يوليو سنة 1952، وقامت الثورة بعد حل مجلس الإدارة بأسبوع واحد فقط.
2. عهد إليه بأحد الأدوار الرئيسية ليلة 23يوليو سنة 1952.
3. قام بكتابة البيان الأول للثورة الذي أذاعه الرئيس الراحل أنور السادات (صورة البيان الأصلي بخطه معروضة حاليًا في المتحف الحربي).

4. دون اسمه على رأس قائمة الضباط الأحرار في قرار رئيس الجمهورية رقم 1386 الصادر في 20 نوفمبر سنة 1972، وهي القائمة المنقوشة على الحائط في جناح الثورة بالمتحف الحربي.

5. برغم دوره وجهوده في نجاح الثورة أصر على البقاء في الخدمة العسكرية كضابط عادي ولم يطلب تعيينه في أي منصب مدني، ولذا كان من القلائل من ضباط الثورة الذين حصلوا على رتبة اللواء، وفوجئ بتعيينه محافظًا لكفر الشيخ منشوراً بالصحف دون استشارته، وكان وقتها أحد الدارسين بالدراسات العليا في أكاديمية ناصر، واضطر إلى الانقطاع عن الدراسة بعد أن أمضى عامًا بأكمله في الأكاديمية ضمن أول فرق دراسية لقادة الجيش قام بالتدريس فيها الخبراء والمستشارين السوفيت.

6. دون اسمه ضمن "الموسوعة القومية للشخصيات المصرية البارزة" التي أصدرتها الهيئة العامة للاستعلامات عام 1989.

7. دون اسمه ضمن "موسوعة أعلام مصر في القرن العشرين" التي أصدرتها وكالة أنباء الشرق الوسط عام 1996.

ثامنًا: إسهامه في المجال الثقافي العسكري:

1. ألقى محاضرات عديدة بوصفه أستاذًا زائرًا في كل من كلية القادة والأركان، وكلية الحرب بأكاديمية ناصر العسكرية العليا، ومعهد المشاة عن ثورة 23يوليو 1952، وحرب أكتوبر 1973، وحرب تحرير الكويت 1991.

2. شارك في ندوات عديدة عقدتها هيئة البحوث العسكرية وإدارة الشئون المعنوية للقوات المسلحة عن ثورة 23يوليو 1952، وحرب أكتوبر 1973، وبعض الموضوعات العسكرية المهمة الأخرى.

3. نشرت له مجلة أكتوبر سلسلة مقالات عن معارك الصحراء الغربية التي جرت في بداية الأربعينيات بين جيش المحور بقيادة الفيلد مارشال إروين روميل والجيش الثامن

البريطاني بقيادة الفيلد مارشال مونتجومري، وعن معركة العلمين الفاصلة التي بدأت ليلة 23 و24 أكتوبر 1942 والتي انتهت بهزيمة قوات المحور.

4. قام بالإشراف على صحة النواحي التاريخية في أفلام الفيديو التي أنتجتها الإدارة العامة للإعلام والعلاقات بوزارة الداخلية عن دور الشرطة المصرية البطولي بالاشتراك مع الشعب في مقاومة الاستعمار البريطاني في منطقة قناة السويس، والذي انتهى بمعركة محافظة الإسماعيلية المجيدة في 25 يناير 1952، وكذا في المقاومة الباسلة بالاشتراك مع الجيش والشعب ضد العدوان الثلاثي في بورسعيد عام 1956، وفي صد محاولة دخول القوات الإسرائيلية مدينة السويس في 24 أكتوبر 1973.

تاسعًا: نشاطه الأدبي والاجتماعي:

1. مؤرخ وكاتب اشتهر بحياده وصدقه ونشرت له عشرات المقالات في المجلات والصحف المصرية.
2. كان أحد كُتاب مجلة أكتوبر البارزين، وكان يكتب مقالاً أسبوعيًا في المجلة بصفة منتظمة لعدة سنوات، وكان أيضًا أحد كُتاب مجلة أخر ساعة لسنوات عديدة، كما كان أحد كُتاب مجلة الشباب، وكتب العديد من المقالات في المجلات العسكرية (مجلات الدفاع والنصر، والمجلة العسكرية، والوفاء للمحاربين القدماء) التي تصدرها القوات المسلحة.
3. شاعر وقد نشرت له قصائد عديدة، وأذيعت له أناشيد وطنية من دار الإذاعة، اشترك في تلحينها كبار الملحنين كالأستاذ محمد عبد الوهاب، ومحمود الشريف، وعبد الحميد عبدالرحمن.

- وفي شهر يونيو 2009 صدر له ديوان شعر كبير بلغ حجمه 288 صفحة أطلق عليه اسم (بين قلبي وحسامي) ويضم 35 قصيدة من روائع الشعر العربي العمودي، وقد تبارى النقاد في الإعجاب بقصائده فمن قائل: "استطاع اللواء جمال حماد أن يعود بالقصيدة إلى زمن الشعر الجميل وأعاد إلى الأذهان والوجدان ذكرى الشعراء الرواد إذ تعددت لديه الصور والأغراض الشعرية"، ومن قائل: "وكما يتضح فإن الكلمات التي

يصيغها جمال حماد تمثل درجة عالية من الفصحى، وإنه خلال الأحداث الكثيرة التي مر بها كان يعبر بالشعر عن أحاسيسه ومشاعره".

- وفي شهر أكتوبر 2009 أصدرت هيئة الكتاب طبعة شعبية محترمة لهذا الديوان تقديراً منها لمستواه الفني الراقي.

4. تولى رئاسة جمعية الصداقة المصرية الأمريكية من عام 1984 حتى عام 1990 خلفًا للدكتور عصمت عبد المجيد عقب تعيينه وزيراً للخارجية، وقد تولى رئاسة الجمعية من بعده الدكتور إبراهيم فوزي وزير الصناعة ورئيس هيئة الاستثمار الأسبق.
5. ألقى محاضرات عديدة عن ثورة 23يوليو سنة 1952، وعن حرب أكتوبر بسنة 1973 بالعديد من محافظات الجمهورية ونوادي هيئات التدريس بالجامعات والنوادي الاجتماعية المصرية وشركات البترول في القاهرة وخليج السويس.
   - دعته مكتبة الإسكندرية في صيف عام 2009 لإلقاء محاضرة عن ثورة 23يوليو 1952.
6. اشترك في عدة ندوات كان من ضمنها الندوة التي تولى رئاستها في معرض الكتاب الدولي في 10 يناير 1991 عن "الأمن القومي العربي"، وكان أعضاء الندوة هم: الأساتذة لطفي الخولي وأحمد حمروش وراجي عنايت، كما تولى رئاسة ندوة في معرض الكتاب الدولي يوم 25 يناير 2002 عن "ثورة يوليو والأمن القومي العربي" بمناسبة اليوبيل الذهبي لثورة يوليو، وكان أعضاء الندوة هم: الأستاذ محمد عودة واللواء طيار أ.ح. الدكتور جبر علي جبر والأستاذ أسامة غيث.
7. عين عضواً في لجنة التاريخ التي شكلت عام 1999 بقرار من الدكتور حسين كامل بهاءالدين وزير التربية والتعليم وقتئذ لتطوير مناهج التاريخ لطلاب المراحل الإعدادية والثانوية، وقام بإعداد الجزء الخاص عن ثورة يوليو 1952 وحرب أكتوبر 1973 في كتابي التاريخ اللذين يدرسان لطلاب شهادتي الإعدادية والثانوية العامة.
8. تم التعاقد معه من جانب الدكتور مهندس إبراهيم مصطفى كامل في أول مارس 1992 (نيابة عن صاحب السمو الملكي الأمير السعودي خالد بن سلطان) كي يتولى رئاسة

مجموعة من الخبراء العسكريين المصريين كانت تتكون من : اللواء طيار دكتور جبر علي جبر واللواء دكتور عبد الرحمن رشدي الهواري واللواء بحري أركان حرب محمد يسري قنديل لإنشاء قاعدة بيانات تشمل المعلومات والدراسات التحليلية عن حرب تحرير الكويت لإبراز الدور العربي والبطولات العربية الفردية والجماعية خلال هذه الحرب. وعقب إنجاز هذه الدراسة الكبيرة تم وضع هذه القاعدة من البيانات على الكمبيوتر لتكون مرجعًا دقيقًا للمؤرخين والكُتاب العرب والأجانب.

9. تم التعاقد بعقد مسجل في لندن في 30 إبريل 1993 من جانب صاحب السمو الملكي الأمير السعودي خالد بن سلطان قائد القوات المشتركة ومسرح العمليات في حرب الخليج الثانية ليكون مستشاره في إعداد الكتاب الذي كان ينوي إصداره عن هذه الحرب وخاصة عملية عاصفة الصحراء، وقد استغرق إنجاز هذا العمل الكبير قرابة عامين وصدر الكتاب بالفعل بعنوان (مقاتل من الصحراء) الذي حاز شهرة واسعة باعتباره أفضل كتاب صدر عن حرب تحرير الكويت.

10. شارك ضمن مجموعة كبيرة من الخبراء العسكريين وأساتذة الجامعات في ندوة علمية كبيرة عقدتها كلية الحرب العليا في أكاديمية ناصر العسكرية خلال شهر مايو 2007 بعنوان (مصر بعد حرب فلسطين 1948 وحتى قيام ثورة 23يوليو 1952)، وقد عهد إليه برئاسة مجموعة العمل الثالثة الخاصة بالمرحلة التي سبقت قيام ثورة 23يوليو مباشرة ثم أحداث هذه الثورة المجيدة.

11. عضو اتحاد الكتاب.

12. عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.

ملف الخرائط

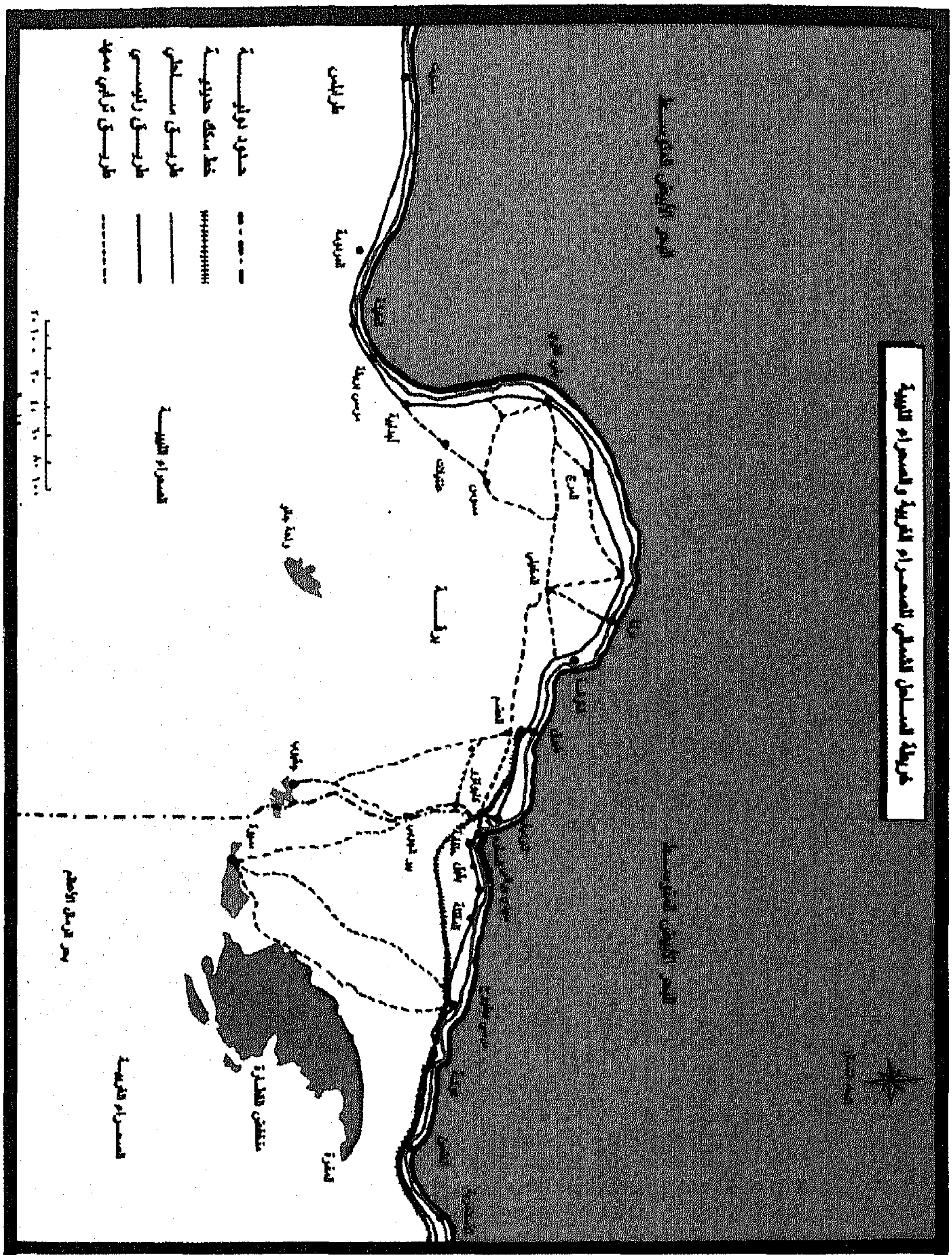

خريطة الســـاحل الشمالى للصحراء الغربية والصحراء الليبية

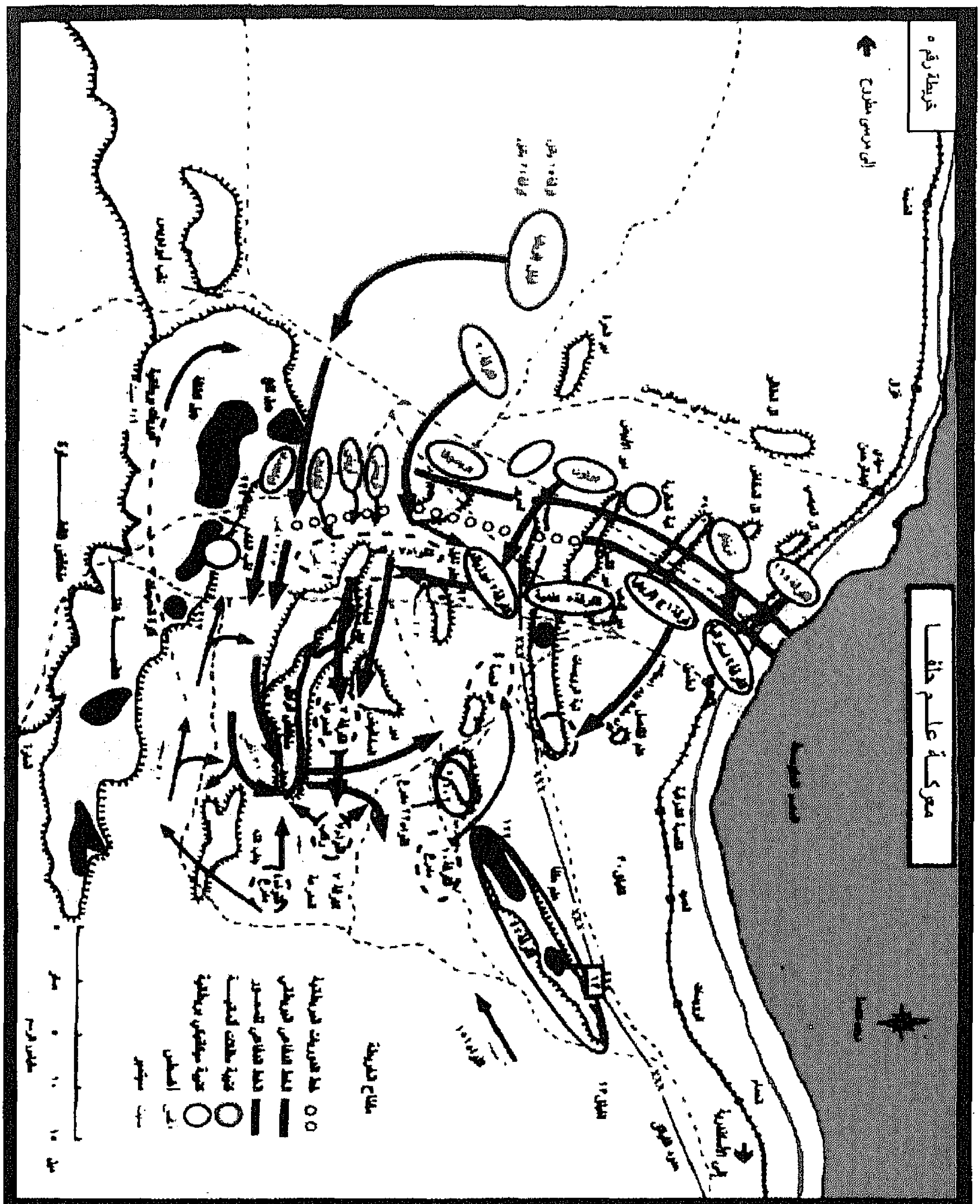

معركة علم حلفا

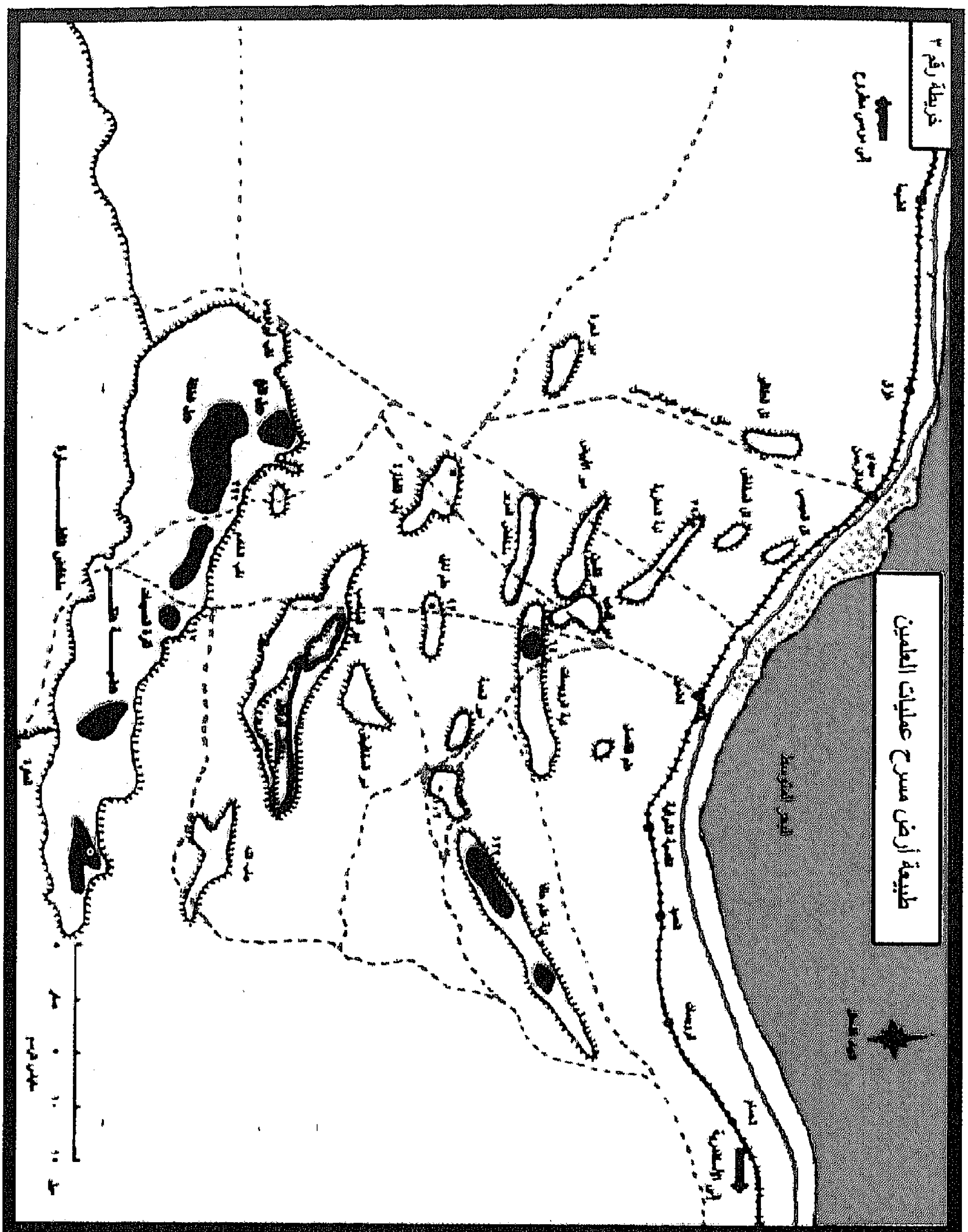

طبيعة أرض مسرح عمليات العلمين

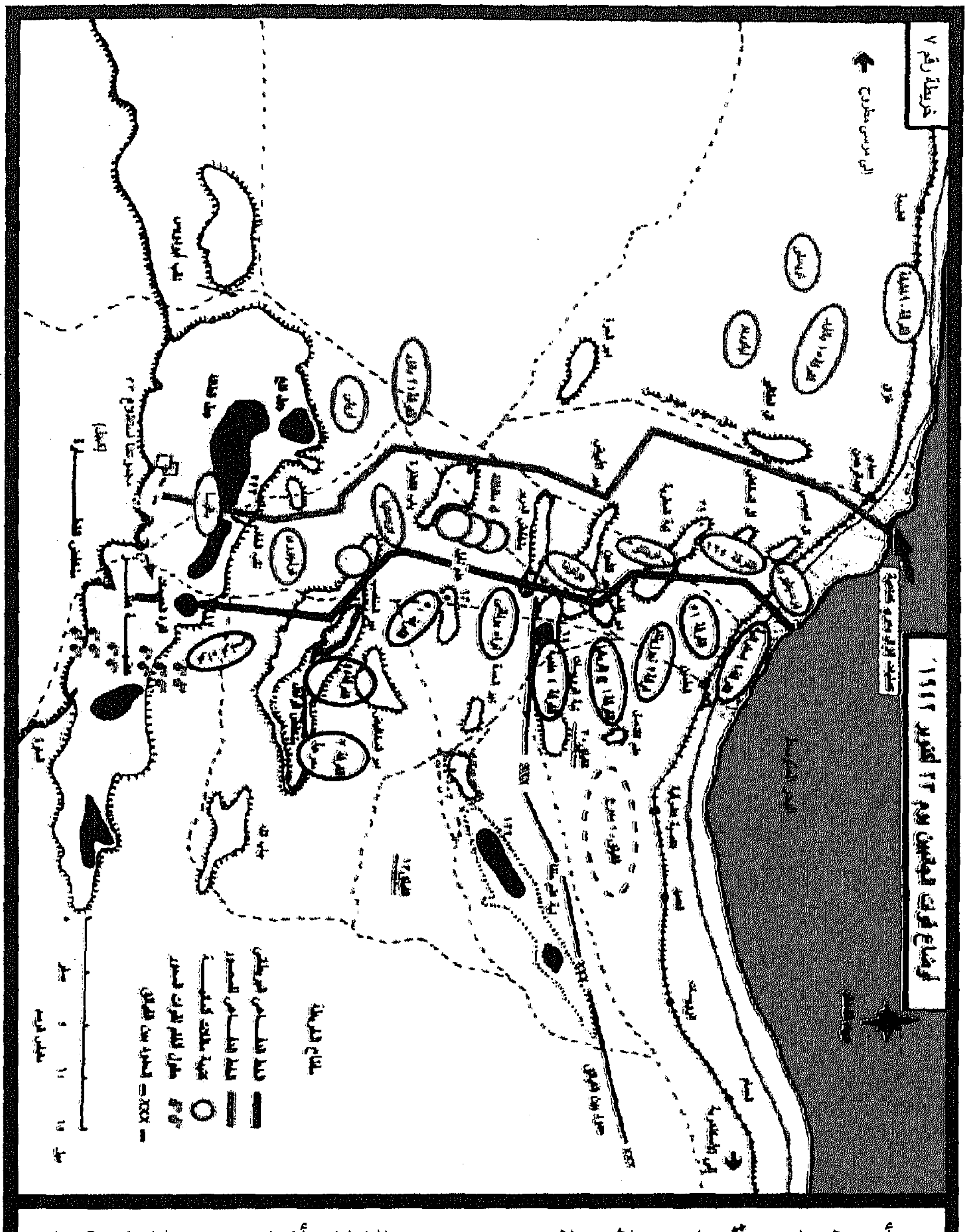

أوضاع قوات الجانبين يوم ٢٣ أكتوبر ١٩٤٢

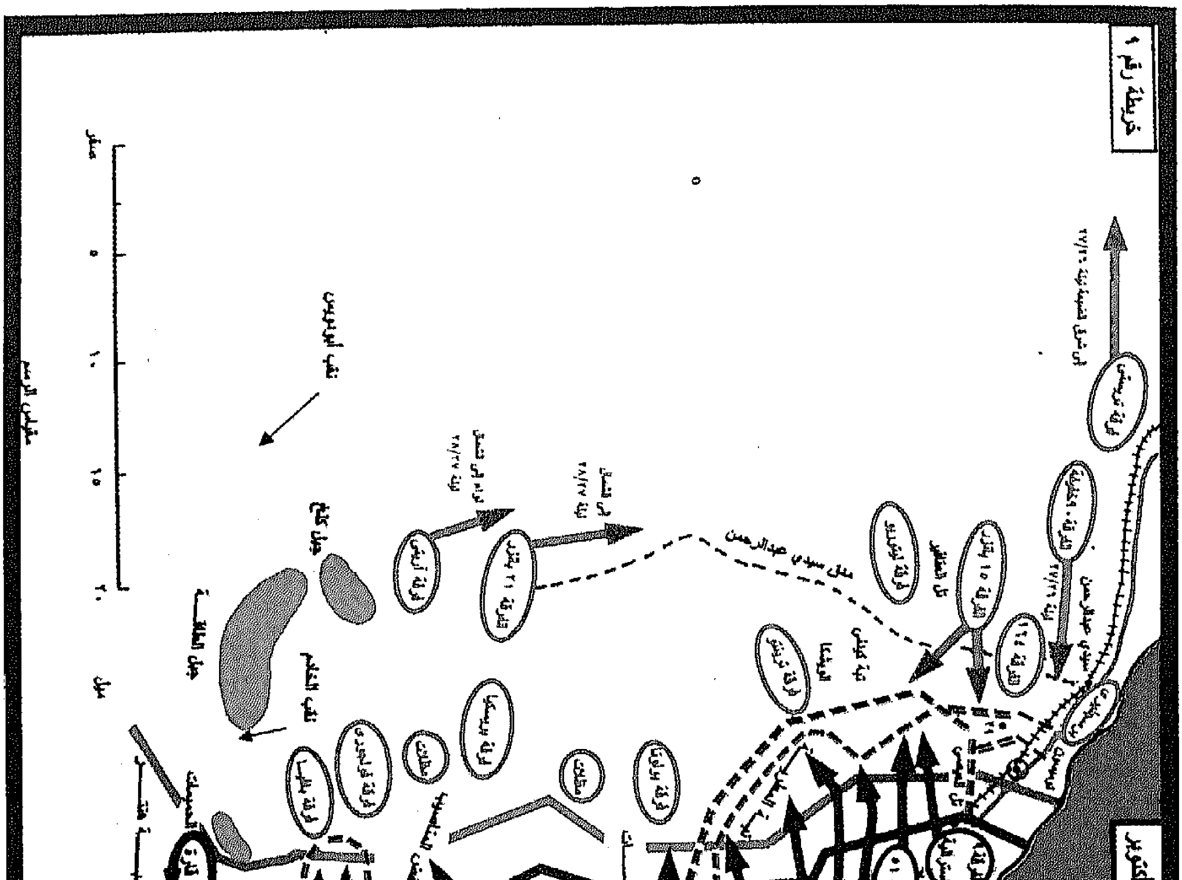

أعمال قتال قوات الجانبين من ليلة ٢٣ / ٢٤ إلى ٣١ اكتوبر

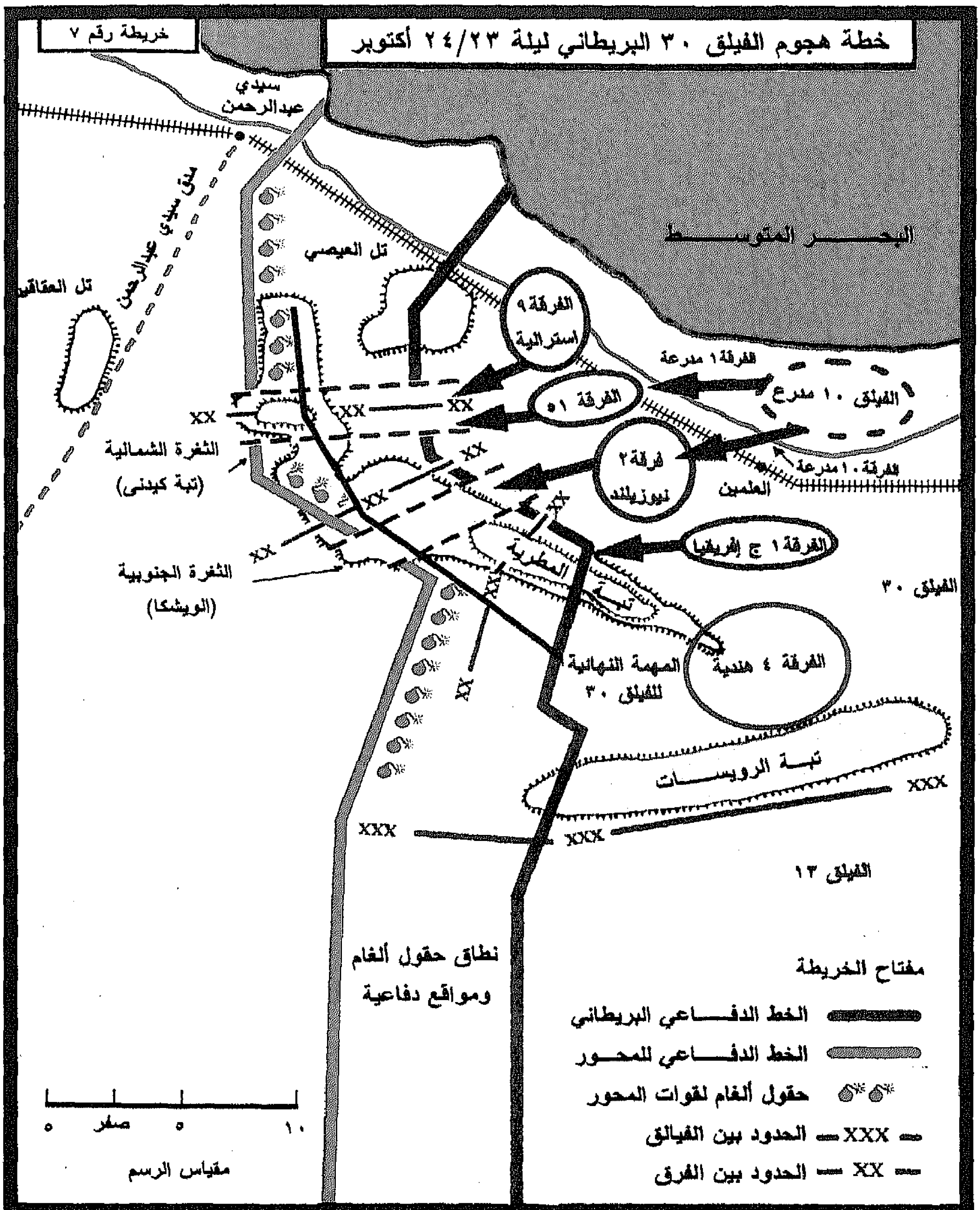

خطة هجوم الفيلق ٣٠ البريطاني ليلة ٢٣/٢٤ أكتوبر

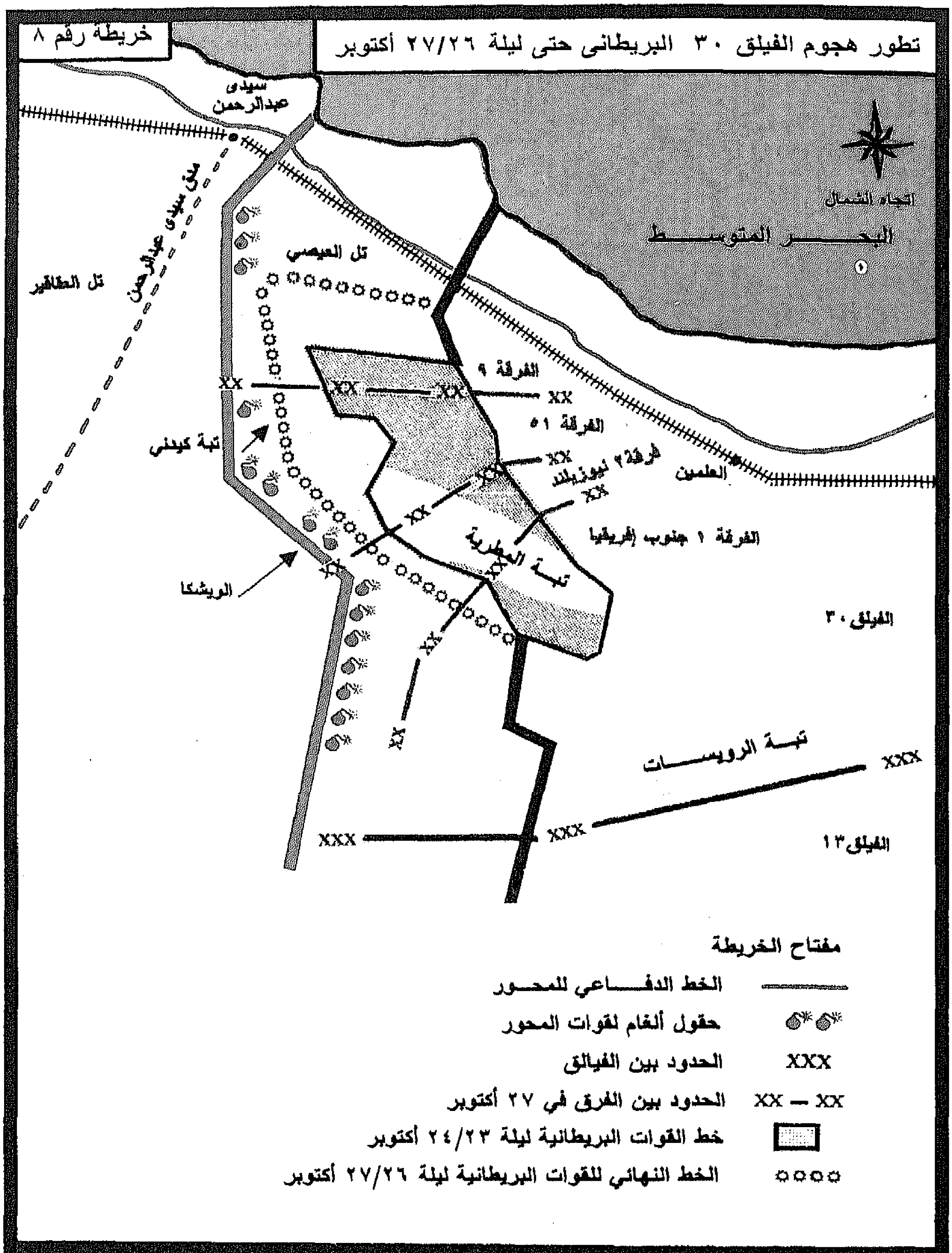

تطور هجوم الفيلق ٣٠ البريطانى حتى ليلة ٢٧/٢٦ أكتوبر

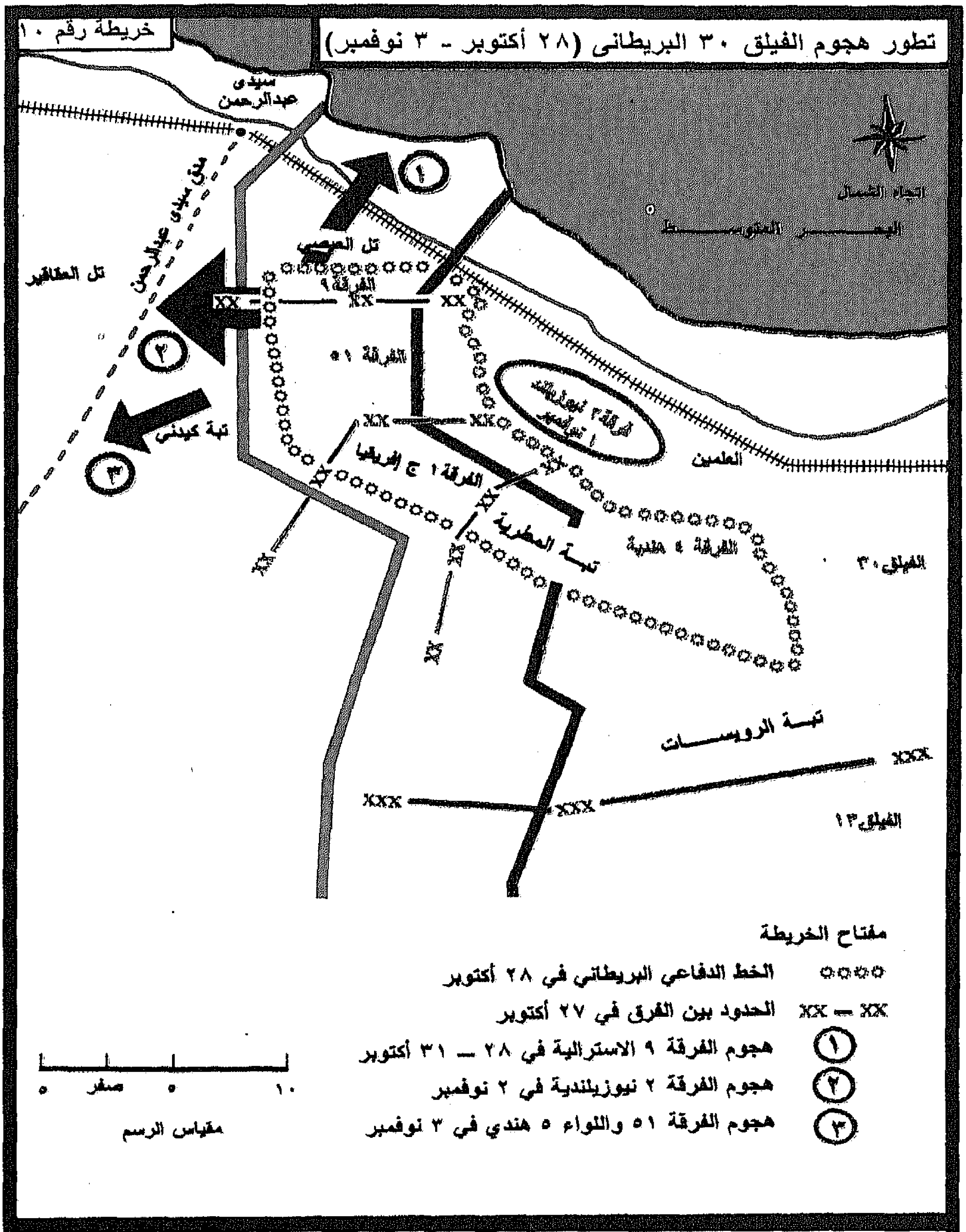

تطور هجوم الفيلق ٣٠ البريطانى (٢٨ أكتوبر - ٣ نوفمبر)

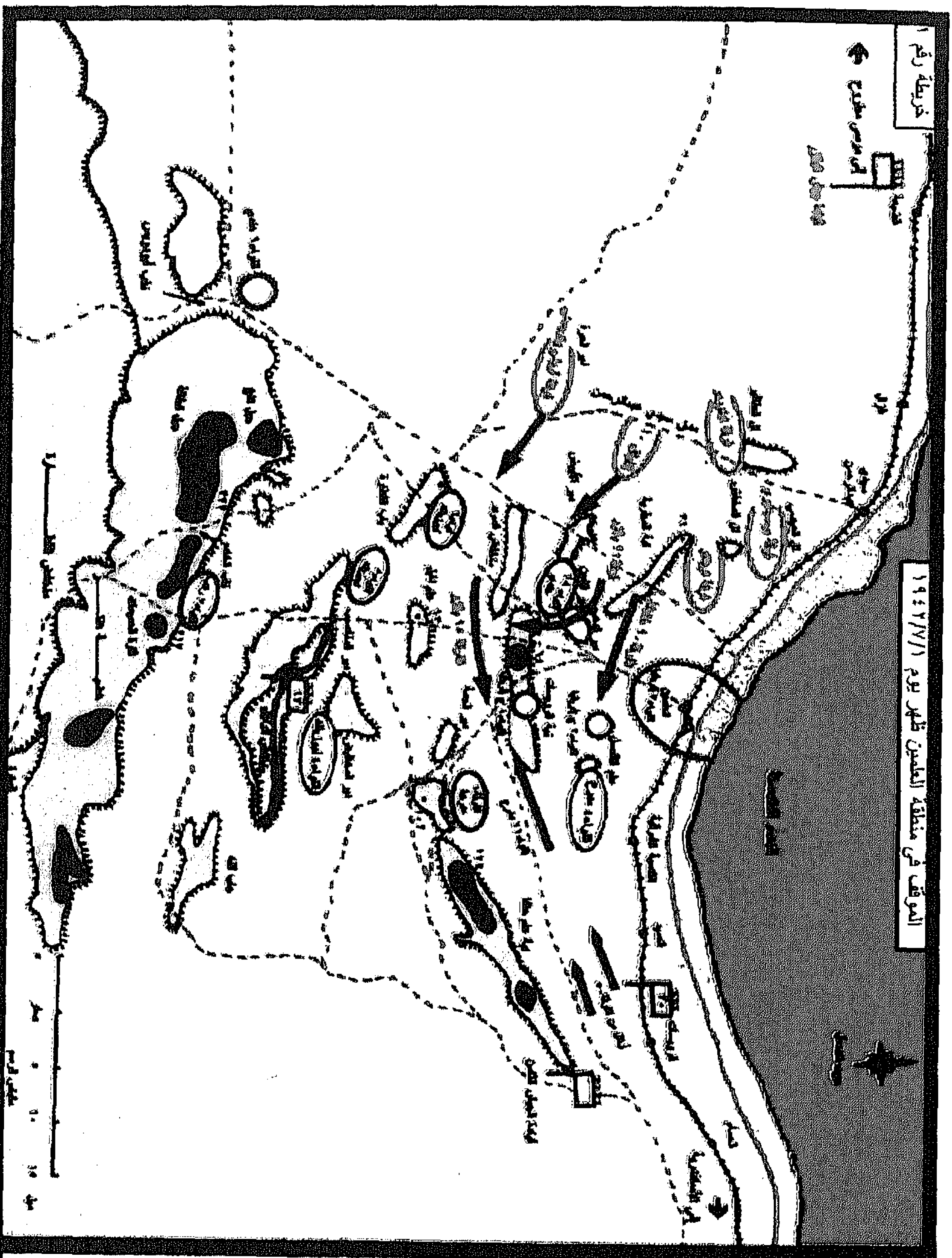

الموقف فى منطقة العلمين ظهر يوم ١٩٤٢/٧/١

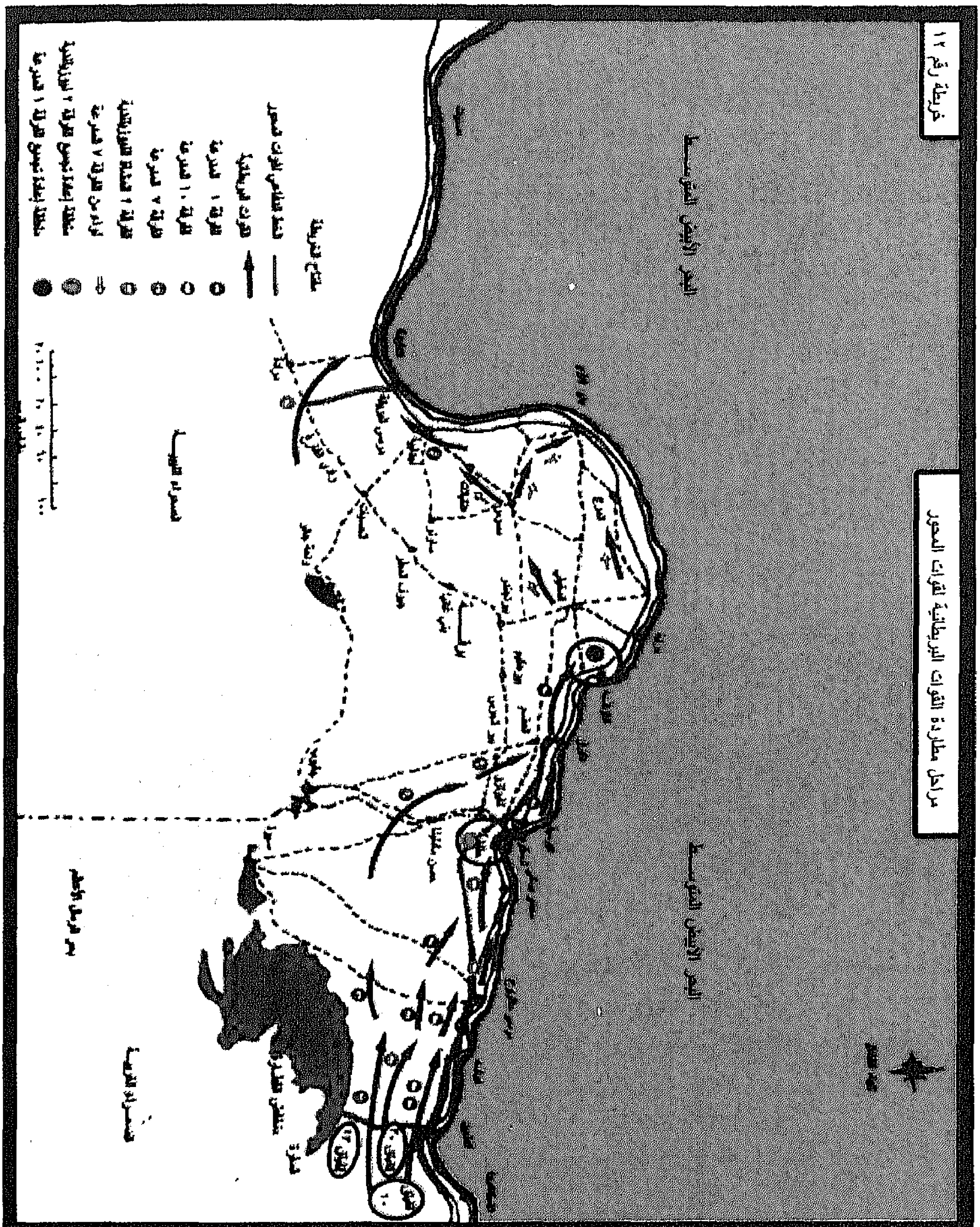

مراحل مطاردة القوات البريطانية لقوات المحور

ملف صور
فيلد مارشال روميل

فيلد مارشيل روميل بملابس الميدان

روميل مع زوجته وأبنه

هتلر يحتفي بحرارة بروميل بعد انتصاراته

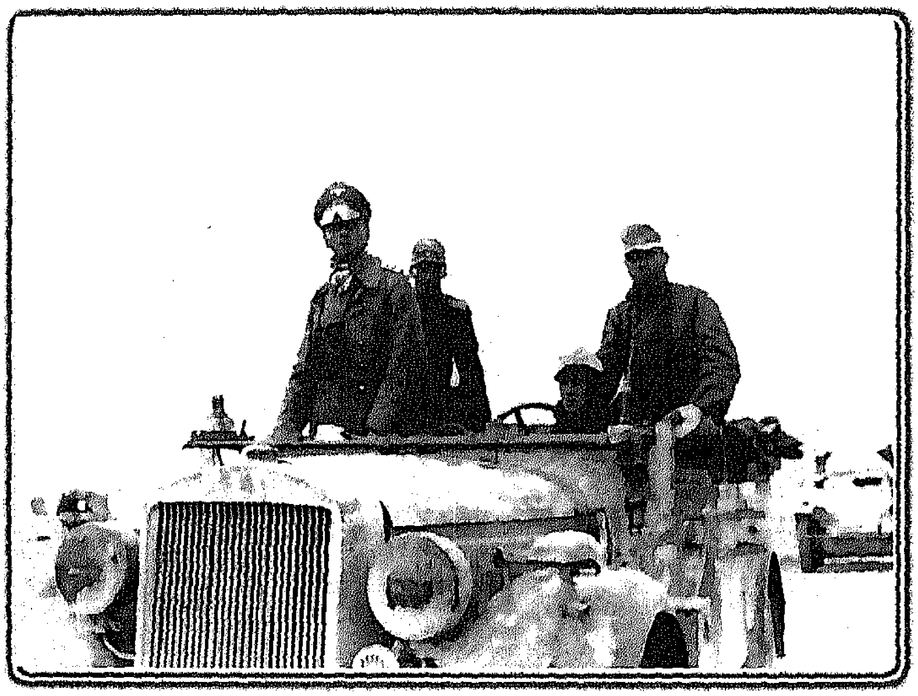

روميل يتفقد ميدان المعركة

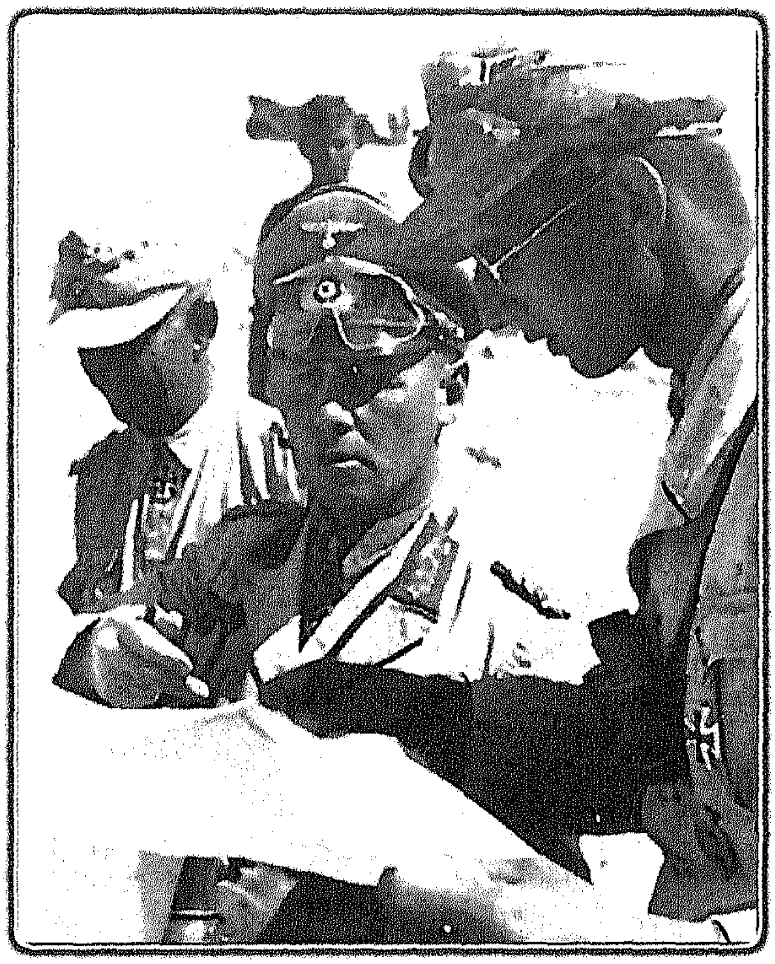

روميل يشرح خطة المعركة لضباطه على الخريطة

روميل يتذوق طعام جنوده

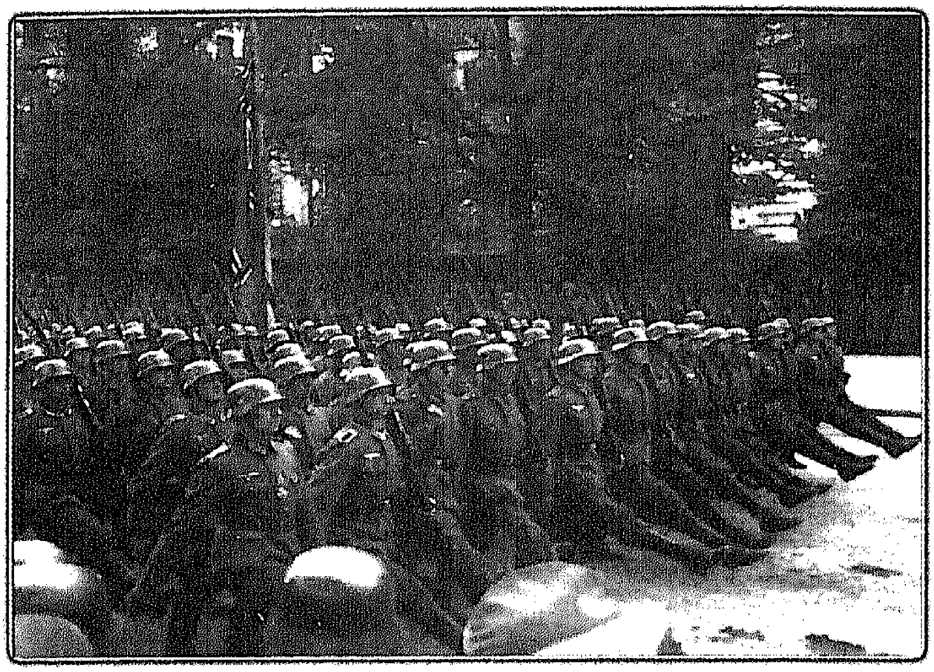

طابور عرض ألمانى بخطوةالأوزة

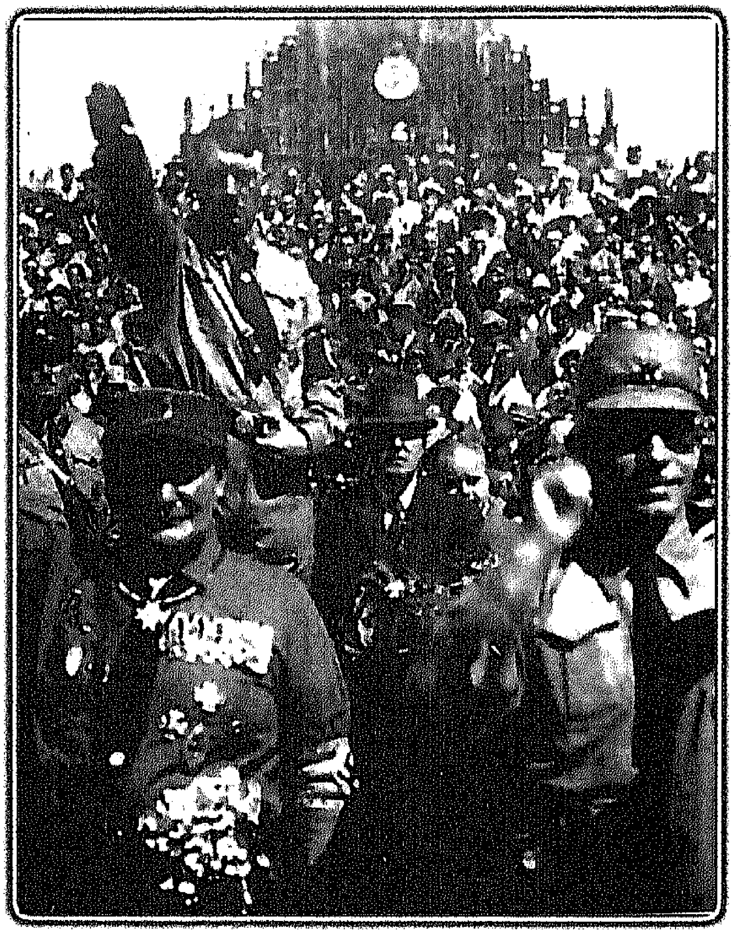

هتلر بين ألشعب الألمانى

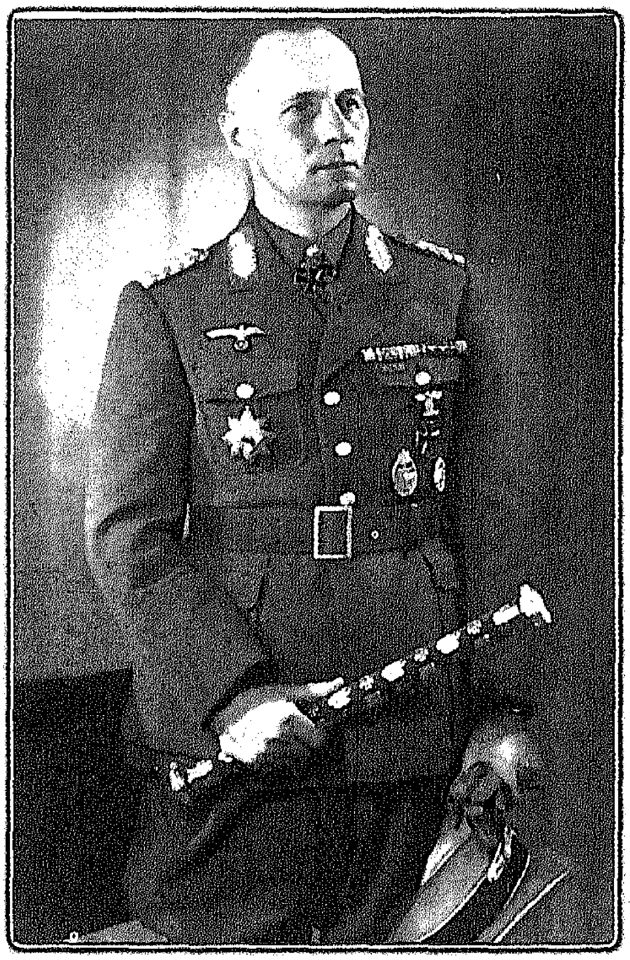

روميل بملابسه الرسمية وبيده عصا المرشالية

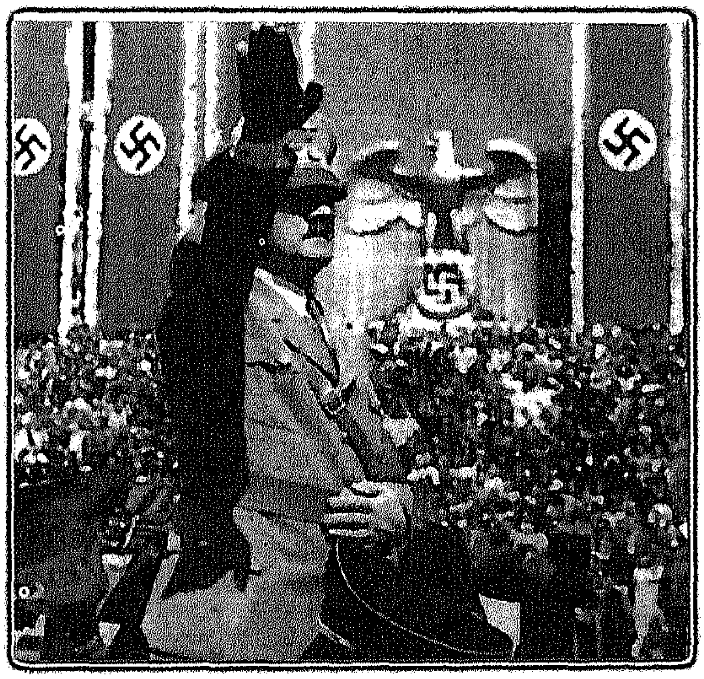

هتلر بين افراد الحزب النازى

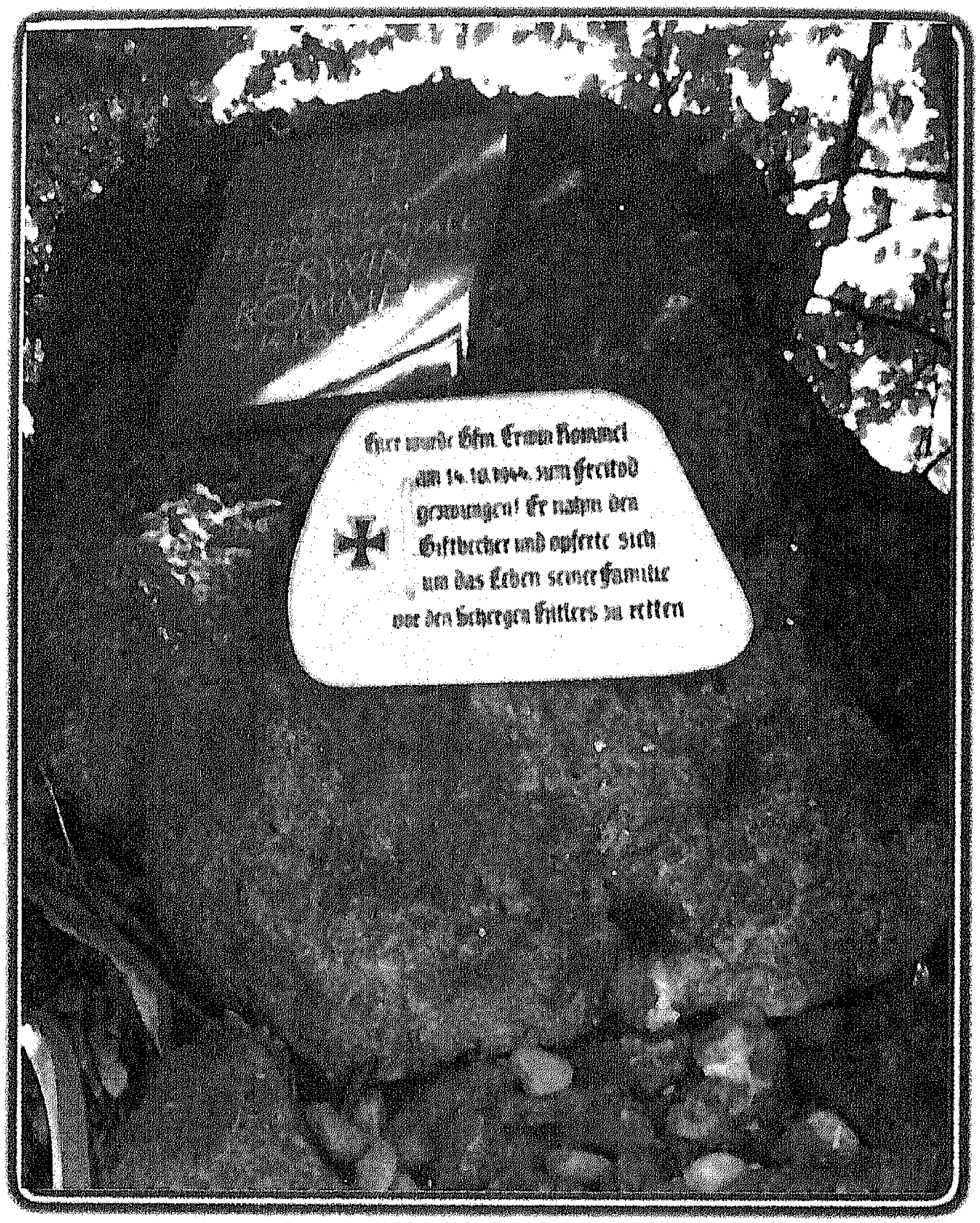
Hier wurde GFM Erwin Rommel
am 14.10.1944 zum Freitod
gezwungen! Er nahm den
Giftbecher und opferte sich
um das Leben seiner Familie
vor den Schergen Hitlers zu retten

مقبرة روميل

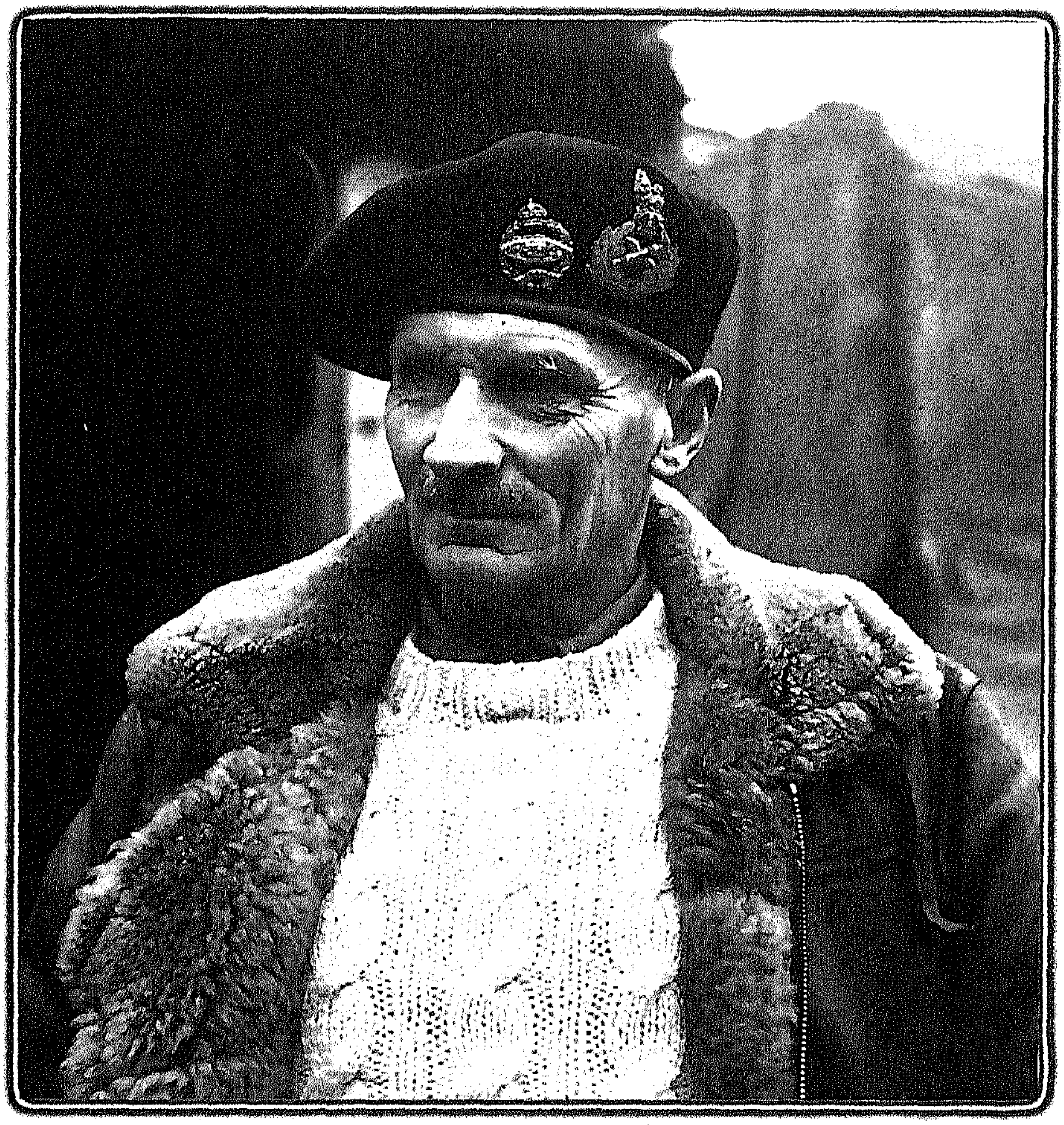

ملف صور
فيلد مارشال برنارد مونتجومرى

فيلد مارشال برنارد مونتجومرى

مونتجومرى فوق دبابة بريطانية يتفقد أرض المعركة

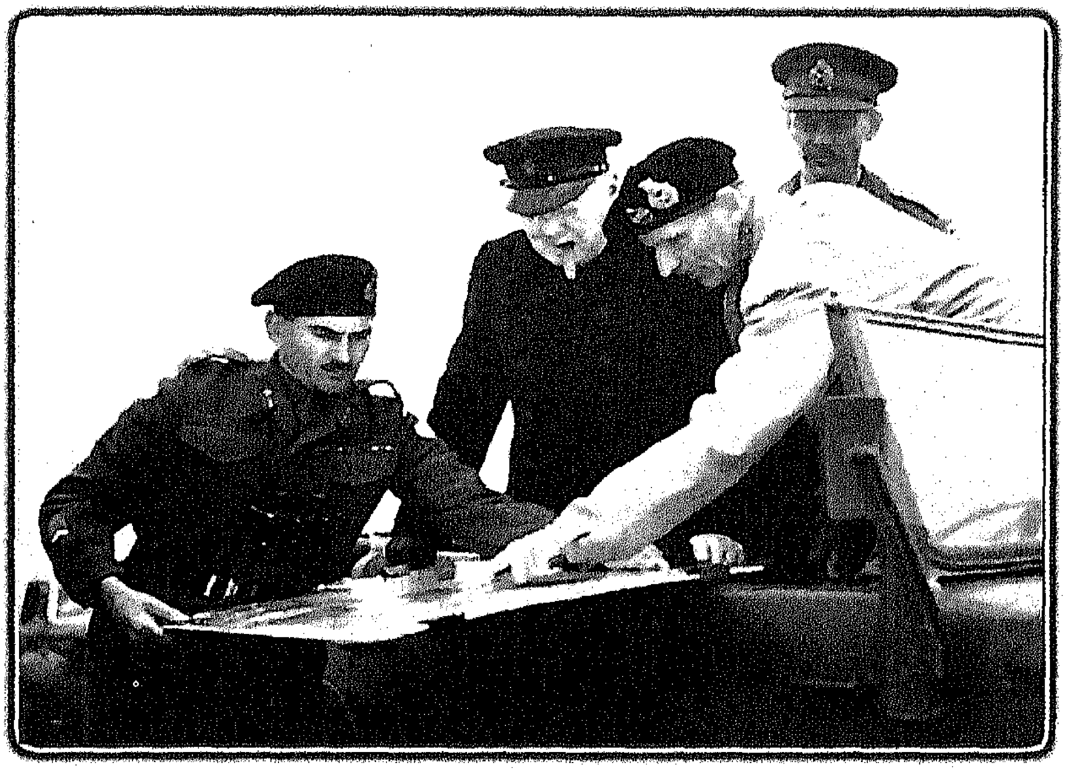

مونتجومرى يشرح خطة المعركة لضباطه

مونتجومرى يخاطب جنوده الجالسين على الأرض

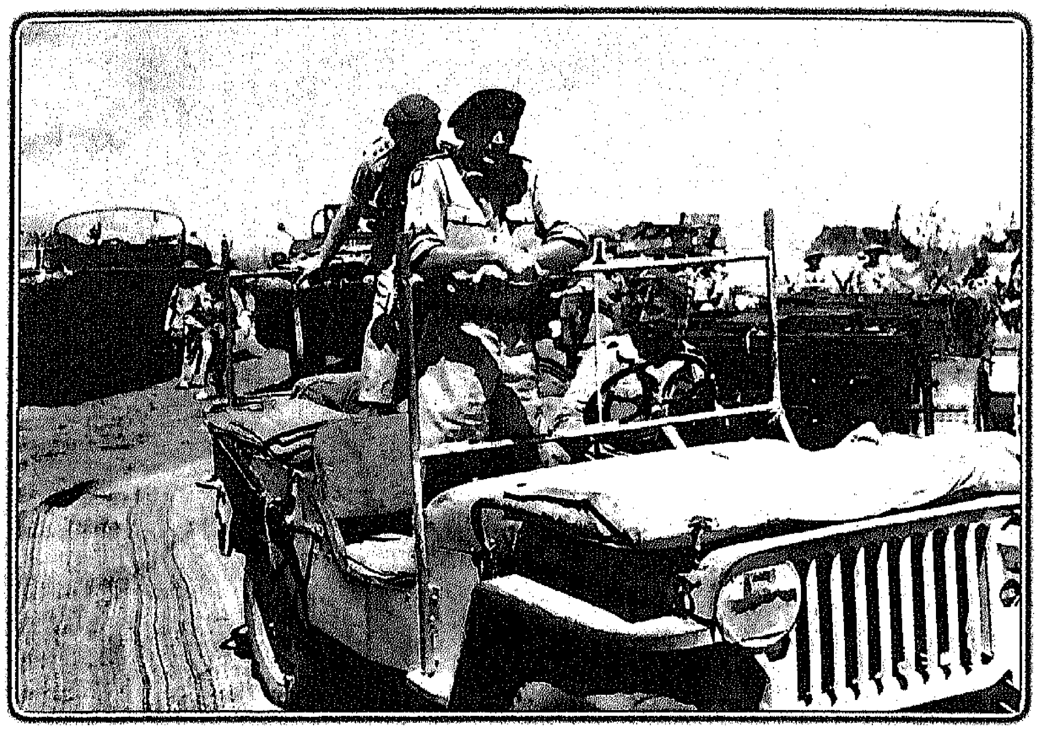

مونتجمرى يتفقد قواته قبل المعركة

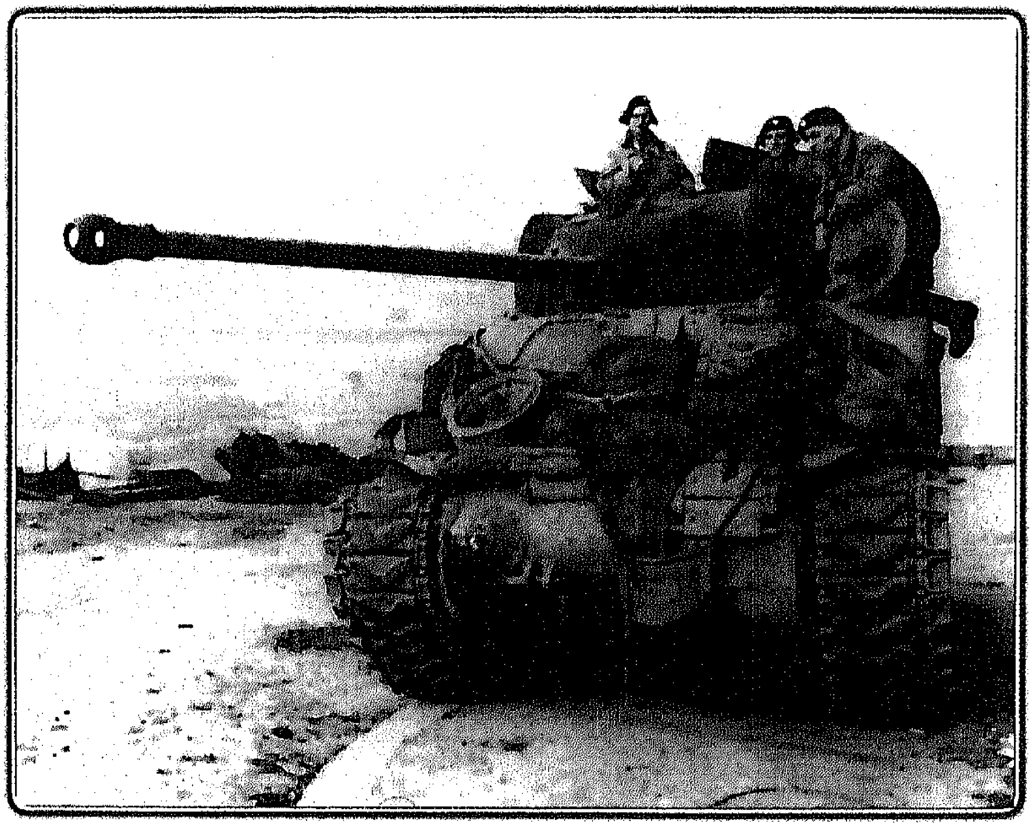

مونتجمرى يركب دبابة بريطانية

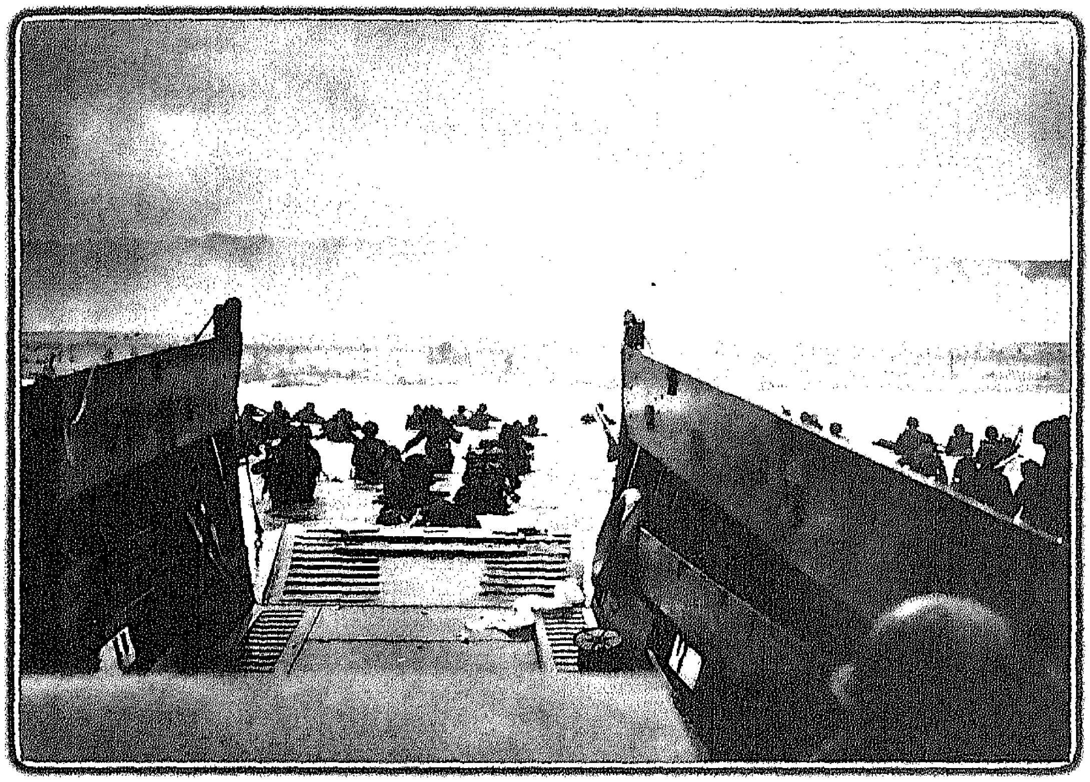

أنزال قوأت الحلفاء بحرا على شأطئ نورماندى

قوات مظلات الحلفاء فى نورماندى

قوات مشاة الحلفاء اثناء أقتحامهم حائط الأطلنطى

جنود الحلفاء عقب اجتياحهم حائط الأطلنطى يحملون علم النازى فى تهكم

فهرس المحتويات

تقديم	7
الباب الأول : الحرب في شمال أفريقيا	11
الفصل الأول : الهجوم البريطاني على برقة والهجوم المضاد الألماني	13
الفصل الثاني : طبرق بين أوكنلك وروميل	23
الفصل الثالث : معركة الكروسيدر	29
الفصل الرابع : الحملة البريطانية في اليونان	41
الفصل الخامس : معركة باتل آكس يونيو 1941	47
الفصل السادس : الأهمية الإستراتيجية لجزيرة مالطة	53
الفصل السابع : الثغرة التي أنقذت الفيلق الأفريقي	61
الفصل الثامن : المطاردة إلى العلمين	75
الفصل التاسع : الجنرال مونتجومري يتولى قيادة الجيش الثامن	81
الفصل العاشر : موقف الجانبين بعد الوصول إلى خط العلمين	91
الفصل الحادي عشر : معركة "علم حلفا" وفشل روميل في اختراق خط العلمين	103
الفصل الثاني عشر : مونتجومري يقود الجيش الثامن إلى أول نصر ساحق في معركة العلمين	113
الفصل الثالث عشر : (23 أكتوبر حتى 4 نوفمبر 1942) تفوُّق بريطاني ضخم قبل معركة العلمين في الأسلحة والمعدات	125
الفصل الرابع عشر : الخطط الموضوعة لمعركة العلمين	135
الفصل الخامس عشر : برقية من هتلر لروميل "النصر أو الموت"	143
الفصل السادس عشر : اختراق الدفاعات الألمانية في العلمين وبدء مرحلة المطاردة	155
الفصل السابع عشر : اللقاء العاصف في برلين بين هتلر وروميل	167

الفصل الثامن عشر: انتقال المعارك الحربية من الأراضي الليبية إلى تونس 177
الفصل التاسع عشر: نهاية العمليات الحربية في شمال أفريقيا 187
الفصل العشرون: سقوط خط ماريث الحصين والزحف إلى الشمال 199
الباب الثاني: الصراع بين ثعلب الصحراء وقوات التحالف 211
شهادة مارشال سير كلود أوشن ليك القائد العام للقوات البريطانية في الشرق الأوسط 1941- 1942 213
هل حققّ مونتجومري أهدافه في معركة العلمين؟ 215
تطبيق الجانبين لمبادئ الحرب في معركة العلمين 221
ميدان القتال بأخلاق الفرسان 233
تجربة حياة الفيلد مارشال إروين روميل 245
مأساة مصرع الفيلد مارشال روميل 281
بعد ربع قرن من معركة العلمين زيارة مونتجومري لميدان القتال 309
المراجع 319
السيرة الذاتية الخاصة باللواء أركان حرب جمال حماد المؤرخ العسكري 321
ملف الخرائط 329
ملف الصور 341

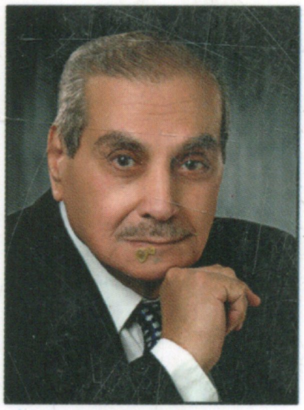

سبعة عقود قد انقضت على معركة العلمين تغيَّر فيها وجه العالم تغيُّرًا هائلاً كما تغيَّر خلاله العديد من المبادئ والنظريات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، لقد سقطت خلال هذه الفترة من الزمان عروش وأنظمة راسخة، وتهاوت إمبراطوريات عظمى كانت الشمس لا تغرب عن ممتلكاتها، وتبدَّلت حدود كانت قائمة منذ مئات السنين، وتحرَّرت من براثن الاستعمار الأوروبي عشرات من دول وبلدان العالم الثالث التي طالما استعبد هذا الاستعمار شعوبها، ونهب ثرواتها، واغترف خيراتها لعدة قرون، وتراجعت أحلام القوة وأوهام الرغبة في السيطرة على العالم باستخدام القوة العسكرية لتحل محلها وسيلة جديدة أمضى وأنجح في تشديد القبضة، وإحكام السيطرة، وبسط الهيمنة والنفوذ؛ وهي استخدام القوة الاقتصادية.

لقد أثبتت الوقائع في العقود الأخيرة أن المارك الألماني في الميدان الأوروبي - قبل ظهور اليورو - أصبح أقوى نفوذًا، وأشد تأثيرًا من المئات من فرق العاصفة وفرق البانزر الألمانية الشهيرة التي دفع بها الزعيم النازي أدولف هتلر لاجتياح أوروبا، واحتلال بلادها وعواصمها، وأثبتت الأحداث أن الدول العظمى التي أحرزت النصر في الحرب العالمية الثانية أضحت تعاني من وطأة أزماتها الاقتصادية المريرة إلى الحد الذي أجبرها على طلب العون، واستجداء المساعدات من الدولتين المهزومتين عسكريًا، وهما: ألمانيا واليابان، وسبحان مغيِّر الأحوال.

تصميم الغلاف أحمد مراد

جمال حماد

Bibliotheca Alexandrina
مكتبة الإسكندرية
1240139